# مجلة مجمع اللغة العربية بالشارقة

العدد السّادس - أغسطس 2023 م




## مجمع اللّغة العربيّة بالشّارقة يعزّز مكانة اللُّغة العربيّة في بولندا

## التَّحَدُّثُ بِالعَرَبِيَّةِ وَاجِبٌ قَوْمِيٌّ

## تَجَلِّيَاتُ صُورَةِ الأُمِّ فِي الشِّعْرِ الجَاهِلِيِّ

## إطلالة على كتاب «هديّة الأريبِ لأصدقِ حَبيب»



نسخة بي دي إف (PDF)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ۖ
ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ
وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ
عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾

[ فصلت ٤٤ ]

صدق الله العظيم



اللّغة العربيّة هي انتماؤنا لهذا الدّين القيّم، اللّغة العربيّة هي مخزون تاريخنا وثقافتنا وعلمنا، اللغة العربيّة هي التي تثبّت إيماننا بديننا، واللغة العربيّة هي التي توحدنا من أقصى الشّرق إلى أقصى الغرب بلسانٍ عربيٍّ مبين.

**صَاحِبُ السُّمُوِّ الشَّيْخُ الدُّكْتُور سُلْطَانُ بْنُ مُحَمَّدٍ ص**

عُضْوُ المَجْلِسِ الْأَعْلَى لِلِاتِّحَادِ حَاكِمُ الشَّارِقَةِ

# المحتويـات


04 افتتاحية العـدد

10 مجمع اللّغة العربيّة بالشّارقة يبحث سُبُلَ التّعاون مع جامعة الفارابيّ الوطنيّة في كازاخستان

14 مَفْهومُ النَّحْوِ الوَظِيفِيّ وَمَبَادِئُهُ

20 عَجِيبٌ لِأَمْرِ الكُتْبِ

24 «وَقْفَة مَع ديوان الخوافي»

30 التَّحَدُّثُ بِالعَرَبِيَّةِ وَاجِبٌ قَوْمِيٌّ

34 جِـوَارُ الشِّعرِ وَالنَّثر

36 مَحَطّاتٌ هامَّةٌ في لُغَةِ الضَّادِ

42 هَلْ تَرْحَلُ الـمَشارِقُ؟

44 قصيدة السِّـرّ

46 تَعْليمُ العَرَبِيّةِ للطُّلّابِ المُتَعَلِّمينَ غَيْرِ المُتخَصِّصِينَ في تدريسِها

50 التَّأْوِيلُ النَّحْوِيُّ القُرْآنِيُّ

55 قصيدة الشِّعْرُ وَ اللُّغَةُ













# مجلة مجمع اللغة العربية بالشارقة

مجلّة أدبيّة لغوية تصدر عن

حكومة الشارقة Government of Sharjah

مجمع اللغة العربية بالشارقة
ARABIC LANGUAGE ACADEMY IN SHARJAH

السنة الأولى – العدد السادس – أغسطس 2023 م

مجلّة أدبية لغوية تعنى بقضايا اللغة العربية وآدابها





المراسلات
هاتف : 400 60 51 6 971+
فاكس : 401 60 51 6 971+
ص.ب : الشارقة ، 1973

shj_ala www.alashj.ae
Sharjah.ala info@alashj.ae
مجمع اللغة العربية بالشارقة


امسح الرمز
لزيارة موقع مجمع اللغة العربية بالشارقة

لمشاركاتكم ومقترحاتكم يرجى التواصل
على البريد الإلكتروني
Magazine@alashj.ae





100





84





70

# إطلالةٌ على
# «هديّة الأريب لأصدق حبيب»
# للشّيخ محمّد الطّاهر بن عاشور «الجدّ»

**إصدارٌ بالمعارف غنيّ، وبدقائق النَّحو ثريّ، وبحُسن العبارة موسومٌ، وبمسك البيان مختوم**

**الحمدُ للّه الذي عزّت قدرتُه، وتناهت حكمتُه، نحمدُه سبحانه حمدًا لا ينقطعُ راتبُه، ولا تُقلِعُ سحائبُه، والصّلاةُ والسّلامُ الأكملان الأتمّان على سليل أكرم نَبْعَة، وقريعِ أشرف بُقعة، صفوةِ خلق اللّه، وخيرتِه من خلقه، وحُجَّتِه في أرضه، الهادي إلى ربّه، محمّد بن عبد اللّه، وعلى آله وصحبه، وبعد،**

**فالكتابُ خيرُ جليس، وأفضلُ أنيس، وتَعِلّةُ المُسافر، ورفيقُ المُستوحِش، ورُقيةُ العقل السّليم، وغذاءُ الذّهن المُستنير، وزادُ المثقّف اللّبيب، وصديقُ طالب العلم الأريب. وخيرُ ما تُنفَقُ فيه الأعمارُ، وتُقضى في بَحْبوحته ساعاتُ اللّيل والنّهار، مُدارسةُ العلم ومنادمةُ الكُتُب، وشاءت حكمةُ اللّه سبحانه أنْ يُقيِّضَ، حفظًا لكتابه العزيز، علماء فضلاء، ونحارير عظماء، عُنُوا باللّغة العربيّة تقعيدًا وتنظيرًا، وشرحا وتعليما، وتصنيفًا وتأليفا.**



د/ امحمد صافي المستغانمي
الأمين العام لمجمع اللغة العربية بالشارقة

ولا ريبَ أنَّ أسْفارَ العلوم والفنون واللّغات جمّةٌ كثيرة، وغزيرةٌ وفيرة، تتفاوتُ إيجازًا وإسهابا، واختصارا وإطنابًا، وفصولا وأبوابا، ومضمونًا وأسلوبا. وكتاب **«هديّة الأريب لأصدق حبيب»** بديعٌ في بابه، قشيبٌ في ثيابه، بزُخرُف القول مُزَيَّنٌ مُجَلّل، وبتاج الحُسن مُرَصَّعٌ مُكَلّل، جَمَعَ من المحاسن الشّريفة، والمناقب المُنيفة، ما يُشجّعُ القارئَ إلى قراءته، ويُحفِّزُ الباحثَ المَنهوم على مُصافحته ومُعانقته.

وعلى الرّغم من المشاغل والعوائق، وكثرة المآرب وازدحام المطالب، راودتني أفكارٌ حِسانٌ واستحَثَّتْني أربعةُ مُسوّغات لزَبْر هذه الكلمات، وتسويد هذه الصّفحات راجيًا المولى الجليل أن يتغشّى أعمالنا بالقبول، ويُكلّلها بالتّوفيق، إنّه سميعٌ مجيبٌ، كريمٌ وهّاب.

أمّا المُسوّغُ الأوّلُ فموضوع هذا السِّفر الجليل، **إنّه النّحوُ العربيّ، العِلمُ السّنِيُّ، باني البيان، ومُقيمُ الألسُن، وميزانُ كلام العرب، وزينةُ أجناس الأدب، يتبوّأُ من علوم العربيّة المنزلَ الأسْنى، والمقامَ الأعلى، وهو أحقُّ بالدّراسة وأوْلى.**




ونظرًا لأهمّيّته وبُعْدِ خطره وعُلُوّ شأنه بين فروع علوم اللّسان، أطلق عليه السّابقون اسم "علم العربيّة"، وكأنّي بهذا العنوان ينطقُ بلسان صحيح فصيح: مَنْ لا يُتقِنُ علم النّحو، ليس من العربيّة في شيء.

وقديما تغنّى بوصفه أحدُ الشّعراء المُجيدين في قوله:

**النَّحْوُ يبْسُطُ من لسانِ الألْكَنِ**
**والمَرْءُ تُعْظِمُهُ إذا لَمْ يَلْحَنِ**
**فإذا طَلَبْتَ مِنَ العُلوم أجَلَّها**
**فأجلُّها منها مُقيمُ الألسُنِ**

والكتابُ الذي بين أيدينا هو حاشيةٌ لقرطاسٍ من أجلّ كتب النّحو فوائدَ ولطائفَ، وقواعدَ ومعارفَ، ومن أسْلَسِها تعبيرًا، وأجملها تحبيرًا، وأقرَبِها تناوُلا، وأجْوَدِها ترتيبا، وعُنوانُهُ رشيقٌ أنيق: «**قَطْرُ النّدى وبلّ الصّدى**» لصاحبه العلّامة الفهّامة، النّحويّ المبرّز ابن هشام الأنصاريّ رحمه الله تعالى.

قلت: هذا الكتاب من أحسن ما كُتِبَ في هذا الفنّ العظيم، متوسّطٌ في بابه، أتى على جميع مباحث النّحو إيضاحا وتِبْيانا. شاعَ في المتعلّمين ذِكرُه، وعمّ نفعُه وبرُّه، وطارت سُمعتُه، وسارت بها الرّكبان مشرقًا ومغربًا، ويُعَدُّ واسطةَ القلادة في عِقد أسْفار النّحو المفيدة الذّائعة الصّيت، المنتشرة في الأمصار والأقطار، حيثُ دأبَ المُؤدِّبون أن يأخذوا المتعلّم المبتدئ في سالف العصور - ولا يزال الأمرُ كذلك في المحاظر الشّنقيطيّة والزّوايا والكتاتيب المغاربيّة - بالآجرُّوميَّة لابن آجرُّوم الصَّنهاجيّ نظرًا لصغر حجمها ومناسبتها للمبتدئين، ثمّ يُعَمّقون مداركه **بقَطْر**

**النّدى وبلّ الصّدى**، حتّى إذا ارتوى من القَطْر المنهمر، وبلّ صداه من طلّه ووابِله، وانشرح صدرُهُ لأوابده وشوارده، تعاهدوه بالسَّقي والشّراب إلى حدّ التّضلُّع والارتواء من الخُلاصة الألفيّة، البهيّة الزّكيّة، لصاحبها العالم النّاظم الهُمام الإمام عبد الله بن مالك الأندلسيّ، وإذا بلغ المتعلّمُ الـذّروة في هذا العلم، وأصبح لدروسه صَبًّا عاشقا، وبمباحثه كلِفًا شغوفا، **أكرموه بتسهيل الفوائد وتكميل المقاصد لابن مالك نفسه** الذي يُعَدُّ في مدارج كتب النّحو في القمّة العليا التي تنخلِعُ رقابُ أهل الجِدّ والاجتهاد عند ذُراها.



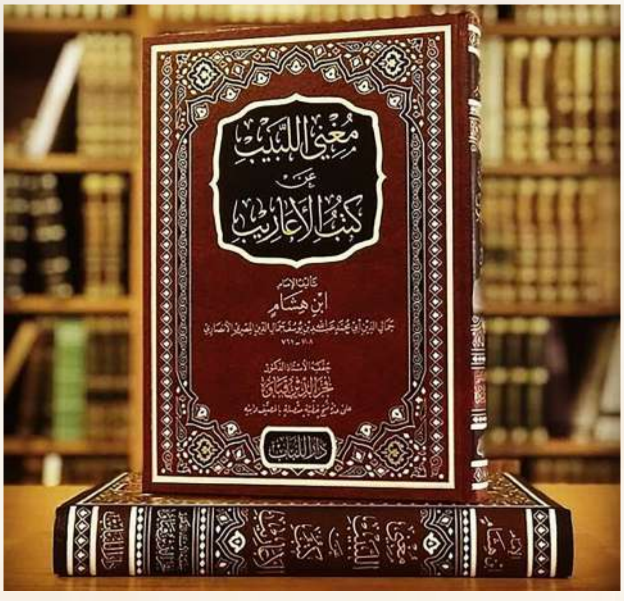
مبروك زيد الخير

وإذا جئنا إلى كاتب الأصل ومُدبِّج سطوره، وهو المُسوِّغُ الثاني لتسويد هذه الأسطر، ألفينا أنّنا أمام طَوْدٍ من أطواد العربيّة شامخ، وعَلَمٍ من أعلامها باذخ، مُعَلَّم مُبرّز، وفطحل متميّز، حائز على قصب السّبق في علوم العربيّة وفنونها. امتلك ناصية النّحو فأطاعته قواعدُه، وانقادت إليه فرائدُه. جِهْبذٌ خبير، وعلّامةٌ نِحْرير، وبليغٌ يُحسِنُ الإبانة والتّعبير. جَوَّدَ في التّصنيف، وأبدع في التّأليف، وأعطته العربيّةُ زمامَها، وأهدته غيدَها وأماليدَها.

قال عنه العلّامة ابن خلدون رحمه الله تعالى: «**ما زِلْنا ونحنُ في المغرب نسمعُ أنّه ظهر بمصرَ عالمٌ بالعربيّة يُقالُ له ابنُ هشام أنحى من سيبويه**». وقال عنه في موضع آخر في مقدّمته الغرّاء: «**إنَّ ابنَ هشام على علمٍ جمٍّ يشهدُ بعُلُوّ قَدْره في صناعة النّحو، وكان ينحو في طريقته مَنْحاةَ أهل الموصل، الذين اقتفوا أثرَ ابن جِنّي واتّبعوا مصطلحَ تعليمه، فأتى من ذلك بشيءٍ عجيبٍ دالٍّ على قوّة كلامه واطّلاعه**».

وقطرُ النّدى مُصنّفٌ شريفٌ، كتبه ابن هشام رحمه الله تعالى بأسلوب جميل ظريف، وقد أحسن بجزل العبارة تدبيجَه، وجوّدَ تنميقه، وكشف فيه من موضوعات النّحو دقائقها، وقدّم فيه لعاشقي العربيّة لطائفها ورقائقها، ومعارفها وحقائقها، بضربٍ من البيان مُشرِقٍ صافٍ، وتعبير جزلٍ وافٍ كافٍ.

ولابنِ هشام مع النّحو أقاصيصُ تُروى، وأحاديثُ تُحكى، وتاريخٌ ناصع وسِجِلٌّ رائعٌ؛ فهو صاحبُ «**أوضح المسالك لألفيّة ابن مالك**»، وصاحب «**التّوضيح**» وهو شرحٌ مفصّلٌ مبينٌ لجميع ما جاء مختصرا في «**أوضح المسالك**»، وله «**الإعـرابُ عن قواعد الإعـراب**»، و«**مغني اللّبيب عن كتب الأعاريب**»، ولَوْ لم تَخُطَّ أناملُه الزّكيّةُ غيرَ هذه الأسفار النّحويّة الجليلة، لكفى بها حُجّةً له عند ربّه سبحانه في خدمة لغة القرآن الكريم، ونرجو له الخير عند مولاه، ولا نتألّى على الله.



والمسوّغُ الثالث هو صاحبُ الحاشية العطرة على «القَطْر»، الأديبُ اللّغويّ المُقَدَّم، وحاملُ لواء العربيّة المُبجَّل، وعالمها المُوَقّر المعظّم الشّيخ محمد الطّاهر بن عاشور الجَدّ، المُحقّقُ المُدقّق والباحث المُوَفَّق، مُبرَّزُ القرن التّاسع عشر، شمسُ الزّيتونة، وبَدْرُ دُجاها، وعلمُ أعلامها، وفقيهُ شعرائها وأدبائها، علّامة المعقول والمنقول، المنحدر من سلالة ابن عاشور الذين انسلّوا من الأندلس الجريح إلى شمال أفريقيّة فألقى أبناؤها عصا التَّرحال في تونس الخضراء، واشتغلوا بالعلم، وورثوه كابرا عن كابر.

هذه الأسرة العالِمة الشّريفة، الكريمةُ النَّجْر، النّبيلةُ الأرومة والمَحْتِد، هي التي أنجبت بعد ذلك الإمــامَ العلّامة الشّيخ محمّد الطّاهر بن عاشور الحفيد، الذي برعَ في التّفسير، وجدّد في المقاصد، وأبدع في البلاغة القرآنيّة، وعاش حياته للعلم والكتابة والفتوى، ورأى العالم الإسلاميّ من كتاباته ما رأى، وليسَ تألّقُ هذه الأسرة العلميّة بدْعًا من الأمر:

**فما يَكُ من خيرٍ أتَوْهُ فإنّما**
**توارثَهُ آباءُ آبائهم قَبْلُ**
**وهل يُنبِتُ الخَطّيَّ إلا وشيجُهُ**
**وتُغرَسُ إلا في منابتها النّخلُ**

ولِتَقِفَ بنفسك أخي القارئ، على فصاحة ابن عاشور الجدّ، وطول باعه في الإبانة والتّبيين، اخترتُ لكَ جزءا من إحدى رسائله الإخوانيّة يقول فيها:

«يا نائيًا وفي القلب قرارُه، وظاعنًا وقد شاقني مزارُه، لقد أفرطتَ في الجفا، وكان منَ الهجْر ما كفى، وتركتَ ما تركتَ بين الجوانح، وسلّمتَ الفؤاد لقَوْد القوادح، أظلمت منازل أنسك من جمالك بدرًا منيرًا، وأوحشتَ منازلَ طالما استنشقتْ من مسامرتك عطيرًا، وأبقيتَ حليفَ هواك، يقنعُ بطيف الخيال، بعد تمتّعِه بطِيب الوصال، ويحسدُ أهلَ ذلك المنزل الّذي سعدَ ببهاء جمالك، ولا يترقّب سمعُه إلى نغمةِ بشيرِ وصالك، قد جنحَ إلى رسول الكتاب، حين زاد وجدُه، وحنّ إلى الخطاب [بحر الوافر]:







ابن هشام الانصاري



**كتبتُ وَلَوْ كَتَبْتُ بِقَدْرِ شَوْقي**
**لأَفْنَيْتُ القراطِسَ والمِدادا**
**ولَكِنّي اقتصرْتُ على سلام**
**يُذَكّرُكَ المَحبَّةَ والوِدادا**

ويكفيه عُلوَّ صيتٍ وسُمُوَّ شأنٍ في مدارج العلماء الأدباء، ما أثنى به عليه العلّامة الإمام محمّد الخضر حسين حين قال واصفا ذلاقةَ لسانه وحُسْن تبيانه: «وله شعرٌ جزلٌ، ينحو به المنحى العربيَّ القديم، أعانه على الإجادة فيه، تبحّرُه في علوم اللّغة وآدابِ العرب... وكان مُقلاّ مُجيدا، وله نثرٌ بليغٌ، وخُطَبٌ معدودةٌ، في مواقفَ مشهودةٍ، وقد اشتهر في عصره بالفصاحةِ، وبداهةِ الجواب..»

عودًا على بدء، فنقول: لمّا كان كلُّ علمٍ يحتاجُ إلى مزيدٍ من البسط والتّوضيح حتّى تتّضحَ معالِمُه، وتتجلّى فوائدُه، وتتقرّرَ قواعدُه، وتُحَلَّ مشكلاتُه، وتَنفَتِحَ مغاليقُه، فلا جرَم قيّضَ الباري جلّ شأنه للقطر المنهمر هذا العلّامة النِّحرير، والجهبذ الضّليع، والمِصقَع البليغ، فوصلَ ليله بنهاره، وعشيَّهُ بضُحاه، شارحًا ومُجلّيًّا، ومُعلّقًا ومُحَشّيًا، وموضحًا ومُفصّلا، ومُبَيِّنا ومُقيّدا، إلى أن سطع من تحت يديه المولود البهيّ، والسِّفرُ الغنيّ، فانتقى له عنوانا يدلُّ على ذكائه الألمعيّ، وذَوقه الزّكيّ، فسمّاه: «هديّة الأريب لأصدق حبيب» فجاءت هذه الحاشية النّحويّة غيداء رشيقة، بديعة أنيقة، متميّزة على أخواتها من الحواشي بَهاءَ عبارة، وإحكامَ أسلوبٍ، وجزالةَ لفظ، وجودَةَ سَبْكٍ، ودقّةَ تنقيحٍ، وروعةَ عرضٍ، وقوّة تحرير.

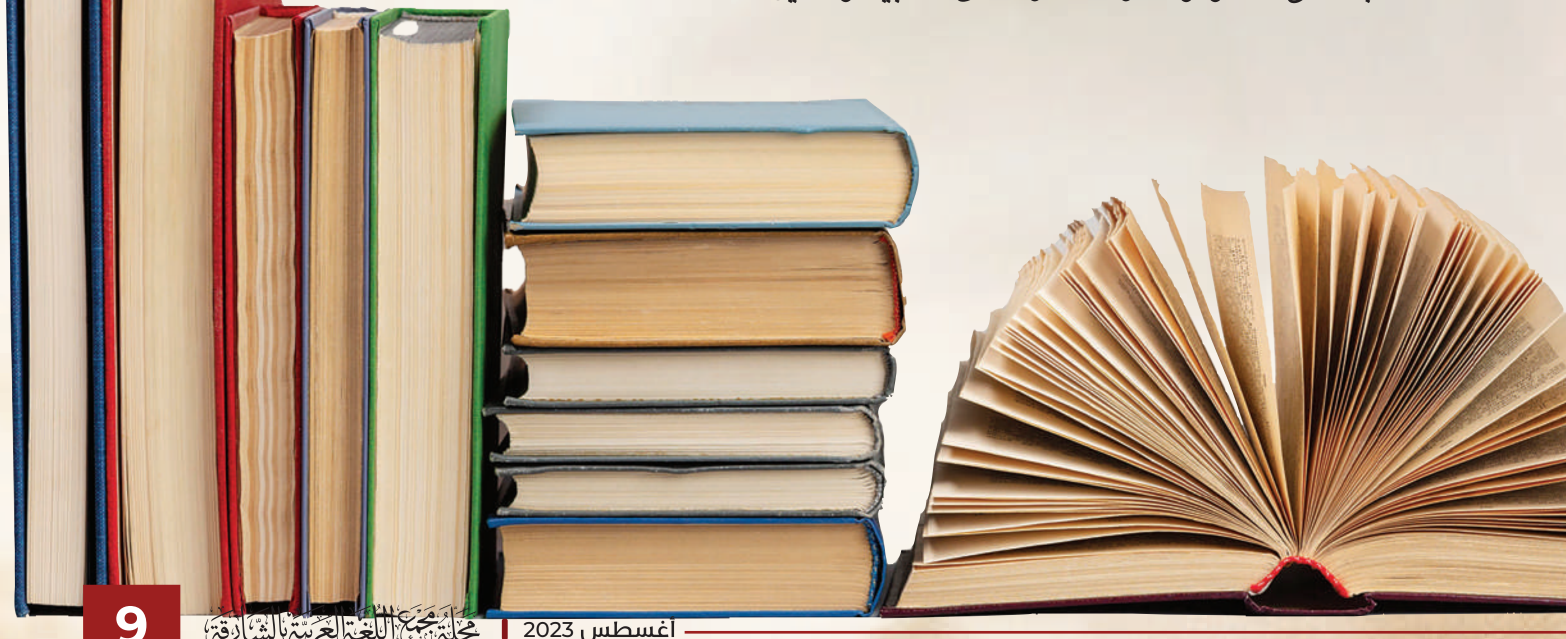
أمّا المُسوِّغ الرّابع، وما أسعدني به، وهو الذي شاقني وهزّني، وأثارني وشجّعني لخوض غمار لُجّة وصف هذا السِّفر المهمّ هو التّحقيقُ العلميّ الجادُّ البهيّ الغنيُّ الثّريّ، الذي جادت به قريحةُ الألمعيّ الذّكيّ، الإمام الدّاعية العلّامة، الأديب الأريب، الشّاعر المصقع البليغ، الكاتب المُتفَنّن، والمُترسّل المتأنّق، الضّارب للأمثال في علوم الفقه والتّفسير، ومعارف اللّسان والآداب، وصريح المعقول وصحيح المنقول، صاحب الجولات الباهرة، والمقاطع الآسرة، والمداخلات العاطرة، والكتابات النّاضرة في الإعلام المرئيّ المسموع، والمُسطّر المكتوب في العصر الحديث، الأستاذ الدّكتور زيد مبروك الخير، زاد المنعم الوهّاب في عمره البركة والخير، والموَفَّقُ ما كان له من اسمه نصيب.

فقد اجتباه الباري وهداه إلى إماطة بعض غبار النّسيان، وإزالة أغشية الغفلة التي أحاطت بكتاب «هديّة الأريب لأصدق حبيب»، ورأى أنّه من الظّلم والحيف، والجنف والزّيف أن يُصيبَ الهديّة التّلَفُ، ويعلوها غبارُ الإهمال، ويتغشّاها صدأُ التّقادم دون أن تجد من ينهضُ إلى نجدتها، ويفزع إلى صرختها، ويُجدّدُ ثَوبَها، ويُحسنُ عرضها في محافل الكتب وأسواق الثّقافة، فشمّر على سواعد الجدّ واستثار قريحة التّعبير، وامتشق حُسامَ البيان، وجدَّ في تجلية مضمون الكتاب، فأبدع في الخطاب، وأوصل القارئ إلى لُبّ اللّباب.

وتميّزَ تحقيقُه بوضوح العبارة، وإحكام الأسلوب، وانتقاء اللّفظ، وتقريب المعاني النّحويّة المبثوثة في الكتاب، والتّعريف بالعلماء الأعلام الذين ذكرهم المصنّفُ والمُحشّي، واجتهد في شرح ألفاظ المتن والحاشية بما يزيل الإبهام، ويُقرّب الدّلالات إلى الأفهام، ويُحبّبُ العربيّة إلى قلب المتعلّم المعاصر، فأحسن وأجاد، وجوّدَ وأفاد، وجاء الكتابُ واضحًا ممحّصا، حافلا بالفوائد، مُترعا باللّطائف، مُفعمًا بحقائق النّحو والصّرف، مُنزّها عن الشّبيه والمثيل، بديعا في فنّ التّحقيق غير مسبوق.

**وجـاء الكتـابُ واضـحًا ممحّصـًا ، حافلًا بالفوائد، مُترعًا باللّطائف، مُفعمًا بحقائق النّحـو والصّـرف**

هذا، ويسُرُّ مجمع اللغة العربيّة بالشّارقة أن يُقدّمَ إلى القرّاء الأعزّاء عاشقي اللّغة العربيّة هذا الكنز الثّمين من أسفار النّحو التي تُمتعُ وتُعجب، وتُعَلّمُ وتُطربُ، مقدّمين الشّكر الجزيل والثّناء الجميل لكلّ من شارك في إخراج هذا الكنز إلى النّور، وفي مقدّمتهم صاحب السّمو حاكم الشّارقة الشّيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسميّ حفظه الله تعالى ورعاه، راعي الثّقافة وحامي عرين العربيّة، صاحب الأيادي البيضاء السّخيّة لدعمه ومساندته للمجمع وأعماله وإصداراته، وإلى أستاذنا الجليل زيد مبروك الخير على الجهد العظيم الذي بذله في تحقيق هذا الكتاب وتنقيحه، وإلى كل الإخوة الأفاضل والأخوات الفضليات في مجمع الشارقة الذي يعملون جادّين مجتهدين لتقديم كلّ ما هو نافعٌ ومفيدٌ وسارٌّ لأبناء العربيّة، وما توفيقنا إلا بالله، عليه توكّلنا، وإليه أنبنا، وإليه المصير.



## مجمع اللّغة العربيّة بالشّارقة

# يبحث سُبُلَ التَّعاون مع جامعة الفارابيّ الوطنيّة في كازاخستان



توجَّه وفد ثقافيّ أكاديميّ من إمارة الشّارقة إلى (جامعة الفارابيّ الوطنيّة) في كازاخستان، لبحث سُبُلِ التَّعاون الأكاديميّ والثّقافيّ المُشترك بين (مجمع اللُّغة العربيَّة بالشّارقة) و(قسم الدّراسات الشّرقيّة) بالجامعة، وضَمَّ الوفد كُلًّا من: الدّكتور امحمّد صافي المُستغانميّ، الأمين العامّ للمجمع، والدّكتور محمّد كامل المعيني، رئيس مجلس إدارة المعهد الدّوليّ للدّبلوماسيّة الثّقافيّة، وكان في استقبال الوفد الدّكتور جانسييت توينبايف، رئيس جامعة الفارابيّ الوطنيّة، وعدد من أعضاء الهيئة التّدريسيّة والطّلاب.

وجاءت الزّيارة ضمن جهود المجمع الرّامية إلى دعم تعليم اللّغة العربيّة في الجامعات والمراكز اللّغويّة في كازاخستان، ودراسة إمكانيّة ترجمة المخطوطات، وتبادل الخبرات التّعليميّة، بالإضافة إلى مناقشة خُطط زيارات طلّابيّة إلى الشّارقة، للتّعرّف على الثّقافة العربيّة والإماراتيّة، وجهود الإمارة ومجمع اللّغة العربيّة في إطلاق مشروع «المعجم التّاريخيّ للّغة العربيّة» وأهميّته في تعزيز التّواصل الثّقافيّ والحضاريّ بين الشّعوب، وتيسير تعليم اللّغة العربيّة للنّاطقين بغيرها.

وقد تخلَّلَ الزّيارة اطّلاع أعضاء الوفد على (مكتبة الفارابيّ) الحافلة بشتّى الكتب والمصادر المعرفيّة والعلميّة، إلى جانب مجموعة كبيرة من المخطوطات العربيّة، وغيرها من الكتب بمختلف اللُّغات الأجنبيّة،

بالإضافة إلى زيارة وفد المجمع (المتحف الوطنيّ) في كازاخستان الذي يضمّ قطعًا من أعظم مقتنيات التّراث الكازاخيّ، الّذي يعكس تاريخ هذه الدّولة الّتي شكلّت الحضارة الإسلاميّة ملامح ماضيها وحاضرها.

وأشار المُستغانميّ إلى أهميّة زيارة جامعة الفارابيّ الوطنيّة في كازاخستان، والتّعرّف على مكتبتها وأقسامها المتنوّعة، لا سيّما (قسم الدّراسات الشّرقيّة)، و(المعهد الدّوليّ للدّبلوماسيّة الثّقافيّة)، مُوَضِّحًا أنّ تلك الزيارات واللّقاءات تأتي في إطار مشروع الشّارقة الثّقافيّ والحضاريّ الّذي يَستَنِدُ إلى الرّؤية الحكيمة لصاحب السّموّ الشّيخ الدّكتور سلطان بن محمّد القاسميّ، عضو المجلس الأعلى حاكم الشّارقة، الذّي يؤكّد أهميّة الثّقافة ودور الكتاب في بناء الإنسان، ويحرص على دعم تعليم اللّغة العربيّة، ونشر رسالة السّلام والتّسامح في جميع بلدان العالم.

وقال: «ناقشنا جملة من المواضيع مع الدّكتور جانسييت توينيبايف، رئيس جامعة الفارابي، الّذي قدّم عددًا من المقترحات، وسَيُشَكِّلُ هذا اللّقاء نواة للتّعاون المُشترك، والعمل الّذي يُعزّز الشّراكات المعرفيّة، ويرتقي بآفاق تعليم اللّغة العربيّة، ونشر الثّقافة والأدب بين دولة الإمارات العربيّة المتّحدة وجمهوريّة كازاخستان، وسنحرص على اتّخاذ إجراءات عمليّة في إطار التّعاون بين (مجمع اللّغة العربيّة) و(جامعة الفارابيّ الوطنيّة في كازاخستان)، وبحث سُبُلِ إجراء تدريب للطلّاب الكازاخيّين في الشّارقة».

من جانبه، أكّد الدّكتور محمّد كامل المعيني، رئيس مجلس إدارة المعهد الدّوليّ للدّبلوماسيّة الثّقافيّة في الإمارات، أهميّة المبادرات الّتي يُطلِقُها المعهدُ بالتّعاون مع مجمع اللُّغة العربيَّة بالشّارقة لدعم تعليم اللُّغة العربيّة لغير النّاطقين بها، وتوطيد علاقات الصّداقة والأخوّة الرّاسخة بين الإمارات وكازاخستان.

بدوره، رحّب الدّكتور جانسييت توينيبايف، رئيس جامعة الفارابيّ الوطنيّة، بالوفد الإماراتيّ، مؤكِّدًا أهميَّة برامج تبادل الأساتذة والمعلّمين والطّلبة، وتنظيم مؤتمرات وندوات ولقاءات مُشتركة بين الجانبَين، مُوَجِّهًا الدّعوة للمُتَخصِّصين في اللُّغةِ العربيَّة لزيارة كازاخستان، وأشار بأنّه سَيَدْرُس إمكانيّة إرسال مُتخصّصين يُتْقِنون اللُّغة العربيَّة إلى الشّارقة لِتَعزيز معرفَتِهم بالتّراث العربيّ والإماراتيّ.

وقال: «من خلال هذا التّعاون سنشارك في تطوير اللّغة في كلا البلدَين، فمكتبة الفارابيّ الوطنيّة حافلة بالكتب والمصنَّفات والمخطوطات الّتي ألَّفها علماء عرب ومسلمون عن الثّقافة العربيّة، وسَتُسْهِم ترجمة الأعمال والمخطوطات القديمة المكتوبة باللُّغة العربيّة إلى اللّغة الكازاخستانيّة، والمصنّفات المكتوبة باللّغة الكازاخستانيّة إلى العربيّة، في تعزيز الحوار والتّبادل الثّقافيّ والعلميّ والمعرفيّ بين الجانبَين».

يشار إلى أنّ (مجمع اللّغة العربيّة بالشّارقة) حقَّقَ إنجازات كبيرة من خلال التَّنسيق بين المجامع اللُّغويّة، وتأسيس مظلّة مُشتركة لدعم أعمالِها وأنشطتها بهدف التّمكين للّغة العربيّة، وحمايتها، وترسيخ دعائمها بين اللُّغات العالميّة، بالإضافة إلى تأسيس (مركز اللّسان العربيّ) لتعليم اللّغة العربيّة لغير النّاطقين بها، وإطلاق (المعجم التّاريخيّ للّغة العربيّة)، المشروع المعرفيّ الّذي يؤرّخ لألفاظ لغة الضّاد، ويُبَيّنُ أساليبَها وتطوُّرَ دلالاتها عبر أكثر من 17 قرنًا.



# مجمع اللّغة العربيّة بالشّارقة
# يعزّز مكانة اللُّغة العربيّة في بولندا

بتوجيهات من صاحب السّمو الشّيخ الدّكتور سلطان بن محمد القاسميّ، عضو المجلس الأعلى حاكم الشّارقة، والرّئيس الأعلى لمجمع اللغة العربيّة بالشّارقة، قدّم المجمع مكرمة لـ (معهد الدراسات الشرقيّة) بجامعة ياجيلونسكيفي في مدينة كراكوف البولندية، بهدف دعم جهوده في تعليم اللغة العربية، والنهوض بدوره في مسيرة الجامعة التي تأسست في عام 1364م، وتُعَدُّ أقدم جامعة في بولندا، وثاني أقدم جامعة في أوروبا الوسطى.

وتضمنت المكرمة توفير مستلزمات تقنية حديثة لأغراض البحث، والطباعة، والتوثيق، وغيرها من المعدات والآلات، لخدمة الهيئة التدريسية للمعهد وطلبته، وتطوير بنيته التحتية، التي توفر سنويًا خدمات لمئات من الدارسين الذين يتوافدون من بولندا وبلدان الاتحاد الأوروبي لتعلّم اللغة العربية.

جاء ذلك خلال زيارة لوفد من المجمع، ضمَّ سعادة محمد حسن خلف، عضو مجلس أمناء مجمع اللغة العربية بالشارقة، ومدير عام هيئة الشّارقة للإذاعة والتلفزيون، والدّكتور امحمد صافي المستغانمي أمين عامّ مجمع اللّغة العربيّة بالشّارقة، وماجد الهولي مدير قسم العلاقات العامّة بالمجمع، وكان في استقبال الوفد عميد كلية اللغات والفيلولوجيا الأستاذ الدّكتور ولاديسلو ويتاليز، والأستاذة الدّكتورة باربارا ميخالاك رئيسة قسم اللّغة العربيّة في جامعة ياجيلونسكي بكراكوف.

واطّلع وفد المجمع على الجهود المبذولة لتدريس اللغة العربية والمناهج المُتّبعة لتعليم الناطقين بغيرها في المعهد، وتعرّف على المرافق التعليميّة والبحثيّة للجامعة وما تشتمل عليه مكتبتها من مراجع ومصادر تخدم الباحثين والطلبة الدارسين للغة العربية، حيث تجوّل الوفدُ في المتحف العلمي الفلكي، وقاعة الاحتفالات، والمكتبة الرئيسة للجامعة، والخاصة بالمعهد.

وحول المكرمة ونتائج الزيارة، قال الدكتور امحمد صافي



المستغانمي الأمين العامّ للمجمع: "تسجّل مبادرات صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى حاكم الشارقة، تاريخًا مفصليًّا في مسيرة النّهوض باللغة والثقافة العربيّة على المستوى المحلّي والإقليميّ والعالميّ، فهذه المكرمة وغيرها من الجهود التي وجَّهَ بها سموّه، أحدثت فارقًا كبيرًا في راهِن اللّغة العربيّة، وشكّلت رسائل عميقة للدّول والمؤسّسات والأفراد للعمل والتّعاون لخدمة لغة الضّاد، باعتبارها إحدى ركائز الهُويّة الثقافيّة العربيّة، والقاعدة الّتي تتشكّل منها مشاركة العرب في النّتاج المعرفيّ الإنسانيّ».

وأضاف المستغانمي: "نتطلع من خلال هذه الزّيارة لواحدة من أعرق الجامعات في أوروبا والعالم، إلى دعم مساعي معهد الدراسات الشرقية وجهوده في خدمة اللغة العربية وتدريسها للناطقين بغيرها، فنحن مؤمنون أنَّ التكاتف والعمل يدًا بِيَدٍ مع المعهد سينهض بمستوى تعليم العربيّة وجَودته، لاسيّما أنّنا في مجمع اللّغة العربية بالشارقة قد تمكنّا من إرساء مناهج وأساليب ميسّرة ومتطوّرة لتعليم العربيّة، ولدينا كوادر مؤهّلة قادرة على بذل إمكاناتها والمشاركة بخبراتها في توجيه خطوات المعهد نحو الوصول إلى أهدافه في فتح المجال أمام الطلبة الأوروبيّين للتّعرّف على جوهر الثّقافة العربيّة من بوّابة اللّغة». من جانبها وجهت الدّكتورة باربارا الشّكر إلى صاحب السّموّ حاكم الشّارقة لدعمه ورعايته المتواصلَين للمؤسّسات التّعليميّة العريقة، واهتمامه الحثيث بتعزيز تواصل ثقافات العالم مع الثّقافة العربيّة وتاريخها المعرفيّ والإبداعيّ، وقالت: «يُسعدُنا توطيد العلاقات بين مجمع اللّغة العربيّة بالشّارقة وبين جامعة ياجيلونسكي في كراكوف، حيث نتطلّع دائمًا إلى تمكين الطّلّاب والطّالبات من تعلّم اللّغة العربيّة ومساعدتهم في إتقانها، والارتقاء بجودة مناهجها وتقنيات تدريسها، ولا شكّ أنّ التّعاون مع المجمع سيحقّقُ هذه الأهداف ويُتيحُ أمامَنا المزيد من الفرص، لتكون اللّغة بوّابة الولوج إلى الثّقافة العربيّة عامّة».

**د. المستغانميّ: مكرمة وجهود صاحب السّمو، أحدثت فارقًا كبيرًا في راهِن اللّغة العربيّة**

تجدر الإشارة إلى أنّ جامعة ياجيلونسكيفي، مُمَثَّلَةً بكليَّة اللّغات والفيلولوجيا، كانت قد كَرَّمَتْ صاحب السّموّ حاكم الشّارقة، الرّئيس الأعلى للمجمع، تكريمًا خاصًّا بمنحه الميداليّة الفخريّة للجامعة، ضمن حفلٍ خاصٍّ أُقيم قبل ثلاث سنوات، وذلك تقديرًا لجهود سموّه في دعم التّبادل الثّقافيّ والحضاريّ بين الأمم والشّعوب.

# مَفْهُومُ النَّحْوِ الوَظِيفِيِّ وَمَبَادِئُهُ



سهام محجوبي
باحثة دكتوراه تخصص لسانيات تطبيقية،
جامعة محمد الخامس/المغرب.

**إنَّ موضوعَ الدّراساتِ اللّسانيّةِ حسبَ المنظورِ الوظيفيِّ هو القُدرةُ اللّسانيّةُ والتّواصُليّةُ، و من ثَمَّ فهو يختلفُ عن باقي التّياراتِ البِنيويّةِ والتّوليديّةِ، فالتّيارُ البِنيويُّ ذو بُعدٍ اجتماعيٍّ بمعنى أنَّ اللّسانَ ظاهرةٌ اجتماعيّةٌ حسبَ دوسوسير، والتّيّارُ التّوليديُّ يسعَى إلى إثباتِ أنّ القُدرةَ اللّسانيّةَ ليست اجتماعيّةً تواصليّةً بل هي قدرةٌ كلّيّةٌ مرتبطةٌ بالفرد، ومن هنا يبرزُ الاختلافُ بين الأنحاءِ الصُّوريةِ والأنحاءِ الوظيفيّةِ، فالأُولى تجعلُ اللّغةَ موضوعًا لها، والثّانية تُراعِي الجوانبَ التّداوليّةَ والمقاماتِ وظروفَ التّواصل، في هذا المقالِ سنتعرّفُ أكثرَ على أهمِّ ما يميّزُ هذا النّحو، ونتناولُ نماذجَه ومبادئَه الأساسيّةَ بالشّرحِ والتّفصيل.**

## 1 - مفهومُ النّحوِ الوظيفيِّ:

تُعرّفُ الوظيفةُ لغةً في قاموس المُعجمِ الوسيطِ بـ: ما يقدّرُ من عملٍ أو طعامٍ أو رزقٍ وغيرِ ذلك في زمنٍ معيّن. والوظيفةُ: العهدُ والشّرطُ، والوظيفةُ: المنصبُ والخدمةُ المعيّنةُ. والجمعُ: وُظُفٌ، ووظائفُ.

ويقالُ: للدّنيا وظائفُ ووُظُفٌ: أي نُوَبٌ ودُوَلٌ.

أمّا اصطلاحًا فقد تتبّعَ الأستاذ يحيى بعيطيش مُجملَ المفاهيمِ التي يدلُّ عليها مصطلحُ الوظيفةِ في المعاجمِ العربيّةِ والغربيّةِ، القديمةِ منها والحديثةِ، وقدِ انتهى به البحثُ إلى أنّ من أهمِّ مفاهيمِ هذا المصطلحِ ما يأتي:

أ- الدّورُ أو الجُزءُ الذي يتفاعلُ مع الكُلّ.

ب- المفاهيمُ السّياقيّةُ والمعاني الدّلاليّةُ التي لها صلةٌ بالوظائفِ التّداوُليّةِ والدّلاليّةِ ذاتِ الطّابَعِ الكُلّي.

ج- الوظائفُ الثّانويةُ التي تُعدُّ انزياحًا عنِ الوظيفةِ التّبليغيّةِ الأساسِ.

إذًا الدّورُ، كمفهومٍ، هو أقربُ المفاهيمِ التي يمكنُ استعمالُها للدّلالةِ على الوظيفةِ. ويفرّقُ المتوكّلُ بين الوظيفة كدورٍ والوظيفة كعلاقةٍ، على أساسِ أنّ «العلاقةَ رابطٌ بنيويٌّ قائمٌ بين مكوّناتِ الجُملة أو مكوّناتِ المركّبِ في حينِ أنّ الدّورَ يخصُّ اللّغةَ بوصفِها نسقًا كاملًا».

وبتعبيرٍ آخرَ «الوظيفةُ باعتبارِها دورًا تقوم به اللّغةُ ككلّ، والوظيفةُ باعتبارِها علاقةً دلاليّةً أو تركيبيّةً أو تداوُليّةً تقوم بين مكوّناتِ الجُملةِ كعلاقةِ «المنفذِ» مثلًا، وعلاقةِ «الفاعلِ» وعلاقةِ «المحورِ».» «فالنّحوُ الوظيفيُّ هو تلك النّظريّةُ التي تنطلقُ من مبدأ أنَّ بِنيةَ الجملة تخضعُ إلى حدٍّ كبيرٍ للوظيفةِ التّواصليّةِ التي جاءت لتأديتِها، أو بعبارةٍ أخرى: أنّ بِنيةَ اللّغةِ تأخذُ الخصائصَ التي تَخدمُ إنجاحَ التّواصلِ وأهدافَه، ومن ثمّةَ فالنّحوُ الوظيفيُّ، كما يقول كونو، "مقاربةٌ لتحليل البِنيةِ اللّغويّةِ تُعطي الأهمّيةَ للوظيفةِ التّواصليّةِ لعناصر هذه البِنيةِ بالإضافة إلى علاقاتِها البِنيويّة».

ومنه فإنّ البِنيةَ اللّسانيّةَ من قواعدَ تركيبيّةٍ وصرفيّةٍ ودلاليّةٍ وصوتيّةٍ تابعةٌ للوظيفةِ (البِنيةُ تتشكّلُ بحسبِ الوظيفة). وكما يقول المتوكّل: هو النّحوُ الذي لا يقتصرُ على الدّورِ الذي تلعبُه الكلماتُ أوِ العباراتُ

في الجملة، أي الوظائفُ التّركيبيّةُ (أوِ النّحويةُ: كالفاعلِ والمفعولِ..)؛ لأنّ هذه الوظائفَ لا تمثّلُ إلا جُزءًا من كلٍّ، تتفاعلُ مع وظائفَ أخرى، مقاميةٍ (أو تبليغيةٍ: هي الوظائفُ الدّلاليةُ، والوظائفُ التّداوليةُ)، بحيث تترابطُ الخصائصُ البِنيويّةُ للعباراتِ اللّغويّةِ، بالأغراضِ التّبليغيّةِ (التّواصليّةِ) التي تُستعمل هذه العباراتُ وسيلةً لبلوغِها. ويُمكنُ توضيحُ ذلك من خلال الرّسمِ الآتي:

مُكوّنٌ تداوُليٌّ

مُكوّنٌ دلاليٌّ

مُكوّنٌ صَرفيٌّ تركيبيٌّ

مُكوّنٌ صَوتيٌّ

شكل1: مُكَوِّنَاتُ النَّحْوِ الوَظِيفِيِّ

«قُدّمتِ الصّياغةُ الأوليّةُ العامّةُ للنّحوِ الوظيفيِّ في كتاب سيمون ديك الذي نُشر سنة 1987 حيث أرسَى هذا اللّغويُّ أُسُسَ النّحو الذي يقترحُه وقدَّمَ الخطّاطةَ العامّةَ لتنظيمِ مُكوناتِه، وقُيِّمَ منذ سنةِ نشْرِ الكتاب، في إطار النّحو المُقترح، بعدّة دراساتٍ تناولت ظواهرَ لُغاتٍ متباينةِ الأنماطِ مكّنتْ لا من تمحيصِ انطباقيةِ هذا النّحو على لغاتٍ طبيعيّةٍ مختلفةِ البِنية فحسب، بل كذلك من إغنائه وتطويره».

## 2 - نماذجُ نظريّةِ النّحوِ الوظيفيِّ:

لقد مرّت نظريّةُ النّحو الوظيفيِّ مُذ نشأتِها إلى اليوم بثلاثةِ نماذجَ هي:

(1-2) نموذجُ ما قبْلَ المِعيار (1978 – 1988) اصطُلِح عليه «نموذجُ الجُملةِ».

(-2)2 موذجُ النّحو الوظيفيِّ المِعيار (-1989 1997) تجاوز نحوَ الجُملة إلى نحوِ النّص من خلال كتابِ ديك (The Theorie of functional Grammar) (نظريّة النّحوِ الوظيفيِّ)، فأصبحَ الجهازُ الواصفُ لهذا النّموذجِ مكوّنًا من ستّة قوالبَ يوضّحُها الرّسم الآتي:

القالَبُ المَنطقيُّ

القالَبُ الاجتماعيُّ

القالَبُ النَّحويُّ

القالَبُ المَعرفيُّ

القالَبُ الإدراكيُّ

القالَبُ البلاغيُّ

الشكل2: قوالبُ الجهازِ الواصفِ لنموذجِ النّحوِ الوظيفيِّ المِعيار



2-3 نموذجُ ما بعد المعيار 1997، ويتضمّنُ النّحوَ الوظيفيَّ الموسّعَ (ماكنزي 1998م)، والنّموذجَ المعجميَّ الوظيفيَّ (مجموعةُ مَدريد)، والنَّحوَ الوظيفيَّ القالَبِيَّ المتعدِّدَ الطّبقاتِ (المتوكل 2003م)، ونحوَ الخطابِ الوظيفيِّ (هنغفلد 2004م).

وقد سعتْ هذه النّظريةُ أن تكونَ بديلًا للنّظريّةِ التّوليديّةِ التّحويليّةِ، وعرفت إقبالًا عليها، وذلك يعودُ -حسبَ المبادئِ المسطّرةِ لنظريّةِ النّحو الوظيفيِّ - إلى أنّها 'اهتمّت بتغطيةِ جوانبَ أساسيّةٍ في الظّاهرة اللّغوية، وسدِّ ثغراتٍ خلّفتْها النّظرياتُ غيرُ التّداوليّةِ في محاورَ حيويّةٍ (الكلامِ، وسياقِ الحال، وملابساتِ الخطاب ....) وإدراجِ ذلك كلّه ضمْنَ وصفِ الظّواهر اللّغويّة وتفسيرِها.

وخلاصةُ القولِ في النّحو الوظيفيِّ، أنّه النّحو الذي يراعِي معاييرَ إنجازِ الكلام في طبقاتٍ مقاميةٍ معيّنةٍ، فالبعدُ التّداوليُّ عمادُ النّظر في وصفِ اللّغة وتفسيرِها.

## 3 - المبادئُ الأساسيّةُ لنظريّةِ النّحوِ الوظيفيِّ (التّصوّرُ المتوكّلي)

يمكنُ تلخيصُ المبادئِ المنهجيةِ الأساسيّةِ للنّحو الوظيفيِّ فيما يأتي:

* وظيفةُ اللّغاتِ الطبيعيّةُ الأساسيّةُ هي وظيفةُ التّواصل.
* موضوعُ الدّرسِ اللّسانيِّ هو وصفُ «القُدرةِ التّواصليّةِ» للمُتكلِّم – المُخاطَبِ.
* النّحوُ الوظيفيُّ نظريّةٌ للتّركيب والدّلالةِ منظورٌ إليهما من وجهةِ نظرٍ تداوُليّةٍ.
* يجبُ أن يسعى الوصفُ اللّغويُّ الطّامحُ إلى تحقيقِ أنواعِ ثلاثةٍ منَ الكفايةِ:

الكِفايةُ النّفسيّةُ.

الكِفايةُ التّداوُليّةُ

الكِفايةُ النّمطيّةُ

يُقصدُ بوظيفةِ اللّغات الطّبيعيّةِ الأساسيّةِ وظيفةُ التّواصل، أي أنّ اللّغويّين الوظيفيّين يقرُّون بأنّ اللّغة ظاهرةٌ إنسانيةٌ اجتماعيةٌ تختلفُ من مجتمعٍ إلى آخرَ غيرَ أنّ ما يُميّزُها أنّها تُستعملُ أساسًا من أجل التّواصل، وبالتّالي فوظيفتُها الأولى هي التّواصلُ، غيرَ أنّ هذا لا ينفي الوظائفَ السّتَّ التي أقرّها جاكبسون، والوظائفَ الثّلاثَ لهاليداي.

ويُؤكّدُ المتوكل أنّ اللّغةَ «أداةٌ تُسخَّرُ لتحقيقِ التّواصلِ داخلَ المجتمعاتِ البشريّةِ».

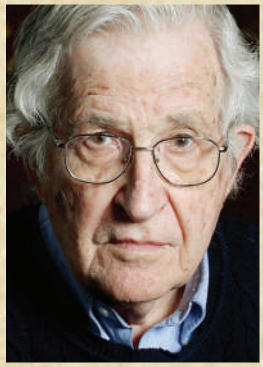
والعباراتُ اللّغويةُ كيفما كانت فإنّ الهدفَ منها غرضٌ ما، وخصائصُها البِنيوية تُكون حسبَ هذا الأساسِ، وهذا يعني أنّ كلّ بِنيةٍ لها غرضُها الخاصُّ، ومن ثَمَّ كانتِ البِنيةُ تابعةً للوظيفة في النّحوِ الوظيفيِّ.

وبما أنّ النّحوَ الوظيفيَّ نظريةٌ للتّركيب والدّلالةِ منظورٌ إليهما من وجهةِ نظرٍ تداوُليةٍ، فهذا يعني أنّه يمكنُنا القولُ «إنّ النّحوَ الوظيفيَّ بمثابةِ نظريّةٍ موسّعةٍ تكامل فيها النّحوُ واللّسانياتُ التّداوُليّةُ، على هذا الأساسِ يندرجُ النّحوُ الوظيفيُّ من حيث أهدافُه المنهجيّةُ في زُمرة الأنحاءِ المُؤسَّسة تداوُليًّا التي تتّخذُ موضوعًا لها خصائصَ اللّسان الطّبيعيّ البِنيويّةَ في ارتباطِها بالوظيفةِ التّواصليّةِ.»

فسيمون ديك قدِ استثمر علْمًا جديدًا الذي هو علمُ التّداوُليّةِ في حقلِ الدّراساتِ اللّسانيّةِ، وأضافَه إلى الجوانبِ التّركيبيّةِ والدّلاليّةِ. «ومنَ الطّبيعي أن يتجاوزَ البحثُ اللّسانيُّ في إطارِه الوظيفيِّ القُدرةَ النَّحويّةَ للّغة إلى القُدرةِ التّداوُليّةِ، ففهْمُ اللّغة فهمًا عميقًا لا يمكنُ أن يكونَ إلّا عن طريق ربْطِها بمختلف الأهدافِ التّداوُليّةِ التي تُستعملُ من أجلها، و بناءً عليه لا يخرجُ النّسقُ اللّغويُّ عن الاستعمالِ اللّغويِّ».

يُقصدُ بـ«القُدرةِ التّواصليّة» للمُتكلّم – المخاطَب، حسبَ سيمون ديك: ما يمكِّنُ مُستعملي اللّغةِ الطّبيعيّةِ منَ التّواصُل فيما بينهم بواسطةِ العباراتِ اللّغويّةِ، أي ما يمكّنُهم منَ التّفاهم والتّأثيرِ في مُدّخرِهم المعلوماتيِّ، والتّأثيرِ حتى في سلوكِهم الفعليِّ عن طريقِ اللّغة .

وهي قُدرةٌ تَجْمَعُ بين النّحوِ والتّواصُل، عكسَ ما ذهب إليه


نعوم تشومسكي


سيمون ديك


ديسوسير

تشومسكي الذي يرى أنَّ القُدرة قُدرتان: قُدرةٌ نحويّةٌ وقُدرةٌ تداوُليّةٌ.

والقُدرةُ التَّواصُليّةُ تتضمّن ستّةَ قوالبَ هي: القالَبُ النَّحويُّ والقالَبُ المنطقيُّ والقالَبُ الاجتماعيُّ والقالَبُ المعرفيُّ والقالَبُ الإدراكيُّ والقالَبُ البلاغيُّ، تتكفَّلُ برصـد الملَكـات السّتّ: الملَكةُ اللّغويّةُ والملَكةُ المنطقيّةُ والملَكةُ الاجتماعيّةُ والملَكةُ المعرفيّـةُ والملَكةُ الإدراكيّـةُ والملَكةُ البيانيّةُ على التّوالي،

وانطلاقًا من هذا التّصوّرِ صاغَ الوظيفيّون الجهازَ الواصفَ في النّحوِ الـوظيفيّ، فـي شكلِ نموذجٍ لمستعملِي اللّغةِ الطّبيعيّةِ، كما هو مُوضَّحٌ في الرّسم السّابقِ تقديمُه.

فالملَكةُ اللّغويّةُ هي حاضرةٌ دائمًا في عمليّةِ التّواصل، وهي التي تمكّنُ مُستعملَ اللّغةِ من إنتاجِ عددٍ لا مُتناهٍ منَ الجُمل في مقاماتٍ مختلفةٍ، وهي تقابلُ القالَبَ النّحويَّ، والملكةُ الاجتماعيّةُ هي التي تُمكّنُ مُستعملَ اللّغةِ الطّبيعيّةِ من موقفٍ تواصُليٍّ معيّنٍ لتحقيقِ أهدافٍ تواصُليّةٍ محدّدةٍ مع مختلف المتخاطِبين، فتطابقُ أقوالُه العاداتِ الكلاميّةَ والأعرافَ في المجتمع، وهي تقابلُ القالَبَ الاجتماعيَّ.

أمّا الملَكةُ المعرفيّةُ فتُمكّنُ مستعملَ اللّغة من تكوينِ رصيدٍ معرفيٍّ منظّمٍ منَ المعارف اللّغويّةِ وغيرِ اللّغويّةِ، واستخدامِها في تأويلِ مزيدٍ منَ العباراتِ اللّغويّةِ، وهي تقابلُ القالَبَ المعرفيَّ.

والملَكةُ الإدراكيّةُ تمكّنُ مُستعملَ اللّغةِ من إدراكِ محيطِه وإنتاجِ العباراتِ اللّغويّةِ وفهْمِها انطلاقًا من موقفِ التّواصل ذاتِه، وتقترنُ هذه الملَكةُ بالقالَبِ الإدراكيِّ. أمّا الملَكةُ المنطقيّةُ فيتمكّنُ من خلالها مُستعملُ اللّغة منَ اشتقاقِ معارفَ انطلاقًا من مبادئِ المنطقِ الاستنباطيِّ، وتقابلُ القالَبَ المنطقيَّ. «والملَكةُ البيانيّةُ (الشّعريّةُ) هي التي تمكّنُ فئةً منَ المُبدعين من إنتاجِ أثرٍ فنّيٍ، وهي من ملَكاتِ مُستعملِ اللّغة العامّةِ تُشكّلُ جُزءًا من قدرتِه اللّغويّةِ و قدِ اقترحَ القالَبَ البلاغيَّ لها».

---

1 - المعجم الوسيط، الطبعة الرابعة ص 1042

2 - ينظر: يحيى بعيطيش، نحو نظرية وظيفية للنحو العربي، ص: 33.

3 - أحمد المتوكّل، التركيبات الوظيفية (قضايا ومقاربات)، (المغرب: دار الأمان، ط 1 /2005) ص: 23.

4 - أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية مدخل نظري، دار الكتاب الجديد المتحدة، الطبعة الأولى1987، ص: 50.

5 - كونو، التركيب الوظيفي، نقلا عن: أحمد المتوكّل، اللسانيات الوظيفية (مدخل نظري)، ص: 10 .

6 - نفسه، ص: 137.

7 - أحمد المتوكل: قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، بنية الخطاب من الجملة إلى النص، ص: 38.

8 - مسعود الصحراوي، المنحى الوظيفي في التراث اللغوي العربي، مجلة الدراسات اللغوية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، المجلد 5، العدد 1، أبريل/ يونيو، 2003، ص: 13.

9 - أحمد المتوكل، دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، الطبعة الأولى 1986، ص: 9.

10 - أحمد المتوكل، المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي (الأصول والامتداد)، ص: 20.

أحمد المتوكل: من البنية الحملية إلى البنية المكونية: الوظيفة المفعول في اللغة العربية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، ط1، 1987، ص: 5.

12 - حافظ اسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، ط1، بيروت: 2009، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ص: 346.

13 - ينظر، أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، ص: 16.

14 - أحمد المتوكل، الخطاب وخصائص اللغة العربية، دراسة في الوظيفة والبنية والنمط، دار الأمان، الرباط، ط 1، 2010، ص: 13-14.

# صَلاةُ الخَوْفِ



شعر/ أبوزيد إسماعيل علام
جمهورية مصر العربية

أَرْتَاعُ بَيْنَ غُرُورِهَا وَ غُرُورِي ... بَيْنَ الجَحِيمِ وَلَذَّةِ التَّدْمِيرِ
بَيْنَ الوُقُوفِ عَلى القَصِيدَةِ عَارِيًا ... وَ تَلَبُّسِ المَكْشُوفِ بِالمَسْتُورِ
بَيْنَ الطَّوَافِ وَمَا لَدَيَّ إِجَازَةٌ ... فِي مَسْحَةِ التَّقْرِيرِ بِالتَّقْرِيرِ
أَرْتَادُ إِيمَانًا يُقَلِّصُ عَتْمَتِي ... وَنُضُوجَ أَسْئِلَتِي وَ وَحْيَ حُضُورِي
كَيْ لا أَنَامَ عَلى الهَزِيمَةِ مَرَّةً ... أُخْرَى وَ أَفْقِدَ بَهْجَتِي وَسُرُورِي
يَا رَبِّ قَدْ شَابَ الطَّرِيقُ وَمَا مَعِي ... غَيْرِي، وَأَخْشَى أَنْ أَسِيرَ لِزُورِ
لِي فِي صَلاةِ الخَوْفِ فَرْضٌ قَائِمٌ ... وَ تَمَسُّكٌ يَطْغَى عَلى التَّعْبِيرِ
وَأَخَافُ مِنْ عُرْيِ السُّؤَالِ وَمِنْ دَمِي ... وَمِنَ الرُّجُوعِ بِخَافِقٍ مَكْسُورِ
وَمِن انْتِفَاخِ الزَّيْفِ بَيْنَ مَشَاعِرِي ... وَمِنَ التَّوَرُّمِ فِي وَرِيدِ شُعُورِي
حَتَّى مَرَاسِيمُ القَصِيدِ تَمَرَّدَتْ ... وَغَدَتْ تَبُثُّ المَوْتَ فَوْقَ سُطُورِي
وَأَنَا بِأَنْصَافِ الحُلُولِ مُحَاصَرٌ ... وَغَدَا بَشِيرِي فِي الحَيَاةِ نَذِيرِي
قَلِقٌ وَيَسْلُكُنِي الطَّرِيقُ بِمُفْرَدِي ... وَالخَوْفُ صَارَ مُبَرِّحًا تَفْكِيرِي



# عَجِيبٌ لِأَمْرِ الكُتْبِ

شعر/ إبراهيم بن محمّد نور بن سيف

تَحَيَّرْتُ فِي كُتْبٍ تَعَشَّقَهَا قَلْبِي ... فَأَضْحَى كَمِثْلِ الهَائِمِ المُدْنَفِ الصَّبِّ
فَقُلْتُ لَهُ يا قَلْبُ لا تَشْكُ حَيْرَةً ... فَلَيْسَ عَلى مَنْ هَامَ بِالكُتْبِ مِنْ عَتْبِ
فَفِيهَا ضِيَاءُ العَقْلِ فِيهَا مَوَاعِظٌ ... وَفِيهَا ارْتِيَاحُ البَالِ فِيَا رِضَا رَبِّي
وَأَسْتَنْشِقُ التَّارِيخَ مِنْ طِيبِ مِسْكِهَا ... وَأَسْتَحْضِرُ الأَجْيَالَ مِنْ عَرْفِهَا الرَّطْبِ
وَكَيْفَ وَقَدْ أَضْحَتْ تُضاحِكُ مُهْجَتِي ... وَتَرْقُبُنِي بَيْنَ الخَزَائِنِ وَ الكُتْبِ
بِهَا أُتْرِعَتْ رُوحِي وَكُلُّ مَسَالِكِي ... وَقَدْ سُقِيَتْ مِنْ خَمْرِهَا أَوَّلَ النَّخْبِ
فَكُتْبٌ غَدَتْ فَوقَ الرُّفوفِ وَظِلُّها ... كَكُتْبٍ تَفَيَّا ظِلَّها القَلْبُ فِي حُبِّ
أُضاحِكُها طَوْرًا وَأَجْثُمُ تَارَةً ... لِأَسْتَخْرِجَ المَكْنونَ مِنْ دَاخِلِ الجُبِّ
فَتَضْحَكُ إِذْ تَرْنو إِلَيَّ مُطَأْطِئًا ... بِهَامَةِ قَلْبِي رَاشِفًا صَفْوَةَ الحَلْبِ
وَتَرْقُصُ أَحْيَانًا لِنَشْوَةِ فَرْحَتِي ... إِذا رَمَقَتْ عَيْنَ الرِّضَا دَاخِلَ القَلْبِ
عَجِيبٌ لِأَمْرِ الكُتْبِ قَدْ صارَ عِشْقُها ... كَلَيْلَى بِهَا المَجْنُونُ فِي ذَلِكَ الدَّرْبِ
يُقَبِّلُ جُدْرَانًا وَيَشْتَمُّ رِيحَهَا ... وَيَلْثُمُ أَبْوَابَ البُيُوتِ بِلا لُبِّ

وَقَدْ راحَ عَنْها السّاكِنُونَ وأَصْبَحَتْ ... خَلاءً مِنَ العُمَّارِ وَالأَهْلِ والصَّحْبِ

وَأَطْلالُها لَوْلا المَحَبَّةُ أَوْحَشَتْ ... لِمَنْ مَرَّ حَتَّى لا يُعَرِّجَ في قُرْبِ

وَأَغْرى بِها أَنّي عَلى عَهْدِ حُبِّها ... مُقيمٌ وَما غَدْرٌ تَصَوَّرَهُ قَلْبي

وَكَيْفَ وَقَدْ صارَتْ حُشاشَةُ رُوحِهِ ... وَلُحْمَتُهُ مِنْ نَسْجِهِ في سَدَى الهُدْبِ

أَلا فاعْلَمُوا لِلْكُتْبِ قَدْرًا مُؤَثَّلًا ... فَلا حاسِباتٌ -عَنْكَ- تُغْني ولا تُنْبي

وَلَيْسَ تَضيقُ الدَّارُ ذَرْعًا بِجَمْعِها ... فَقَدْ بُورِكَتْ في كُلِّ حالٍ بِلا رَيْبِ

وَلَبُّوا بِدارًا مَعْرِضَ الكُتْبِ إِنْ دَعا ... بِغَيْرِ تَوانٍ أَفْرِغُوا مُحْتَوى الجَيْبِ

وَلا تَخْشَ إِقْلالًا أَخا الكُتْبِ واسْتَعِنْ ... بِذي العَرْشِ واسْتَمْطِرْهُ غَيْثًا مِنَ السُّحْبِ

أَلَا لَا تَلُمْ يا مَن بَخَسْتَ بِضاعَتي ... لِتَعْذِلَني أَوْ أَنْ تُفَكِّرَ في سَبِّي

أُعيذُكَ بالرَّحْمنِ مِنْ جَهْلِ جاهِلٍ ... -تُقَلِّدُهُ- في ذاكَ- أَو فارِغِ اللُّبِّ

فَمُعْتَصَمي الرَّحْمَنُ فيما قَصَدْتُهُ ... لِيُمْطِرَني غَيْثًا بِما في ذُرى الكُتْبِ

وَيَنْفَعَ غَيْري بَعْدَ مَوْتي بِنِيَّتي ... بِأَنْ يَتَوالى خَيْرُها وافِرَ الصَّبِّ



# وَرَدَّ عليــه مداعــبــة:



شعر/ الدكتور أحمد بن عبد العزيز الحداد

كبير المفتين، مدير إدارة الإفتاء في دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري في دبي

هَنيئًا لَكُم يَا عاشِقي الكُتْبِ حِينَما ... نَشَدْتُمْ حَنِينَ الكُتْبِ في أَبْلَغِ الحُبِّ
فَنِعْمَ غَـرامٌ أَنْ يَـكُـونَ لِـذي هُـدًى ... يُسَاقُ مِنَ الأَوْرَاقِ في غَايَةِ القُرْبِ
فَـهَـذا هُـيَـامٌ صَـالِـحٌ وَابْـنُ صَـالِـحٍ ... عَرِيقٌ بِهِ الصُّلَّاحُ في سَائِرِ الحِقْبِ
فَلُذْ يَا أَخَا الخَيْرَاتِ بِالكُتْبِ وَارْجُهَا ... وَلَا تَخْشَ إِقْـلالًا مِنَ الوَاحِدِ الـرَّبِّ
فَفِي كُتُبِ التَّارِيخِ وَالفِقْهِ وَالهُدَى ... مِنَ السُّنَنِ الغَرَّا تَـرَى غَايَةَ القُرْبِ
وَفِـي فَنَنِ التَّفْسِيرِ وَالـنَّـحْـوِ مَرْتَعٌ ... لِمَنْ يَبْتَغِي نُـورًا يُضِيءُ مَعَ الـدَّرْبِ
وَفِي غَيْرِهَا مِنْ سَائِرِ العِلْمِ تَنْتَحِي ... بِـهِ سَلْوَةَ الدُّنْيَا فَتُغْنِيكَ عَـنْ حِبِّ
فَـمَـا حُــبُّ لَيْلَى الـعَـامِـرِيَّـةِ عِنْدَمَا ... تَـرَى غَانِيَاتِ العِلْمِ كَالأَغْصُنِ الغُلْبِ
فَـمِـلْ طَـرَبًـا ثُـمَّ ابْـتَـهِـجْ مُـتَـرَنِّـمًـا ... إِذَا أَبْصَرَتْ عَيْنَاكَ مُغْدَوْدِقَ السَّكْبِ
وَلُذْ يَا أَخَا الإِسْلَامِ بِالكُتْبِ وَاجْتَهِدْ ... بِـأَنْ تَقْتَنِي مِنْهَا المُنِيرَ مِنَ الشُّهْبِ
وَإِيَّـــاكَ أَنْ تَـغْـشَـى هَـشَـاشَـةَ كَـاتِـبٍ ... يُسَطِّرُ في الأَوْرَاقِ مِنْ سَيِّئِ الكَتْبِ



# «وَقْفَة مَع ديوان الخوافي»

**لعلَّ الأصعبَ من نظْمِ الشِّعرِ هو الحديثُ عنه، حيث يجدُ المرءُ نفسَه أمامَ سبيلَيْن: مقابلةِ الصُّورة بالصُّورة، أو اتّباعِ الطّريقِ الممهَّد بآليات التّحليلِ النّفسيِّ ويقينِها المتسرِّع؛ وفي كلِّ الأحوالِ تقصرُ غايةُ السّائر عن خفايَا الطّريقِ، فمن هو الّذي يزعمُ أنّه يُجاري الرُّوحَ التوّاقةَ في لحظةِ الخلْقِ والحلم بالوجودِ الذي هو صورةٌ حلميّةٌ في الأصل!**

**وإنّ قدَرَ الشِّعرِ يقعُ لحظةَ دخولِ قارئِه (المخاطَب - الآخر - الغائب) في كونٍ تتجدّدُ فيه الرّوابطُ مع الأمل، حيث تعيشُ الموجوداتُ حياتَها السّريّةَ والشّاعرُ يُنصتُ لها ويهَبُها لغتَه، فهو وسيطُ روحِ الكائناتِ وحامِي ذاكرةِ الكلماتِ وتُرجمانُ الوجود.**

**فالأخيرُ «نغمةٌ تتوقُ لمن يسمعُها».**



فدوى العبود
سوريا

تعدُّ مجموعةُ «الخَوَافِي» للشّاعر العراقِي جراح كريم، بعدَ مجموعتِه الأولى «قابل كلّ صورة» تتمّةً لمشروعه الشِّعريّ القائم على اجتماع الكلِّ في الجزء، والجزءِ في الكلّ، وطموحًا للاستماع في أعلى درجاته، فالمجازُ الشّعريُّ والصّورة البصريّةُ والعبارةُ المكثّفةُ مهمّتُها «إدخالُنا في متاهاتِ الطّبيعة الحميمةِ للكائناتِ».

ومن خلال تكثيف الحُضورِ الحسّيِّ للذّات في العالَم وللعالَم في الذّات يتمُّ التّمويهُ على المعنى الفلسفيِّ والميتافيزيقيِّ للغياب؛ بابتكارِ بُعدٍ ثالثٍ لا يَعنيه تعميقُ أو نفيُ العلاقة بين ثُنائيّةِ الوجود (الحياةِ/ الموتِ) بقدْرِ ما يرومُ تجاوُزَها؛ ما يجعلُ النّصَّ مَحفلاً لاجتماع الأضدادِ المتنافرةِ ظاهرًا المُلتئمة باطنًا (الرّقة/ القسوة) (الرّهافة / الغِلظة) بين رِقّة الدّانتيل - ونبتةِ الصبّار القاسية - بين الصّراعِ الوحشيِّ وعذاباتِ الماتادور-عمقِ الجُبّ، وصفحةِ النّهر.

**غاستون باشلار: الشّعرُ هوَ أَحدُ أقدارِ الكَلام**

في تعدُّدٍ صوتيٍّ لافتٍ، يمنحُ فيه الشّاعرُ كينونتَه للأشياء لتتحدّثَ، ويستعيرُ كينونتَها ليتحرّرَ؛ فالكائناتُ مساويةٌ للذّات في درجة الوجودِ وغيابِها، حضورٌ يتحرّرُ الوعيُ الشّعريُّ من خلالِه، فالوجودُ يرغبُ بالتّحدّثِ إلينا أو بتعبيرِ باشلار إنّ «المياهَ التي تنامُ في المستنقع، والنّارَ تحت الرّماد، وكلُّ هواء العالَم المتكثّفِ في عطرِ زهرةٍ، كلُّ هؤلاء يشهدون بنومِهم العميق هذا على حُلْم لا ينتهي، كلُّ شيءٍ يتكلّم يعيشُ حياةً سريّةً، والشّاعرُ يُنصتُ ويردّد، إنّ صوتَ الشّاعر لَهُو صوتُ العالَم».

فالرّغبةُ بالإصغاء تنتقلُ إلى القارئِ ويحدثُ الاستماعُ القلبيُّ، وتتناوبُ الموجوداتُ الغَفلةُ (النّبتةُ – الجنينُ – النّهرُ- الرّملُ – العاقرُ-) على الحديث؛ ما إن يمسَّها الوعيُ بتيّاره فتصبحُ العزلةُ إغراءً بالمشاركة وامتلاءٍ وجوديٍّ، -هذا إذا اعتبرنا أنه لا توجدُ عزلة

بل عزلاتٌ، ولا توجدُ وحدةٌ بل توحّداتٌ - فشتّان بين عزلةٍ مغلقةٍ على الذّات وأخرى منفتحةٍ على الكون، فإنّ للصّمتِ صوتًا مسموعًا هنا.

وعزلةُ الشّاعر في قصائدِ «الخوافي» هي امتلاءٌ بالوجودِ والموجوداتِ «إذا جئتَ فهاتِ الكُلَّ معك»

لنسمعْ نبتةَ الصّبّار التي تعيرُ صوتَها للذّات ويصبحُ حالُها حالَ الأخيرةِ.

**«هم فصّلوا جَسَدِي علَى أُصُصٍ تَضيقُ بفِكرتِي**

هم شبَّهوا حِضْني بقسوتِهم، وماعقدُوا صداقتَهم معِي

إنَّ تاجَ الشّوك وما يُثيرُه في المُتلقّي من دلالات، يضعُنا أمامَ مجازٍ لمجازٍ يليه مجازٌ، في عمليّةٍ لا تتوقّفُ عن إحالاتِها الجماليّةِ والوجوديّةِ "وخلعتُ تاجَ الشَّوكِ عن جَسَدِي، لأُنجبَ زهرةً من رقَّة الدانتيل تصعدُ ثمَّ تذبلُ في هدوءٍ غامضٍ»

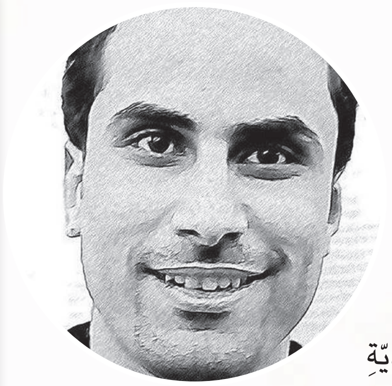
لا شكّ أنّ السّماع هنا وهو مرتبةٌ روحيّةٌ، يتمُّ عبْرَ القلب ويتحقّقُ فيه الشّرطُ الأوّلُ للحبّ (الإنصات)، فالكائناتُ لا تبوحُ ولا تتحدّثُ إلاّ في الإنصات المزدوج الدّلالةِ، الأعماقِ الذّاتيةِ للشّاعر والحياةِ السّريـــــّةِ للكائنات وللوجود، ولكي نفهمَ لغةً كهذه، يجبُ بحسب باشلار «أن يحصُلَ انقلابٌ لتأخذَ التّعابيرُ المجازيةُ كاملَ حقيقتِها».

**وَحْدِي الآن، من عرفتُ النّهارَا**
**لا يعيشُ المجازُ إلاّ ابتكارَا**

إنّ مجازَ المسيحِ، والسّيرَ فوق الماء يُحيلُ للمعاناةِ ولعالَم ضاجٍّ بالدّلالاتِ؛ فالماءُ يحسُّ ويرّى ليُتيحَ للسّائر فوقَه أن يعبرَ سواءً - من خلال تجمّد سطْحِه أو بإيقاف جاذبيةِ جسَدِ العابرِ بحسبِ متى هنري - فهو يتحوّلُ إلى كينونةٍ حيّةٍ تسري عليها أطوارُ الحياة من تبدّلٍ وتغيُّرٍ وألمٍ وحضورٍ، والذّات تملكُ هذا السّرَّ، (سرّ الرُّؤية).







جراح كريم

**كنت أمشي على المياه مسيحًا**
**ليس يدري بما لديه النَّصارى**

وهذا التّبادلُ الكينونيُّ (التّبادلُ الهُوياتيُّ) بين الشّاعر والموجودات، هو مجازٌ عن توقُّفِ تيّارِ الموتِ وأبديّةِ الهناءةِ وغبطةِ الكتابة «مثلَ نهرٍ - أسيرُ كُلّي حَياةٌ - ماتَ عِشقًا لوْ للوراء استدارَا» ويصلُ هذا التّوحّدُ أقصاه؛ ويصبحُ الشّعرُ مصدرَ قوّةٍ وحياةٍ، فيبلغُ نُكرانُ الذّات ذروتَه وتتألّقُ عبرَه الموجوداتُ، فتستردُّ الذّاتُ كينونتَها الغائبةَ خلْفَ المتطلّباتِ الاجتماعيّةِ والعمليّةِ التي غرّبتْها وأبعدتْها عن بهجتِها.

يتزامنُ الحِسيُّ والصوفيُّ في الخوافي، وعبْرَ تبادليّةٍ مع الكائناتِ عبْرَ السّمعِ تُضاف له حاسّة الشّمِّ وهي أكثرُها ضراوةً، فالرّائحةُ تحفظ عالمَــــا بأكمله، وهي وسيلةٌ للقول، وحضورٌ مكثّفٌ دونَ كلمات. قال شاعرٌ منسيٌّ «لأنّ الرّوائحَ كالأنغامِ الموسيقيّةِ، هي منَ التّساميَّاتِ النّادرةِ لجوهرِ الذّاكرةِ، فالذّاكرةُ مُخلصةٌ لعطورِ الماضي».

**«قبْلَ الرّحيلِ أشمُّ ما لا أستطيعُ شراءَهُ**
**فتفوحُ رائحةُ الكلامْ**
**تتثاءبُ الذِّكرى وعصفورٌ أشاحَ برأسِه**
**من تحتِ ياقتِها ونامْ»**

إنّ فكرةَ تملّكِ الوجودِ الغائبِ تتأكّدُ من خلال التّكرارِ الذي يتمثّلُ كضرورةٍ فنّيّةٍ ويمكنُنا قراءتُه دلاليًّا وجماليًا عبْرَ تصويرِها الحالةَ النّفسيّةَ والموسيقيّةَ التي تحتويها وتحقيقِها لترابُطِ النّصّ الشّعريِّ كاملاً لتعقُّبِ الغائبِ منَ الموجودات، وفي «نستالُوجيا الملابس المستعملة» تتكرّرُ عبارةُ: «لا شيءَ يرحلُ كاملاً»، مع مطْلَعِ كلِّ شطْرٍ شِعريٍّ وهي دلالةٌ توكيديّةٌ، ورفضٌ مشحونٌ بوعي معذّبٍ للغياب؛ إنّه عنادُ الوعيِ الشِّعريِّ إزاءَ مُفردةِ الفقْدِ، وقصدُه الشِّعريُّ ماثلٌ هنا بالضّبط وهو أن يأخذَ بيد المتلقّي نحو الدّخولِ في الكون الشِّعريِّ الذي أثّثهُ بالموجودات الغائبةِ ـ الصامتةِ - القابعةِ في الظّلّ.

كما أنّ تكرارَ الضّميرِ «أنا» في هذا الكونِ الشِّعريِّ هو ظاهرةٌ نفسيّةٌ؛ فأنا هنا تدلُّ على ذاتِ الشّاعر/ ذاتِ الموجود/ ذاتِ القارئ.

**«أنا لا أحبُّ ملابسَ البالات»**

لكنَّ الأنا تتكرّرُ في صيغةٍ توحّدُ بين الذّات المخاطَبة وبين الكائنِ الغَفلِ في قصيدةِ «الرّمل» بحيث تلتبسُ الحدودُ بينهما، فهل هي سِماتُ الذّات أم سِماتُ الكائنِ الطبيعيِّ.

**أنا ضحكةُ الشّمس مطحونةً بين أيدي الجهات**
**أنا نمشٌ بعثرتني الحياةُ على وجنةِ الأرض**

إنّ توكيدِ صوتِ الكائناتِ المَنسيّةِ أو المُجهَضةِ كصوتِ الجنينِ في قصيدةِ روح: «أنا صورةُ الله التي لم تكتمل».

**أو المرأةِ العاجزةِ عن الإنجابِ في عاقر**
**أنا امرأةٌ من زجاج**
**تُهشّمُ وردي حصاةُ كلامٍ**



تتجاوزُ فيها (الأنا) هنا دلالةَ التّوكيدِ الصّوتيّةِ إلى التّوحُّدِ في الذّات وتحقّقِ وظيفيّةٍ فلسفيّةٍ، فالأنا مبثوثٌ في كلّ الوجود، وكلُّ موجودٍ له أناه الجُزئيّةُ التي تتوقُ للكلّيّ والكلّية، وهدفُ هذا التّكرار لضمير المتكلّم وغنائيتِه إثارةُ شعورِ قارئِه ورغبتِه بالإنصات مِن ثَمَّ تركُه للتّوحّدِ والتّماهي مع الكائنات المُماثلةِ له في الحضور.

يمكنُ الانتباه إلى تحوُّلٍ ـ شديدِ الثّراء – في دلالاتِ الأنا والتي كانت في الشِّعر تخصُّ الفخرَ والرّثاء، وكانت لها دلالةُ التّنديد أو الخصومةِ وكان ظهورُ ضميرِ الأنا يعني تأزُّمًا وصراعًا مع الذّوات الأخرى.

لكنَّ «الأنــا» هنا تتماهَى مع الكائنات وفيها، وهي تتحدّثُ بعيداً عنِ الضّجيج المُعتادِ لهذا الضّمير في الشِّعر الكلاسيكيِّ، وفي بعض المقاطع تبلغُ الأنا قمّةَ ثَرائِها وتألُّقِها الجماليِّ ولا سيمَا قصائدَ الكائناتِ الصّامتةِ المضحّيةِ والمُضحّى بها (العاقرُ- الجنينُ – الرّملُ).

وبهذا يخرجُ الأنا من دائرةِ الوجودِ المُنغلق، إلى رؤيةٍ شاملةٍ وكونيةٍ، ويشكّلُ إلى جانب التّكرار أسلوبيّةً فنّيّةً ومبتكرةً لما يريدُ الشَّاعرُ ترسيخَه وتعميقَه؛ وهو الانتباهُ إلى الجوانبِ المُستترةِ في الوجود؛ ومنحُ صوتِه للمَنسيِّ، وهذا يُفصحُ لنا عن رغبتِه في تأكيدِ كلِّ ذرّةِ وجودٍ، وهو يحقّقُ إلى جانب هذه الوظيفةِ غنائيّةً مُبهجةً وكونًا يبدو أشبهَ بسيمفونيةٍ تُعزفُ منفردةً من خلال كلِّ عازفٍ ومجتمعةً في نسيج كليٍّ. أمّا الكينونةُ (الذّات) فهي متجدّدةٌ دائمةٌ في هناءةٍ وطُمأنينةٍ شبيهةٍ بسكينةِ المياه، لكنّها تحوِي الكثيرَ في أعماقِها، ولهذا فإنّ لِمفردة المياه والنّهر حضورًا طاغيًا في مجموعة الخَوافِي، بحيث يتمُّ تدويرُها في عشرات التّراكيبِ اللمّاحةِ.

فالنّهرُ حكيمٌ متأمّلٌ، ثابتٌ وساكنٌ وهو مُوازٍ للرّوحِ

**الأنا مبثوثٌ في كلّ الوجود، وكلُّ موجودٍ له أناه الجُزئيّةُ التي تتوق للكلّيّ والكلّية**

الإنسانيّةِ وما تَمُورُ به. «فالأسماكُ مجازُ النَّهرِ وأنجبَ منها دهشتَهُ»

**ليعرّفنا أنَّ النّهرَ استغراقُ العارفِ**
**والسّمكَ الموجودَ بداخِله ليس سوى السِّرّ**
**متى ما أُخرِجَ من معناهُ**
**سيفقدُ حكمتَهُ**

والنّهرُ هو مجازٌ عن حوض السّمكِ وعنِ الوجودِ بأكملِه.

**في حوضٍ أصغرَ من حُلْمٍ يحضنُ نهراً**
**كي لا تشعُرَ بالغُربةِ فيه الأسماكُ**

**

**هل هذي الدّنيا حوضٌ**
**وصبيُّ الأقدارِ يواصلُ رمْيَ حجارتِه كي يُكْسَرْ؟!**

إنَّ الطّموحَ الشِّعريَّ للخوافي طموحٌ استعاديٌّ، فالوعيُ الشعريُّ يُضاءُ بالكائنات، والكينونةُ تتحدّثُ من خلاله؛ عبْرَ انعكاسٍ متبادلٍ يبتكرُ الصُّورةَ التي تعبِّرُ عن هذا الوعيِ الوَلوعِ بالعناصرِ، الشّغوفِ بالأبدِ؛ الذي يولدُ مِراراً وتكراراً.

إنّ الصّورة هنا تعاودُ خلْقَ العالَم عن طريق اللُّغةِ؛ وتتملّكُ الوجودَ لاستعادةِ براءةِ الأشياءِ بجَعْلِ الخيال مَرئيًّا والظاهرِ أبديّا، فالصّيرورةُ على سبيل المثال عند الفيلسوف اليُوناني هيراقليطس -الفيلسوفِ البكّاءِ - في مراقبتِه للكينونةِ المتغيّرةِ؛ قد أتت من شرطِه الفلسفيِّ، لكنَّ الأخيرَ -وبخلاف الشّرط الشِّعريِّ ـ لم يفعلْ سوى تَهييجِ حُزنِ الفيلسوف الذي آمن أنَّ كلَّ شيءٍ يمضي دون عودةٍ، لكنَّ الصّيرورةَ في "الخَوافي" هي التّبدّلُ الظاهرُ، فلا شيءَ يمضي والكلُّ مُستوعَبٌ في الكلِّ ومُحتضنٌ له بحميميّةٍ وحُبٍّ.

**كنتُ ماءً وقد تكثَّفَ جِسْمي**
**مذ توحَّدتُ فيهِ صرتُ بُخارا**


غاستون باشلار

فرمزيّةُ النهر ماثلةٌ في شفافيتِه، تنعكسُ عليه كلُّ الموجودات، والشَّاعرُ في هذا مشابِهٌ له، وفي شفافيتِه يمكنُ للأشياءِ والموجوداتِ أن تتألّقَ على صفحتِه كما يتألّقُ القمرُ والسّماءُ على صفحةِ نهرٍ، إنّه يضاعفُها ويحتفلُ بها وبكينونتِها الفريدةِ.

هذه الوحدةُ بين الوعي الشِّعريِّ وبين الأشياءِ، كونيّةٌ وأزليّةٌ، فالعالَم بكاملِه يتكثّفُ هنا فلا نفقدُ فيه شيئًا والذكرياتُ تتجسّدُ في هيئةٍ جديدةٍ.

**لا شيءَ يرحلُ كاملاً، هذي الملابسُ هاهنا**
**فيها ملامحُ مَنْ مضَوْا**
**هي مثلُ خفقةِ جُنْحِ طيرٍ**
**لا تزالُ طريّةً عنها الهواءُ عيونَه لا يُغْمضُ**

إنّ الانفتاحَ على العالَمِ الموضوعيِّ، والدّخولَ فيه يؤدِّي إلى تكوينِه من جديدٍ، لكنْ عبْرَ مسافةٍ تتّخذُها الذّاتُ الشّاعرةُ «بعيداً عنِ الأرضِ أبصرتُ أكثرَ»

والكائناتُ تتحدّثُ إلينا، وإذا أصغيْنَا إليها فإنّنا نتواصلُ معها، معها فيغدُو «الأنا» كمرآةٍ سِحريّةٍ وتتشكّلُ الذّاتُ بحسبِ أطوارِ الموجوداتِ دونَ أن تفقدَ خاصّيتَها.

يعلِّمُنا الوعيُ الشِّعريُّ كيف يمكنُ للخيال أن يتملّك العالَمَ عبْرَ تشييدِ كوْنٍ منَ الكلماتِ!

**مَن منّا اصطادَ الآخرَ؟**
**لا أعرفُ!**
**لكنّي الآن أُمارسُ دورَ المِرآة**
**وأسبحُ داخلَ جِسْمي**
**أتوحّدُ في النّهرِ وأعكسُ وجْهَتَه**

إنّ الكائناتِ والموجوداتِ ماثلةٌ في أعماق الذّاتِ فالموجودُ هو الكلمةُ، والكلمةُ هي الموجودُ، وكلاهما ينعكِسان على الأنا "الأنا قابل كلّ صُورة" أما

القصيدةُ فهي بيتُ المجازِ وتأثيثٌ جديدٌ للكونِ، وهي توقُ الوجودِ النّسبيِّ إلى المُطلق، والعرضيِّ إلى الجوهرِ والجُزءِ لاحتواء الكلِّ والذّاتِ لاحتضان الوجودِ فـ«الحقلُ (فكرةٌ) في رأس بذرةٍ مَنسيّةٍ»

لعلّ السُّؤالَ الذي طرحَه النُّقّادُ دومًا: ماذا في وُسْعِ القصيدةِ أن تضيفَه وماذا نكسبُه نحن كقُرّاء منَ الشِّعر؟

إذا استطعْنا الحديثَ عن طموحٍ للكلمات، فإنّه وبدونِ شكٍّ توقُ الرّوحيِّ فيها للتّواصُلِ مع ملَكاتِنا لخلْقِ كونٍ مُشتركٍ تتحقّقُ فيه عدالةُ ومَشاعيّةُ الجمال ورفعتُه؛ وفي هذا الكونِ يُعيدُ لنا الشِّعرُ ما سلبتْنَا إيّاه العادةُ: (امتيازاتُ التّخيّل) حيث الحياةُ المتخفّفةُ من ثِقلِ اليأس وهو ما لم يذُقْ طعْمَه ـ ولا تثريبَ عليه - من حُرمَ ملَكَةَ السّماعِ للموجودات. قال أبو عثمان الحَيْريّ مرةً: «منِ ادّعى السّماع ولم يسمع صوتَ الطّيورِ، وصريرَ البابِ، وتصفيقَ الرّياحِ فهو فقيرٌ مُدَّعٍ».

فلا شيءَ يذهبُ ولا شيءَ يفنَى بِعُرفِ المخيلةِ التي تعيدُ ابتكارَ روائحِ الماضي، كتبَ كميلوش مرّةً: «فعندما تشمُّ الذّاكرةُ، جميعَ الرّوائحِ تكونُ طيّبةً، يعرفُ الحالمون الكبارُ كيف يتنفّسُونَ الماضي».

وبهذا تتألّقُ الكلماتُ فوق الموجوداتِ، ومَنْ غَيْرُ الشّاعرِ يُصغِي إليها.

إنه قصّاص أثرِ الغياب، وهو وحده القادرُ أن يُثيرَ في قارئِه بهجةَ حضورِ الوجودِ الغائبِ والمُغيَّب. وحده الذي يستطيعُ أن يشحذَ حواسَّ المُتلقّي التي قلّمتْها رَتابةُ العيشِ اليوميِّ الكئيبِ وإنّه الوحيدُ الذي يعرفُ "كيفَ يضعُ نوعًا منَ الأملِ في الكآبةِ».

**ملخص عن المقال**

## هذا المقال بعنوان «الخوافي: إذا جئت فهات الكل معك»

قراءة نقدية فلسفية وأدبية في مجموعة الخوافي للشاعر العراقي جراح كريم. الحائزة على جائزة الشاعر محمد القيسي لعام 2020 للشعر (دار خطوط وظلال)

تتحرى هذه الدراسة الصورة الشعرية والخيال في علاقته بالوجود، وتندرج في إطار فلسفة الفن التي تبحث في الصورة الفلسفية والبعد الوجودي والحلولي. والخيال في علاقته بالوجود. وهي تأمل فلسفي في العلاقة بين الوعي المنتج للصورة الشعرية وأثر هذه الصورة الشعرية في الوعي الذي يتلقى هذه الصورة، وهي تنتمي إلى في مجال فلسفة الفن وعلم الجمال.

# التَّحَدُّثُ بِالعَرَبِيَّةِ وَاجِبٌ قَوْمِيٌّ



محمد عبدالباقي
إمام وخطيب ومعلّم لغة عربيّة

**قد يظُنُّ البعضُ أنّ التّحدّثَ بالعربيةِ أمرٌ ثانويٌّ، ليس بالضّرورةِ، لكنّه باتَ أمرًا حتميًا وضروريًا، كجُزءٍ منَ الحفاظِ على الهويّةِ والدِّين، فاللّغةُ العربيّةُ شعيرةٌ من شعائرِ الدِّين، والتَّحدّثُ بها ضرورةٌ قوميّةٌ للحفاظِ على وجودِها.**

**العربيّةُ هي خيرُ اللّغاتِ والألسنةِ، محفوظةٌ بحفْظِ الدِّين والوحْيِ، قال الله تعالى:** ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾[1]**، وكلُّ علومِ العربيّةِ وفنونِها من نحوٍ وصرفٍ وبلاغةٍ وأدبٍ مَدينةٌ بالفضل للقرآن الكريم الذي أمدَّها بأسبابِ الحياة، وحفِظَها على مرِّ العصور وتعاقُبِ الأجيال، ونشرَها في أرجاءِ الأرض؛ لذا أقبلَ العلماءُ عليها تعلُّمًا وتعليمًا، واهتمُّوا بها اهتمامًا عظيمًا؛ وسببُ هذا الاهتمام والإقبالِ أنَّ اللهَ أنزلَ القرآنَ الكريمَ باللّسان العربيِّ المبين كما قال سبحانه:**

﴿إِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ١٩٥﴾[2]**، فضلًا عنِ انتشارِ الإسلامِ واتّساعِ رُقعةِ البلادِ الإسلاميةِ ودخولِ غيرِ العربِ في**

وقال جلَّ شأنُه: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ٢﴾[3]، قال الإمامُ ابنُ كثيرٍ في تفسيره لهذه الآية: «وذلك لأنَّ العربيّةَ أفصحُ اللُّغات، وأبينُها، وأوسعُها، وأكثرُها تأديةً للمعاني التي تقومُ بالنّفوسِ، فلهذا أُنزلَ أشرفُ الكُتبِ بأشرفِ اللُّغات على أشرفِ الرّسل، بسفارةِ أشرفِ الملائكة، وكان ذلك في أشرفِ بقاعِ الأرض، وابتُدئَ إنزالُه في أشرفِ شهورِ السّنة، وهو رمضانُ، فكمُلَ من كلِّ الوجوه»[4].

إنَّ التَّحدّثَ باللّغةِ العربيةِ الفُصحى السَّهلةِ الدّارجةِ، غيرِ المُتقعّرةِ أوِ المُتكلّفة، واجبٌ قوميٌّ ودينيٌّ للحفاظِ على الهويّةِ العربيّةِ والدّينيّةِ؛ لمناهضةِ الهَجماتِ والتّطوّرات التي تهدفُ إلى تخريبِها، وتذويبِ الهويّةِ العربيةِ؛ لذا منَ المهمّ الإشادةُ ببعضِ المُذيعين والإعلاميّين والخطباء الذين يتمسّكون بالفُصحى تحدّثًا، وببعضِ الأعمال الدّراميّةِ والسينمائيّةِ، وببعضِ القنوات الفضائيةِ التي تعرضُ البرامجَ التّرفيهيّةَ والتّثقيفيّةَ للأطفال باللُّغة العربيّةِ الفُصحى، حيث يستطيعُ الأطفالُ محاكاةَ طريقةِ التَّحدّث بسهولةٍ، وحفظَ بعضِ الكلمات والأساليبِ العربيّةِ.

وقال ابنُ تيميَّةَ: «ومعلومٌ أنَّ تعلُّمَ العربيَّةِ وتعليمَ العربيَّةِ فَرضٌ على الكفاية، وَكَانَ السَّلَفُ يُؤَدِّبُونَ أَولادَهُمْ على اللَّحن. فنحن مأمورونَ أمرَ إيجابٍ أو أمرَ استحبابٍ أن نحفظَ القانونَ العربيَّ، ونصلحَ الألسنَ

المائلةَ عنه، فيحفظَ لنا طريقةَ فَهم الكتابِ والسُّنَّة، والاقتداءِ بالعرب في خِطَابِها، فلو تُرِكَ النَّاسُ على لَحْنِهم كان نقصاً وعيباً»[5].

من هنا يَعظُمُ دورُ الأسرة والمدرسةِ ووسائلِ الإعلام في ترسيخ أهمّيةِ التّحدّث بالعربية، لتَنشئة جيلٍ محبٍّ للعربية، معتزٍّ بهويته ودينِه، فاللّغة العربيةُ لغةٌ رائعةُ الجمال، فائقةُ الحُسن، تتميّزُ ببلاغتِها وفصاحتِها وبيانِها، تستطيعُ التّعبيرَ عن ما يجولُ في خاطرك بأكثرَ من أسلوبٍ، وأكثرَ من طريقةٍ، فضلا عن ثرائها ونزولِ القرآن بها، وتحدُّثِ خيرِ الخلق بها صلّى الله عليه وسلم، وجعَلَها الله لغةَ أهلِ الجنّة.

أكثرُ اللّغات السّاميةِ تحدُّثاً، وأغزرُها بالمفردات بأكثرَ من 12 مليون كلمة فيها المستعمل والمهمل، وإحدى أكثرِ اللّغات انتشاراً في العالم، يتحدّثُها أكثرُ من 467 مليون نسمة، ويتوزّعُ متحدِّثُوها في الوطن العربي، بالإضافة إلى العديدِ منَ المناطقِ الأخرى المجاورةِ كالأهواز وتركيا وتشاد ومالي والسّنغال وإرتيريا وإثيوبيا وجنوب السودان وإيران.

وبذلك فهي في الترتيب الرابعِ أو الخامسِ من حيث اللّغاتُ الأكثرُ انتشاراً في العالم، العربيةُ لغةٌ رسميةٌ في كلّ دول الوطن العربي إضافةً إلى كونها لغةً رسميّةً في تشاد وإريتريا، وهي إحدى اللّغات الرّسميّةِ السّتّ في منظمة الأمم المتحدة، ويُحتفل باليوم العالمي للغة العربية في 18 ديسمبر كذكرى اعتمادِ العربيّةِ بين لُغات العملِ في الأمم المتّحدة.[6]

يقول مصطفى صادق الرّافعي : «إنّما اللّغة مظهرٌ من مظاهرِ التّاريخ، والتّاريخُ صفةُ الأمّة ... فكيفما قلّبتَ أمرَ اللّغة – من حيث اتّصالُها بتاريخ الأمّةِ واتّصالُ الأمّة بها – وجدتَها الصّفةَ الثّابتةَ التي لا تزولُ إلا بزوال الجنسيّةِ وانسلاخ الأمّة من تاريخِها».

ويقول الدكتور طه حسين: «إنّ المثقّفين العربَ الذين لم يُتقنُوا لغتَهم ليسوا ناقصِي الثّقافة فحسب، بل في رجولتِهم نقصٌ كبيرٌ ومُهينٌ أيضا».

﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۝٢٧﴾ [7]



مصطفى صادق الرافعي



حافظ إبراهيم

وصدق الشّاعرُ المصريّ الكبيرُ حافظُ إبراهيم وهو يتحدث بلسان اللّغةَ العربيّةَ:

رَجعتُ لِنفسي فاتَّهمتُ حَصاتي
وَنادَيتُ قَومي فاحتَسَبتُ حَياتي
رَموني بِعُقمٍ في الشَبابِ وَلَيتَني
عَقِمتُ فَلَم أَجزَع لِقَولِ عُداتي
وَلَدتُ وَلَمّا لَم أَجِد لِعَرائِسي
رِجالاً وَأَكفاءً وَأَدتُ بَناتي
وَسِعتُ كِتابَ اللَهِ لَفظاً وَغايَةً
وَما ضِقتُ عَن آيٍ بِهِ وَعِظاتِ
فَكَيفَ أَضيقُ اليَومَ عَن وَصفِ آلَةٍ
وَتَنسيقِ أَسماءٍ لِمُختَرَعاتِ
أَنا البَحرُ في أَحشائِهِ الدُرُّ كامِنٌ
فَهَل سَأَلوا الغَوّاصَ عَن صَدَفاتي
فَيا وَيحَكُم أَبلى وَتَبلى مَحاسِني
وَمِنكُم وَإِن عَزَّ الدَواءُ أُساتي
فَلا تَكِلوني لِلزَمانِ فَإِنَّني
أَخافُ عَلَيكُم أَن تَحينَ وَفاتي
أَرى لِرِجالِ الغَربِ عِزّاً وَمَنعَةً
وَكَم عَزَّ أَقوامٌ بِعِزِّ لُغاتِ
أَتَوا أَهلَهُم بِالمُعجِزاتِ تَفَنُّناً
فَيا لَيتَكُم تَأتونَ بِالكَلِماتِ
أَيُطرِبُكُم مِن جانِبِ الغَربِ ناعِبٌ
يُنادي بِوَأدي في رَبيعِ حَياتي
وَلَو تَزجُرونَ الطَيرَ يَوماً عَلِمتُمُ
بِما تَحتَهُ مِن عَثرَةٍ وَشَتاتِ

سَقى اللَهُ في بَطنِ الجَزيرَةِ أَعظُماً
يَعِزُّ عَلَيها أَن تَلينَ قَناتي
حَفِظنَ وِدادي في البِلى وَحَفِظتُهُ
لَهُنَّ بِقَلبٍ دائِمِ الحَسَراتِ
وَفاخَرتُ أَهلَ الغَربِ وَالشَرقُ مُطرِقٌ
حَياءً بِتِلكَ الأَعظُمِ النَخِراتِ
أَرى كُلَّ يَومٍ بِالجَرائِدِ مَزلَقاً
مِنَ القَبرِ يُدنيني بِغَيرِ أَناةِ
وَأَسمَعُ لِلكُتّابِ في مِصرَ ضَجَّةً
فَأَعلَمُ أَنَّ الصائِحينَ نُعاتي
أَيَهجُرُني قَومي عَفا اللَهُ عَنهُمُ
إِلى لُغَةٍ لَم تَتَّصِل بِرُواةِ
سَرَت لوثَةُ الإِفرِنجِ فيها كَما سَرى
لُعابُ الأَفاعي في مَسيلِ فُراتِ
فَجاءَت كَثَوبٍ ضَمَّ سَبعينَ رُقعَةً
مُشَكَّلَةَ الأَلوانِ مُختَلِفاتِ
إِلى مَعشَرِ الكُتّابِ وَالجَمعُ حافِلٌ
بَسَطتُ رَجائي بَعدَ بَسطِ شَكاتي
فَإِمّا حَياةٌ تَبعَثُ المَيتَ في البِلى
وَتُنبِتُ في تِلكَ الرُموسِ رُفاتي
وَإِمّا مَماتٌ لا قِيامَةَ بَعدَهُ
مَماتٌ لَعَمري لَم يُقَس بِمَماتِ

بعد هذا كلّه، وللأسف تجدُ بعضَ المُنتسبين إليها يرطنُ ببعض المُفردات الإنجليزية أو الفرنسية أو غيرهما في حديثه؛ لإظهار الثّقافةِ وادّعاء المعرفة، وهذا منَ الخطورة بمكان؛ حيث تَطغى هذه المفرداتُ على لغتِه الأصليةِ، كما تُؤدّي هذه الظّاهرةُ إلى اندثار بعضِ الكلمات العربيّةِ .

**لذا حتى نرتقيَ بهذه اللُّغة منَ البداية علينا :**

1 - إعدادُ معلّمي الصّفوف الأولى في المدارس؛ ليقوموا بتعليم اللّغة العربيّةِ( تحدُّثًا) .

2 - تكونُ لغةُ التّواصلِ بين المعلّم وطلّابه الفُصحى السّهلةَ المرنةَ (غيرَ المتقعّرة).

3 -التّركيزُ على المهارات الأساسية لطلاب الصّفوف الأولية (الحروفُ، الحركاتُ، السكونُ، المدّ، الشّدّة، أل الشّمسية والقمرية.........إلخ).

4 - إعادة الخطّ والإملاء كمادّتين دراسيتين للمرحلة الابتدائيّةِ والمتوسّطةِ حتى يُتقنَ الطّالبُ لغتَه قراءةً وكتابةً وتحدّثًا.





5 – تعويدُ الطّالبِ وتحبيبُه في القراءة عن طريقِ برامجَ معدّةٍ ومدروسةٍ وتحفيزٍ، ومسابقاتٍ وغيرِ ذلك.

6 – الاهتمامُ بالمعلّم بصفة عامة وبمعلمي اللّغة العربية بصفةٍ خاصّة تربويًا وأدبيًّا وماديًّا، وإعدادُه وتثقيفُه بشكل مستمرّ؛ لمواكبة العصرِ الحديث .

7 – تحفيزُ المدارسِ والجامعاتِ والمعاهدِ العلميّةِ وتشجيعُها؛ للاهتمام باللّغة العربيّةِ.

8 – الدّورُ الإعلاميّ في ترسيخ قيمةِ التّحدُّثِ باللّغة العربيّةِ خاصّة (النّشرات الإخبارية ، والدّراما،.......وغيرها).

9 – إعدادُ الدّورات والنّدوات والمؤتمرات للتّوعيةِ بأهمية اللُّغة العربيّةِ ونشرِها.

10 – من خلال وزاراتِ الثّقافة والإعلام والتّعليم يكونُ المنبرُ الذي يسعى لثقافةِ التّحدُّثِ باللّغة العربيّة .

11 – تقومُ الهيئاتُ المعنيّةُ (وزارات الإعلام والثقافة) بالحفاظِ على اللّغة العربيّةِ بإنتاج أفلامٍ ومسلسلاتٍ وبرامجَ تعزّزُ قيمةَ التّحدّثِ باللّغةِ العربيّةِ.

12 – إنشاءُ صفحاتٍ على وسائلِ التّواصُلِ الاجتماعيّ لتعزيز اللّغةِ العربيّةِ وتصحيحِ الأخطاءِ الشّائعةِ في الكلامِ والكتاباتِ وغيرِ ذلك.

13 – جعلُ القرآنِ الكريم مادّةً دراسيّةً في المدارسِ وذلك للارتباطِ الوثيقِ بين القرآن الكريم واللُّغةِ العربيّةِ. يقول مصطفى صادق الرافعي : «إنّما القرآنُ جنسيةٌ لُغويّةٌ تجمعُ أطرافَ النّسبةِ إلى العربيّة، فلا يزالُ أهلُه مُستعرَبين به، مُتميّزين بهذه الجنسيّةِ حقيقةً أو حُكْمًا»

1 – سورة الحجر, الآية رقم9

2 – سورة الشعراء، الآية: 192– 195

3 – سورة يوسف، الآية: 2

4 – ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 4/365.

5 – ابن تيمية، مجموع الفتاوى" 32/ 252.

6 – ويكيبديا الموسوعة الحرة.

7 – سورة الزمر، الآية:27.

8 – مصطفى صادق الرافعي، تحت راية القرآن، ص39، المكتبة العصرية – صيدا – بيروت الطبعة الأولى – ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٢ م.

# حِوَارُ الشِّعرِ وَالنَّثر



شعر/ وئام عصام
كاتبة وشاعرة/ مصر

حِوارُ الشِّعْرِ وَالنَّثْرِ ..　　إِلَيْكُم واقِعُ الأَمْرِ
فَقالَ الشِّعْرُ لِلنَّثْرِ ..　　أَلا تَدْرِي مَدَى قَدْرِي
فَإِنِّي لِي مِنَ اللَّحْنِ ..　　جَمالٌ فاقَ فِي السِّحْرِ
وَعِلْمٌ صارَ مِنْ أَجْلِي ..　　عَرُوضٌ وَزْنُهُ دُرِّي
دَفِينٌ ما أَنا أَرْوِي ..　　فَمِنْ حُلْوٍ وَمِنْ مُرٍّ
رَسُولٌ لِلْمُحِبِّينَ ..　　وَفِي سِرٍّ وَفِي جَهْرِ
وَلِي مَجْدٌ وَتارِيخٌ ..　　رَفِيقًا العُرْبِ فِي العُمْرِ
فَفِي الهَيْجاءِ وَالسِّلْمِ ..　　وَفِي العُسْرِ وَفِي اليُسْرِ
وَحارَ النَّاسُ فِي أَمْرِي　　وَطالَ البَحْثُ عَنْ سِرِّي
فَمِفْتاحِي لِمَنْ حازَ ..　　مِنَ اللهِ رُؤَى الفِكْرِ
فَقالَ النَّثْرُ لِلشِّعْرِ ..　　وَمَنْ قَدْ فاقَ تَقْرِيرِي
فَتارِيخٌ أَحادِيثٌ ..　　لَهُمْ قَدْرٌ بِتَفْسِيرِي
وَمِن قَبلُ أَقاصِيصٌ ..　　وَقَد صِيغَت بِتَحرِيرِي
وَأَمثالٌ وَأَحكامٌ ..　　وَقَد قِيلَت بِتَيسِيرِي
وَقُرآنٌ مِنَ اللهِ ..　　وَقَد جاءَ بِتَعبِيرِي

فَقَالَ الشِّعْرُ لِلنَّثْرِ ..      فَهَذَا خَيْرُ تَوْقِيرِ

فَقَالَ النَّثْرُ لِلشِّعْرِ ..      لَقَدْ نَاظَرْتَ تَقدِيرِي

كِلاَنَا زَادَ فِي الفَنِّ ..      بِتَغْيِيرٍ وَتَأْثِيرِ

فَمِنْكَ الوَجْدُ وَالشَّدْوُ ..      وَمِنِّي حُسْنُ تَحْبِيرِ

وَلَيْسَ الفَخْرُ مَنْ فَاقَ ..      بِتَحْرِيرٍ وَتَصْوِيرِ

يَنَالُ الفَخْرَ مَنْ يَأْتِي ..      بِإِبْدَاعٍ وَتَنْوِيرِ



# مَحَطَّاتٌ هامَّةٌ في لُغَةِ الضَّادِ



تُبهرُنا اللُّغةُ العربيّةُ بجمالِ دِقّتِها وحلاوةِ لفظِها ورصانةِ قواعدِها التي تحكمُ ضبْطَهَا، ممّا جعلَها لُغةً عالميَّةً بامتيازٍ، هذا ما يدفعُ المُهتمَّ بتعلُّمها إلى تناوُلِها بطرقٍ بسيطةٍ، تسهِّلُ عليه تداوُلَها، ولكنْ تصادفُه مشكلةٌ واحدةٌ فقط، خاصّةً إذا كان أجنبيًّا، وهي نطقُ حرفِ (الضّاد)، فجاءِ كواسطةِ العِقْدِ الذي تتزيّنُ، وتتباهَى به اللّغةُ العربيّةُ أمامَ لُغاتِ العالَمِ. مِن هنا مِن بوّابةِ هذا الجمالِ والتّميُّزِ انطلقَ الشّاعرُ اللّبنانيُّ (حليم دموس) ليغرِّدَ بأبياتِه الشِّعريةِ الفريدةِ من نوعِها حولَ جمالِ اللُّغةِ العربيّةِ ومكانتِها ويُبدِي إعجابَه بها، واعتبرَها أهمَّ رابطةٍ تؤلِّفُ بين القلوبِ، كذلك دعَّم إعجابَه في البيت الأخيرِ فبدَا كأنَّ البيتَ العربيَّ بيتُ أُسرةٍ متحابّةٍ متآلفةٍ،



سريعة سليم حديد
عضو اتّحاد الكُتّاب العرب/سوريّا

مِن هنا مِن بوّابةِ هذا الجمالِ والتّميُّزِ انطلقَ الشّاعرُ اللّبنانيُّ (حليم دموس) ليغرِّدَ بأبياتِه الشِّعريةِ الفريدةِ من نوعِها حولَ جمالِ اللُّغةِ العربيّةِ ومكانتِها ويُبدِي إعجابَه بها، واعتبرَها أهمَّ رابطةٍ تؤلِّفُ بين القلوبِ، كذلك دعَّم إعجابَه في البيت الأخيرِ فبدَا كأنَّ البيتَ العربيَّ بيتُ أُسرةٍ متحابّةٍ متآلفةٍ، وإن دلَّ هذا على شيءٍ فإنّما يدلُّ على جماليّةِ اللّغة أوّلاً، وقُربِها منّ النّفس والقلب ثانياً، واتّساعِ مساحةِ الناطقين بها ثالثًا، نقتطفُ:

**لـو لم تكُنْ أمُّ اللغـاتِ هيَ المُنى**
**لكسرتُ أقلامي وعِفتُ مِدادي**
**لغـةٌ إذا وقعتْ علـى أسماعِنا**
**كانتْ لنا بَرْداً على الأكبادِ**
**ستَظلُّ رابطـةً تُؤلِّفُ بيننا**
**فهي الرّجَاءُ لناطقٍ بالضّادِ**

**وتَقَاربُ الأرواحِ ليـسَ يَضيـرُهُ**
**بينَ الديارِ تباعُدُ الأجسـادِ**
**أفما رأيـتَ الشَّمسَ وهيَ بعيدةٌ**
**تُهـدِي الشُّعاعَ لأنجُدٍ ووِهادِ**
**أنا كيفَ سرتُ أرى الأنامَ أحبَّتي**
**والقـومَ قَومِي والبِلادَ بِلادِي**

ولا يفوتُنا أن نذكرَ أنَّ هذه الأبياتِ قد ذُكرتْ في العديدِ من وسائلِ الإعلامِ، وفي شاشاتِ التّلفزة على وجه التَّحديد، كذلك دُوِّنت ضمْنَ العديدِ منَ المناهجِ التّعليميّةِ في بعض الدّولِ العربيّةِ، مثالُ ذلك في سورية.

فاللُّغةُ العربيّةُ عندَ العرب هي لغةُ الأدبِ والعلْمِ والثّقافةِ، وقد زادت أهمّيتُها بعد ما جاء الإسلامُ، ووحّدَ لهجاتِها من خلال نزولِ القرآن الكريم بها،



هذا ممّا وفَّرَ على النّاس قضيَّةَ الفهْمِ، وجعلَهم يختصرون الوقتَ في البحثِ عنِ المعاني الصّعبةِ، فلُغةُ القرآن الكريم لغةٌ واضحةٌ سهلةٌ ليِّنةٌ بعيدةٌ عنِ التَّعقيد، وفي مُتناوَلِ الجميعِ، كذلك لغةُ الأحاديثِ النّبويّةِ الشّريفةِ، فترى النّاسَ يَقرؤون القرآنَ، ويتداولُونَ الأحاديثَ بسهولةٍ وإنْ كانوا من غيرِ العربِ.



حليم دموس

وجليٌّ في القرآن الكريم والشِّعر والنّثر أيضاً، ممّا جعلَها قريبةً منَ النّفس والقلبِ، والأمثلةُ حولَ هذه المجالاتِ كثيرةٌ، لا سبيلَ لحصْرِها، وقد أُعدّت حولَها كتبٌ كثيرةٌ، توضِّحُ، وتُفسِّرُ أهميَّةَ تلك الجوانبِ التي تناولَها الأدباءُ العربُ، منها مثلاً: دلائلُ الإعجاز لعبد القاهر الجُرجانيِّ، وجواهرُ الألفاظ لقُدامةَ بنِ جعفر. والحماسةُ لأبي تمّام...

ولا يخفَى على أحدٍ أنّ المعلّقاتِ السبعَ الشّعريّةَ، قد كُتبت على السّتائر بماءِ الذّهب، وعُلِّقتْ على جدران الكعبةِ الشّريفةِ قبل مَجيءِ الإسلام، وتُعدُّ من أروعِ القصائدِ التي قيلتْ في الشِّعرِ العربيِّ القديم، وقد نُظِمتْ باللُّغةِ العربيّةِ الفُصحى، فكان لها أكبرُ فائدةٍ في أن ينْسجَ الشّعراءُ على منوالِها في استخدام اللُّغة العربيّةِ الفُصحى على وجه الخُصوصِ، هذا ممّا جعلَ الشِّعرَ بوّابةً مفتوحةً أمامَ كلِّ النّاس، بذلك ابتعدَ بشكلٍ كبيرٍ عنِ النَّظم باللَّهجاتِ المَحكيّةِ، كذلك وفّرتْ له فرصةَ الانتشارِ الأكبرِ بين ساكنِي المناطقِ العربيّةِ القريبةِ والبعيدةِ أيضاً، وتطوَّرَ إلى أن صارت له أسواقٌ للنّظمِ والمحاوَراتِ والنّقائضِ الشِّعريّةِ الفريدةِ التي ضجَّت بها كُتبُ الأدبِ القديمِ والحديثِ على حدٍّ سواءَ كسوقِ عُكاظ وسوقِ المربَدِ.

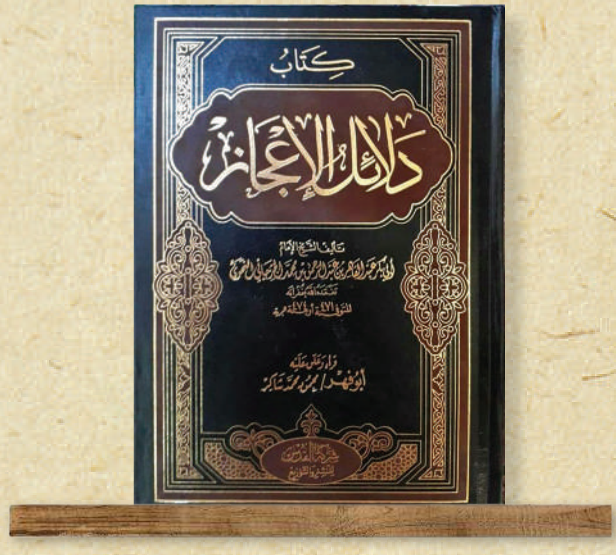
ومن أهمِّ ميزاتِ اللّغةِ العربيّةِ أنّها تحتوي على كمٍّ وفيرٍ منَ المُفردات والمرادِفات، هذا ممّا يُسهِّلُ على النّاطقِ بها إيجادَ بدائلِ الكلامِ الذي قد يتعثَّرُ به، أضفْ إلى ذلك ما تمتلكه اللّغةُ العربيّةُ من علْمِ المعاني وعلْمِ المجازِ وعلْمِ البيان.. وهذا واضحٌ

والذي يدلُّ على غزارةِ مفرداتِ اللُّغةِ العربيّةِ تأليفُ العديدِ منَ المعاجمِ حوْلَها منها ما يأخذُ بأوائلِ الكلماتِ، ومنها ما يتناولُ أواخرَ الكلماتِ، مثل: معجم العيْنِ للخليلِ بن أحمدَ الفراهيديِّ، وجمهرة اللّغة لابنِ دُريدٍ الأزديّ ومقاييس اللّغة لابنِ فارس، والصّحاحِ للجوهريّ، ومعجم تاج العروس من جواهرِ القاموس للفَيروز أبادِي، والقائمةُ تطولُ.

**تميَّــز معجــمُ (العين) عن باقي المعاجمِ بالتّرتيبِ الصّــوتــيِّ**

لقد تميَّزَ معجمُ (العين) عن باقي المعاجم بالتّرتيب الصّوتيِّ، حيث صنَّفَ الحروفَ تصنيفاً خاصاً، وجعلَها في مجموعاتٍ متقاربةٍ، ووضعَ (الخليلُ) لكلِّ مجموعةٍ اسماً له علاقةٌ بمخارجِها منَ الأجهزةِ الصّوتيةِ، فقد بدأ بحرف العَين، ودوَّن لكلّ حرفٍ مخرجَه المناسبَ في النّطق، وميَّزه عن غيرِه من باقي الحروفِ، بذلك، فتح بابَ التّأليف في المعاجمِ من بعدِه، فسار بعضُهم على نهجِه وطريقتِه، وابتدعَ آخرون طرائقَ مختلفةً.

بالمقارَنةِ بمعاجمِ اللّغاتِ العالَميّةِ الأخرى، فإنّنا لا نجدُ هذا التّنوُّعَ في المعاجمِ، ولا هذا الكمَّ الكبيرَ في طرائقِ تناوُلِ الكلماتِ، ممّا يدلُّ على غزارةِ




المفرداتِ العربيّةِ وكثرةِ المعاني والمدلولات.

كذلك تميَّزتِ اللّغةُ العربيّةُ عن باقي اللّغات في طريقةِ ونوعيَّةِ الخُطوطِ التي تُكتبُ بها، وما لها من جمالياتٍ شتّى، واختصّ بهذا الفنِّ كمٌّ كبيرٌ منَ الخطّاطين، وله تاريخُه وعراقتُه وأصولُه التي يُحتذى بها، حتى إنّ هناك معارضَ تشكيليّةً تُقام لتلك الخُطوط على مستوى البلاد العربيّةِ بشكلٍ خاصٍّ وبعضِ الدّول الأجنبيّةِ بشكلٍ عامٍّ، ومن أشهرِ الخُطوط العربيّةِ: الخطّ الكوفيُّ وخطُّ النّسخ وخطُّ الثّلثِ وخطُّ الرّقعة...

كما استخدم الفنّانون التّشكيليّون أنواعاً مختلفةً منَ الخطوط ودمجُوها في لوحاتِهم الفنّيَّةِ بطرقٍ رائعةٍ تحت ما يُسمَّى اللّوحاتِ الحرفيّةَ، وهناك أيضاً مدرسةٌ احتلّت عنوانَ (الخداعِ البصريّ) حاول الرّسّامون حديثاً إدخالَ الخطّ العربيِّ فيها، وهذه إحدى طُرقِ الإبداعِ المُبهرةِ..

إنَّ جذورَ الكتابةِ باللّغةِ العربيّةِ، ترجعُ إلى العديدِ منَ القبائلِ التي سكنتْ شبْهَ الجزيرةِ العربيّةِ وغيرَها من بلادِ الشام، وفي هذا وجهاتُ نظرٍ كثيرةٌ، ولكنّها تصبُّ كلُّها في خانةِ التّراثِ اللُّغويِّ المُمتدِّ عبْرَ طيّاتِ الزّمنِ البعيد.

افتح يا سمسم



ولا يخفَى على المُهتمِّ بأصول الأصواتِ أنّ أصلَ الحروفِ العربيّةِ مأخوذٌ من تقليدٍ لأصواتِ الطّبيعةِ، فحرفُ الحاء مأخوذٌ من صوتِ حفيفِ الشّجر، وحرفُ الخاء مصدره صوتُ خرير الماءِ، وحرفُ الصّاد، تقليدٌ لصفيرِ الرّيح..

ولكنْ لموسيقى الشِّعر حكايةٌ أخرى، حكايةُ الذّوقِ والحِسِّ المُرهَفِ والأذنِ الموسيقيَّةِ اليَقظةِ الحسّاسةِ التي امتلكَها (الخليلُ بنُ أحمد الفراهيديُّ)، وهو يتجوَّلُ في سوق النّحّاسين، ويستمعُ إلى ذلك الطّرقِ الرّتيبِ المُتنوّعِ المُنغَّم، ممّا أفضَى به إلى الإبحارِ في كتابه: علم العَروض، واكتشافِ بُحور الشِّعر بكلِّ ما تحملُ من دِقَّةٍ وبهاءٍ وضبْطٍ، تلك البحورُ التي واكبتْ لغةَ الشِّعر بإيقاعِها الجميلِ

المُحكم، وجعلتْهُ ميزانَ النّغم وبوصلةَ الضّبطِ وكفَّةَ الذَّهبِ، وقد جاء الأخفشُ من بعدِه وأضاف بحراً بعنوان: الخَبَب أو المتدارك، وحتى الآن لم يستطعْ أحدٌ من بعدِهما أن يضيف بحراً جديداً.

ولا يفوتُنا التّنويهُ إلى جماليّة التّجويدِ التي يتميَّز بها القرآنُ الكريم، هذا التّجويدُ الذي يُعتبرُ بمثابةِ الضّابطِ لإيقاعِ الكلماتِ التي تأخذُ النّفسَ إلى عوالمَ ساميةٍ عند سماعِها. وقد ظهرتْ شخصياتٌ كثيرةٌ أبدعتْ في تجويدِ القُرآن كصوتِ الشّيخ: عبدِ الباسط عبدِ الصمد... وراحَ النّاسُ يسيرون على منوالِه ويعتبرونَه قدوةً لجماليّةِ الصّوتِ وروعةِ الأداءِ.

فعلْمُ الصّوتيات هو منّ العلوم المُهمَّةِ في تعلُّم التّجويد، من هنا يتبيَّنُ ما تمتلِكه اللّغةُ العربيّةُ من كنوزٍ دفينةٍ في الإلقاءِ ومدَى تأثيرِها على المُتلقّي عند سماعِه إياها.

أجملُ ما في الأمرِ أنّ القرآنَ الكريم قد وحَّدَ اللّهجاتِ التي كانت سائدةً في عصر الإسلام، ودمجَها في بَوتقةِ اللّغةِ العربيّةِ الفُصحى، فأصبحَ بذلك مَرجعًا لُغويًّا وقواعِديًّا لكلّ النّاس من ذلك الوقت حتى عصرِنا الرّاهنِ.

وقد خضعتِ اللّغةُ العربيّةُ إلى البساطةِ والتّرقيقِ، بعد ما تحضَّر النّاسُ، واستُبْعدَ عنها الكثيرُ الكثيرُ منَ الألفاظِ الصّعبةِ، وهنا يحضرُنا كتابُ رسالةِ الغُفران للمعرّي، فهذا الكتابُ عند اطّلاع المُتلقّي عليه، يجدُ أنّ شرحَ الكلمات، يحتاجُ إلى شرحٍ أيضاً، لما له من غرابةٍ في اللّفظ أوّلاً، كما أنّ الألفاظَ غيرُ متداوَلةٍ ثانيًا، هذا ممّا يدفعُ المُتلقّي إلى البحث عنِ المعاني المشروحةِ أيضاً.

ـــ من هنا وجبَ علينا الحفاظُ على لغتِنا العربيّةِ؛



**وحّدَ القرآن الكريم اللهجات التي كانت سائدة في عصر الإسلام ودمجها في بوتقة اللغة العربية الفصحى**

لأنّها الركيزةُ الأُولى لبناءِ المجتمعاتِ ثقافيًّا ولِما لها من جذورٍ عريقةٍ عبْرَ التّاريخ، فهي الحاملةُ للثّقافاتِ على مرِّ العُصورِ.

ومنّ المُهمّ لفتُ الانتباهِ إلى ضرورةِ تعلُّمِ الأطفال حتى قَبْلَ أن يدخلُوا مجالاتِ التّعليم الأساسيةِ، ودفْعِهم للتّحدُّثِ باللّغةِ العربيّةِ الفُصحَى، ومن خلالِ تجاربِنَا واحتكاكِنا بالأطفالِ وملاحظاتِنا اليوميّةِ، تبيَّن لنا قدرتُهم الكبيرةُ على الحفظِ والتقاطِ الجُملِ، وخاصّةً التي تتعلَّقُ بالأغاني وأشعارِ الطّفولة.

وهنا يحضرُني مثلٌ لطفلٍ أعرفُه في حيِّنا، فهو يتحدَّثُ باللّغةِ العربيّةِ الفُصحَى في المنزلِ ومع أصدقائه وجيرانه، علماً أنّ عمرَه لم يتجاوزِ الرّابعةَ، وهذا عائدٌ إلى برامجِ أفلام (كرتون) التي تتحدَّثُ بالفُصحَى، ومدَى تأثُّرِ الطِّفل ذاتِه بما يسمعُ، ممّا يُوحِي بإعجابِه باللّغةِ العربيّةِ التي فضّلَ استخدامَها على اللّهجةِ المَحلّيةِ، فيقودُنا هذا إلى ضرورةِ إنشاءِ

برامجَ للأطفالِ تتحدَّثُ باللّغةِ العربيّةِ الفُصحَى، ليَحضرَها الطّفلُ بشكلٍ يوميٍّ، وكذلك إنشاءُ برامجَ خاصّةٍ به على شاكلةِ (افتحْ يا سَمسَم) مثلاً فهي تترك أثراً في نفس الطّفل، لا يُستهان به.

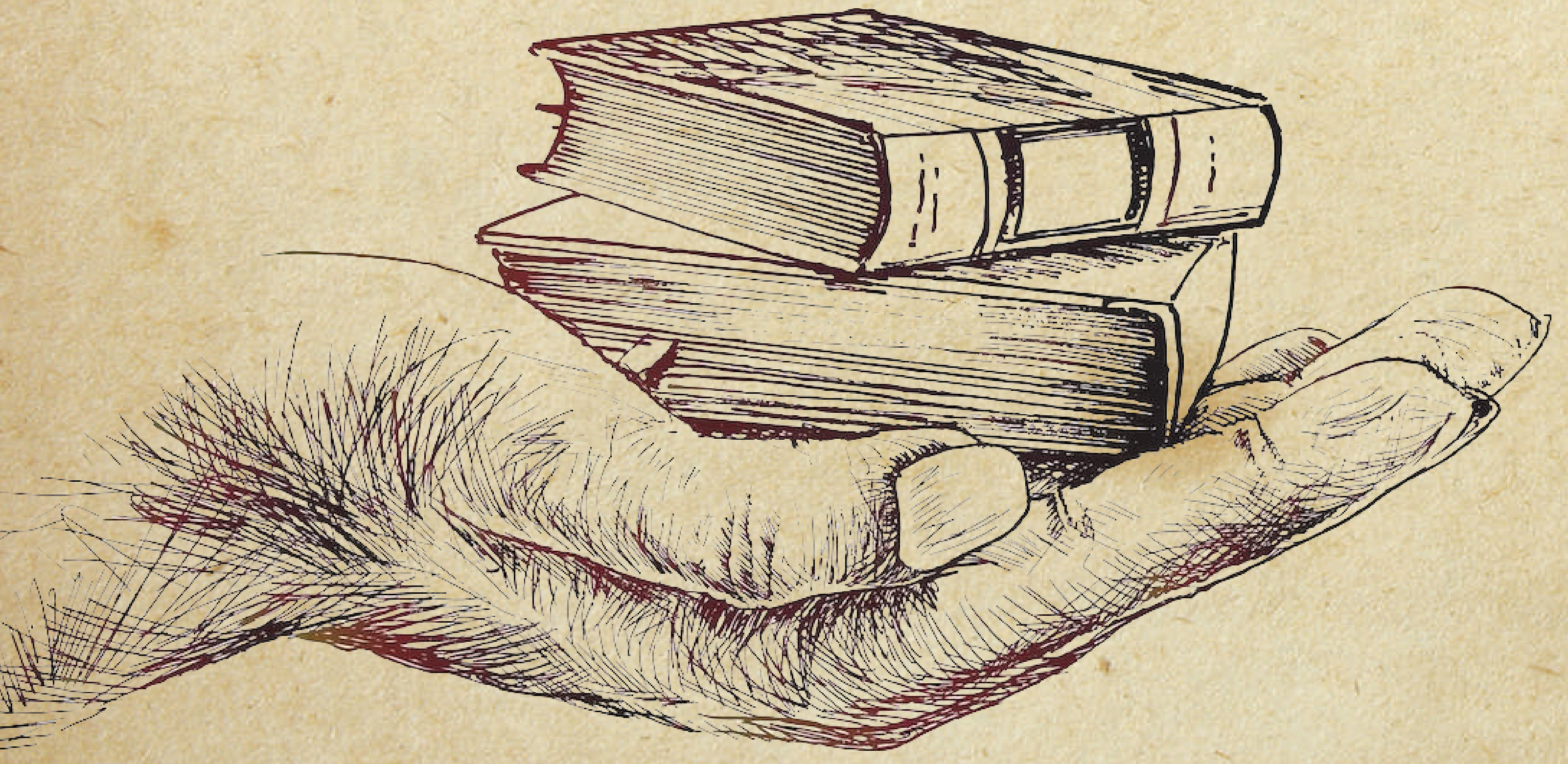
وقد يقولُ قائل: إنَّ التّحدُّثَ باللّغةِ العربيّةِ الفُصحَى في المنزل أمرٌ صعبٌ جداً. ولكنّنا نقول: يمكنُ لنا أن نبدأَ بجُملٍ بسيطةٍ مثل: أين تذهبُ؟ ما هذا؟ ما أجملَ الزّهرةَ! وهكذا بذلك ندرّبُ الطّفلَ بشكلٍ طبيعيٍّ وعفْويٍّ على استعمال اللّغةِ ببساطةٍ.

كما أنَّ تعويدَ الأطفالِ على حفْظِ الشِّعر الطّفليّ مثلاً وغيرِه يعزّزُ في دواخلِهم ثوابتَ اللّغةِ الفُصحى أوّلاً، ويُنشِّطُ ذاكرتَهم ثانيًا، ويجعلُهم حاضرِي البديهةِ ثالثاً.

لقدِ استطاعتِ اللّغةُ العربيّةُ بما تحملُ من مِيزاتٍ في الدّقةِ والجمالِ والمُرونةِ أن تُثبتَ وجودَها على السّاحةِ اللّغويّةِ العالَميَّة، وتنالَ اهتمامَ وإعجابَ البُلدان غيرِ النّاطقة بها، ممّا دفعَهم إلى ترجمةِ آلاف الكُتب على تنوُّعِ موضوعاتِها إلى لُغاتِهم الخاصّةِ بهم، علماً أنّها لُغةٌ نشأت صحراويةَ المكان، لكنّها ربيعيّةُ الجذورِ مزهرةٌ مثمرةٌ بين كلّ اللّغاتِ.

ولا ننسَى أنّ هناك العديدَ منَ الجامعاتِ العالَميَّةِ، قد خصَّصتْ موادَّ لتدريسِ اللّغةِ العربيّةِ بل وفروعًا أيضاً؛ لأنّها تُقدِّرُ أهمّيةَ تلك اللّغةِ، وتدركُ الحاجةَ الماسّةَ لتعلُّمِها. وكلّنا نشاهدُ شخصياتٍ أجنبيّةً مشهورةً على وسائلِ الإعلام أو مواقعِ التّواصلِ الاجتماعي تتحدَّثُ باللّغة العربيّةِ أو تُغنِّي أو تقرأُ القرآنَ.. هذا ممّا يدلُّ على مرونةِ هذه اللّغةِ وجماليتِها والرّغبةِ في تعلُّمِها.

مِن هُنا يتبيَّنُ لنا أهمّيةُ اللّغةِ العربيّةِ كلُغةٍ عالَميّةٍ جذَّابةٍ، يستطيعُ تعلُّمَها من أرادَ بسُهولةٍ ويُسرٍ، وتبقَى اللّغةُ العربيّةُ، هي موطنُ توحُّدِ العربِ وعنوانُ ثقافتِهم وحضارتِهم المُمتدّةِ عَبْرَ العُصورِ.



# هَلْ تَرْحَلُ المَشارِقُ؟



أسماء الحمادي

إهداءٌ إلى مقامِ الأستاذ الدكتور عبدالقادر السعديّ -حفظه اللّه- أباً وشيخًا أعتزُّ أنني تتلمذتُ على يديه بعد أنْ بلغَنا نبأُ رحيلِه عن جامعة الشارقة

مَاذَا سَنُنْشِدُ أَيُّهَا المَوَّالُ؟ ... كَمْ مِنْ سُؤَالٍ حِمْلُهُ أَثْقَالُ؟
بَغْدَادُ تَرْحَلُ مَرَّةً أُخْرَى .. فَهَلْ ... مِنْ دُونِ نَخْلاتٍ تُرَامُ ظِلالُ؟
هَلْ عَنْكِ شَارِقَةٌ سَيَرْحَلُ مَشْرِقٌ؟ ... أَنَّى سَتُشْرِقُ فِي المَدَى أَجْيَالُ؟
يَا مَرْجِعِيَّةَ نَحْوِنَا .. يَا مَصْدَرًا ... تُشْتَقُّ مِنْهُ مَكَارِمٌ .. وَتُنَالُ
لَكَ يَنْتَمِي الشَّرَفُ .. الوَقَارُ وَعِزَّةٌ ... مِنْ نَهْرِ دِجْلَةَ .. وَالخِصَالُ خِصَالُ
السَّعْدُ مِنْ أَسْمَائِكُمْ .. يَا شَيْخَنَا ... أَفْعَالُكُمْ .. يَا شَيْخَنَا .. أَفْعَالُ
وَ حُرُوفُكُمْ (إِنَّ) التِي .. أَخَوَاتُهَا ... لا تَسْتَرِيحُ بِصَدْرِكُمْ وَتَنَالُ
قَدْ كَانَ فَتْحًا كُلُّ قَوْلٍ قُلْتَهُ ... وَتَكَسَّرَتْ فِي دَرْسِكُمْ أَقْفَالُ

فَهَلِ انْقضَى زَمَنُ الفُتُوحِ؟ وَقَدْ نَرَى ... قَاعَاتِ دَرْسٍ .. وَصْفُهَا أَطْلالُ؟

عُلَمَاؤُنَا .. هُمْ مُبْتَدَانَا لَوْ أَتَى ... خَبَرٌ يُبَعْثِرُنَا .. بِنَا مَازَالُوا

فَبِهِمْ يَلِيقُ الرَّفْعُ .. ذَلِكَ حُكْمُهُمْ ... في حُكْمِهِم لا يُقْبَلُ الإِبْدَالُ

لا تُعْرِبُوا هَذَا الرَّحِيلَ .. فَمَا لَهُ ... مِنْ مَوْقِعٍ بَيْنَ الْكَلَامِ يُقَالُ

وَ لَنَا التَّعَازِي في الخَسَارِ .. وَإِنَّه ... مِنْ حُسْنِ حَظِّكَ أَيُّهَا التَّرْحَالُ

كَمْ مِنْ غِيَابٍ مَا تَزَالُ نُدُوبُهُ ... تَرْجُو بِأَنْ تَتَوَاضَعَ الأَمْيَالُ

خَجِلًا بَدَا هَذَا القَصِيدُ أَمَامَكُمْ ... وَ بِذِكْرِكُمْ يَزْهُو لَهُ آمَالُ

أَبْيَاتُ شِعْرِي أَشْهَرَتْ أَوْرَاقَهَا ... عُنْوَانُهَا الإِخْلَاصُ وَالإِجْلَالُ

بِخِتَامِهَا: "في حِفْظِ أَكْرَمِ حَافِظٍ" ... في مَتْنِهَا: "يَا لَيْتَ ذَاكَ خَيَالُ"

أَنَا كَمْ أُجَاهِدُ كَيْ أُهَدِّئَ رَوْعَهَا ... زَخَّاتُ أَسْئِلَةٍ هُنَا تَنْهَالُ

مَا انْفَكَّ يَغْمُرُنِي سُؤَالٌ دَائِرٌ: ... هَلْ تَخْتَفِي عَنَّا الغَدَاةَ جِبَالُ؟



# السِّرّ



شعر/ السر مطر
شاعر/ السودان

بَيْنَ المَواسِمِ في إغْفَاءَةِ الزَّمَنِ ... غَرَسْتُ سِرِّي فَلَمْ تَسْمَعْ بِهِ أُذُنِي
في ضِفَّتَيَّ وَصَايَا المَاءِ أَحْمِلُهَا ... مُنْذُ اسْتَرَاحَتْ جُفونُ الغَيْمِ في حَزَنِي
أَمْضِي أُفَتِّشُ في الأَشْيَاءِ أَتْبَعُها ... وَلَيْسَ غَيْرُ صَدَى الأَصْوَاتِ يَشْغَلُني
فَقَالَ: «حَسْبُكَ" قُلْتُ: الظِّلُّ أَشْعَلَني ... ظَنَنْتُ أَنَّكَ يَا مَوْلايَ لَمْ تَرَنِي»
بَلْ قَدْ رَأَيْتُكَ لَكِنْ خُطْوَتِي عَلِقَتْ ... بِطَرْفِ ثَوْبِكَ هَلَّا قُمْتَ عَنْ شَجَنِي!
قُلْ لِلشَّوَارِعِ أَلَّا تَقْتَفِي أَثَرِي ... بَلِّغْ سَلامِي إِلَى مَنْ لَيْسَ يَعْرِفُني
وَإِنْ مَرَرْتَ بِعُصْفُورَيْنِ قُلْ لَهُمَا: ... العُشُّ مُنْتَظِرٌ في ذَلِكَ الفَنَنِ
وَإِنْ رَأَيْتَ صَغِيرًا تَاهَ فِي قَفَصٍ ... أَخْبِرْهُ أَنَّ جِهَاتِي قَدْ غَدَتْ كَفَنِي"!
وَسَارَ حَتَّى تَجَلَّى خَلْفَ سَارِيَةٍ ... وَغَابَ بَيْنَ ضَبَابِ النَّاسِ وَالمُدُنِ
نَادَيْتُهُ لَمْ يَكُنْ غَيْرِي بِجُبَّتِهِ ... فَغَاصَ فِيهَا فَقُلْتُ: الآنَ أُشْبِهُنِي
يَا مُنْتَهَى سُفُنِ الإِبْحَارِ في أَرَقِي ... مَنْ يَحْمِلُ الضِّفَّةَ الأُخْرَى إِلَى السُّفُنِ؟
مَنْ يُغْرِقُ البَحْرَ في زَخَّاتِ أَسْئِلَةٍ؟ ... أَوْ مَنْ سَيُلْقِي جَوابًا ما لِيُنْقِذَنِي؟
مَاذَا تَقُولُ بِكَفٍّ ضَيَّعَتْ حُلُمًا؟ ... «يَوْمُ التَّخَاصُمِ حَتَّى الآنَ لَمْ يَحِنِ»

مَا الصَّبرُ؟ مَا الوَجَعُ المُمْتَدُّ أشْرِعَةً     مِنَ البُكَاءِ "مَلاكُ زُجَّ فِي المِحَنِ» وَمِنْ
مَا هَذِهِ الأَرْضُ؟ «شُبَّاكَانِ مِنْ عَدَمٍ     وُجُودٍ لِبَابِ المَوْتِ يَحْمِلُنِي»
وَمَا الحَيَاةُ؟ «سَرَابٌ تَحْتَهُ نَهَرٌ     رِدِ السَّرابَ ، وخُذْ كَأْسًا لتَقْرَأَنِي»
زِدْنِي وَذَا الوَطَنُ الغَافِي بِأَوْرِدَتِي     مَاذَا تُعَرِّفُهُ يَا شَيْخُ "بِالوَطَنِ"
فَأَفْرَغَ الشِّعرَ في كَأْسٍ قَدِ امْتَلَأَتْ     بِخَمْرَةِ التِّيهِ فِي الصَّحْرَاءِ أفْرَغَني؟
«لا تَدَّعِ الوَحْيَ واصْمُتْ كُلَّما صَمَتُوا»     مَنْ لي بِصَمْتٍ وَهَذِي الطَّيْرُ تَسْكُنُنِي؟
حَطَّمْتُ أَعْشَاشَهَا فَاسْتَوْطَنتْ كَبِدِي؟     صُراخُ أفْراخِها الجَوْعَى يُؤَرِّقُنِي
مَنْ لَيْسَ يُشْبِعُها إِلَّا الفَنَاءُ رُؤًى     فِي لَيْلِ أَسْئِلَةٍ بَاتَتْ تُحَيِّرُنِي؟
«لا تُخْبِرِ النَّاسَ عَنْ هَذِي الطَّرِيقِ لِكَيْ     لا يَقْصِدُوهُ» إذًا مَنْ سَوْفَ يُرْجِعُنِي؟
«قد جِئْتَ وَحْدَكَ تكْسُو كُلَّ دالِيَةٍ     ثَوْبَ الوَقَارِ تُعَرِّي فِكْرَةَ الرَّسَنِ
ارْجِعْ لِتُغْلَقَ في الأَطْلالِ نَافِذَةٌ     تُطِلُّ نَحْوَ شِتَاءٍ غَيْرِ مُؤْتَمَنِ
وارْتِقْ رَبِيعَكَ خَبِّئْ نَبْضَهُ سَحَرًا     بَيْنَ المَوَاسِمِ في إِغْفَاءَةِ الزَّمَنِ



# تَعْلِيمُ العَرَبِيّةِ للطُّلّابِ المُتَعَلِّمِينَ غَيْرِ المُتخصِّصِينَ في تدرِيسِها : فَرِيضَةٌ، أم فَضْلَةٌ ؟

هيثم محمد خميس
مدرّس بكليّة التّربية/جامعة الإسكندريّة

**إنَّ الأمّةَ العربيّةَ أمّةُ بيانٍ، والعملُ فيها مقترنٌ بالتّعبيرِ والقولِ، الذي لا يستقيمُ – بدَوْرِه - إلا بتكامُلِ المهاراتِ اللُّغويةِ اللّازمةِ لأداءٍ لُغويٍّ سليمٍ، والأداءُ اللّغويُّ مُقترنٌ بما وراءه من كفاياتٍ لُغويّةٍ؛ فالأداءُ اللُّغـويُّ - للنّاطقين بها منَ المتخصِّصين فيها، أو غيرِ المتخصِّصين - دالٌّ على الجودةِ اللُّغويّةِ، وأُسُسِ التّمكّنِ من مهاراتِ اللّغةِ العربيّةِ، ومفهوماتِها، ومعارفِها، واستخدامِها استخدامًا صحيحًا.**

**ويُقترنُ التّواصلُ اللُّغويُّ الصّوابُ بامتلاكِ طرفيْه مجموعةً منَ الكفاياتِ، والمهاراتِ اللّغويةِ المُستندةِ إلى تلكَ الكفاياتِ؛ والتي تُسهمُ في صحّةِ التّواصُلِ؛ فعلَى المُرسِلِ أن يمتلكَ الحدَّ الأدنَى منَ الكفاياتِ التي تُسهمُ في انتقالِ الرّسالةِ؛ الشّفاهيةِ، أو المكتوبةِ، في صورتِها الصّحيحةِ، وفي المقابلِ امتلاكُ المُستقبِلِ الحدَّ الأدنَى منَ الكفاياتِ التي تُسهمُ في صحّةِ استقبالِ تلكَ الرّسالةِ.**

ولا يقتصرُ الأداءُ اللّغويُّ الصّحيحُ على مُتخصِّصِي اللّغة العربيّةِ وحدَهم؛ بل تنتقلُ أهمّيةُ ممارستِه إلى غيرِ المُتخصِّصين فيها، وهو ما أفضَى إليه عبده الراجحي بقوله: «إنّ صحّةَ الأداء اللُّغويِّ لا ينبغِي أن تكونَ مقصورةً على المُتخصِّصين؛ بل يجبُ أن تكونَ عامّةً شائعةً بين المتعلِّمين من أبناء المجتمعِ؛ وبخاصّةٍ أولئك الذين يتخرّجُون في الجامعة؛ لأنّهم من يحملُون العِبءَ الأكبرَ في تنميةِ المجتمعِ، ونهضتِه».

وإن كانت حاجةُ مُتخصّصي اللّغة العربيّةِ إلى تعلُّمِ فنونِها، ومهاراتِها بشكلٍ مختصّ، أمرًا ضروريًا يفِي بمُتطلّبات تخصُّصِهم؛ فإنّ حاجةَ المُتخصِّصين في غيرها أوجبُ، في التّواصلِ مع نصوصِ تخصُّصاتِهم المختلفةِ، وألّا يكونَ تعليمُهم إياها – كما هو الحالُ في كثيرٍ من جامعاتنا – في مَعْزِلٍ عن نصوصِهم، وتخصُّصاتهم المختلفةِ، وما يَلزمُهم – لفهمِهم إياها- من كفاياتٍ لُغويّةٍ نوعيةٍ تتبايَنُ بتبايُنِ التّخصُّصات، تمكِّنُهم منَ التّواصلِ مع نصوصِهم؛ استقبالًا، وإرسالًا؛ بل وإنتاجِهم نصًّا مُوازيًا فهمَهم.

وأشار حُسني عصر - في الصّدد نفسِه - إلى أهمّيةِ تعليمِ اللّغةِ للطّلابِ المُعلِّمين منَ المُتخصِّصين في غيرها بأنّه: «وإذا كان الوعيُ باللّغة التي تُصاغُ فيها المعرفةُ في الكُتبِ الدّراسيةِ في مراحلِ التّعليمِ جميعِها لازمًا



للطّلاب؛ فهو أكثرُ لزومًا للمعلّمين الذين يُحلّلون مُحتوى النُّصوص، ويُفسّرونَها، ويشرحونَها، ويذلّلون تعقُّدَها النَّحويَّ؛ فالمعلِّمُ غيرُ المتخصّص في تدريس اللّغة العربيّةِ المُتمكّنُ من لغتِه، ومن خصائصِ نصِّه؛ شكلًا، ومضمونًا، ومن تركيبِه المفهوميِّ (المفهوماتُ العلميةُ)؛ يزدادُ وعيُه بالدّرس، ويزدادُ استيعابُه له عُمقًا"؛ أي: أنَّ معلّم التّاريخ هو معلّمُ لغةٍ، ومعلِّمُ العلومِ كذلك، وكذلك جميعُ معلِّمِي الموادِّ الدّراسيةِ الأخرى؛ فهم جميعًا معلّمو لُغةٍ؛ وذلك على غِرارِ ما تصنعُه الأممُ المُتقدّمةُ؛ إذ لا يجوزُ مُطلقًا أن يتهاونَ معلِّمُ العلومِ بلُغتِه، ولا أيُّ معلِّمٍ في أيِّ تخصّصٍ آخرَ.

ويمكنُ الإشارةُ إلى أنّ تعليمَ العربيّةِ للمتخصّصين في غيرها يندرجُ تحت مسمّى: «اللّغـةُ عبْـرَ المَنْهَـجِ» (language Across The Curriculum)، أو فيما يُطلقُ عليه -بشكلٍ أكثرَ تدقيقًا- «تعليمُ اللّغة لأغراضٍ متخصّصة»، في إشارةٍ بيِّنةٍ إلى أهمّيةِ اللّغةِ في اكتسابِ المفهوماتِ اللّغويّةِ، والعلميّةِ .. وغيرِها، وإنتاجِها؛ بما يشيرُ إلى العلاقةِ الموسَّعةِ بين اللُّغة، وبين العلومِ: الطبيعيّةِ، والنّفسيّةِ، والاجتماعيّةِ؛ ممّا يجعلُها – عندئذٍ – أداةَ فهْمٍ، وتعبيرٍ، واكتسابٍ، وإنتاجٍ؛ إذ يُعدُّ تعليمُ اللّغة العربيّةِ للمتخصّصين في غيرِها جُزءًا لا يتجزّأُ من تعليم اللّغةِ لأغراضٍ محدّدة؛ فإنّ تعليمَها للمتخصّص في غيرِها مرهونٌ بحاجاتِه اللّغويّةِ، وكفاياتِه الخاصّةِ لاستقبالِ نُصوصِ تخصّصِه والتّعاملِ معها، وتحليلِها، وفهْمِ المقروءِ، وما وراءَها من فِكَرٍ ضمنيّةٍ، ويُعبّرُ عنها في صورةٍ مكتوبةٍ بشكلٍ صوابٍ يحقّقُ النّفعَ وصوابَ عمليّةِ التّواصُلِ ذاتِها.

**مُقرَّرُ اللّغةِ العربيّةِ قائمٌ على الحاجاتِ اللُّغويّةِ الفعليّةِ في المواقفِ التّواصُليّةِ**

ومُقرَّرُ اللّغةِ العربيّةِ قائمٌ – بالضّرورة، أو منَ المفترَضِ – على الحاجاتِ اللُّغويّةِ الفعليّةِ في المواقفِ التّواصُليّةِ من أصحابِ التّخصّصات الأخرى؛ فعمليّةُ تحليلِ الحاجاتِ اللّغويّةِ تمدُّنا بأسسٍ ميدانيّةٍ وتجريبيّةٍ لتصميم مقرّرٍ لُغويٍّ يوفِّرُ لهم مواقفَ تواصليّةً حقيقيّةً، وألوانَ نشاطٍ تطبيقيّةً تُستخدمُ داخلَ المؤسّسات المَعنيّةِ بتعليمِ اللُّغاتِ، كما أنّ تحليلَ الحاجاتِ يمدُّنا بالأسُسِ العلميّةِ التي يَستندُ إليها تصميمُ الموقفِ التّعليميِّ القائمِ على المدخلِ التّواصُليِّ

المُرتبِطِ ببعض المواقفِ الضّروريّةِ لمُتعلّم اللُّغة؛ بما يُلبّي حاجاتِ مُتعلّمِي اللّغة العربيّةِ الفعليّةِ للتّواصُلِ الفعّالِ في هذه المواقفِ.

وبهذا فإنّ «عَبْرَ المَنْهَج» – بوصفه شقًّا مُستقلًّا من أقسام تعليم اللّغةِ لأغراضٍ مُتخصّصةٍ - يُعنَى بتعليم اللّغةِ العربيّةِ للمُتخصِّصين في غيرها؛ كمادّةِ تعليم، وتعلُّم مُعينَةٍ على فهْمِ مُختلفِ النُّصوص، ووسيلةِ ترابُطٍ بين الطّالب المعلّم، وبين نصوص تخصُّصِه؛ فهمًا، وتحليلًا.




وقد عُني كثيرٌ منَ اللُّغويّين على صنوفِهم منَ الأكاديميين، والتّربويّين بتعليم العربيّةِ للطّلاب المُعلّمين غيرِ المُتخصّصين في تدريسها، وأشاروا إلى قضيّتَيْن رئيستَيْن؛ هما: قضيّةُ النّصوص، وقضيّةُ النّحو؛ فقضيّةُ النّصوص يتنازعُها اتّجاهان؛ الأوّلُ: يرى تقديمَ نُصوصٍ ميسّرةٍ تُعنى بإبرازِ أساليبَ لُغويّةٍ معيّنة، مع نَثْر بعضِ المُفردات ذاتِ الصّلة بالتّخصّص في ثنايا النّصّ، والعملِ على بيان دلالتَيْها: اللُّغويّةِ، والاصطلاحيّةِ.

أمّا الثاني: فيرى أخذَ النّصوصِ من مجال التَّخصُّصِ من غيرِ تحويرٍ، ولا تعديلٍ؛ لأنّ لغتَها هي اللّغةُ التي سيتعامل بها الـدّارسُ في حقل تخصُّصه؛ فهو يلبِّي حاجاتِ الدّارِسين، وينعكسُ على حياتَيْهم: العلميّةِ، والعمليّةِ. أمّا قضيّةُ النّحو فهي معنيّةٌ – لغيرِ المُتخصّصين– بالبُعدِ عن المُصطلحاتِ النّحويّةِ، والتّركيزِ – فيما ذُكرَ في الاتّجاه الثّاني في قضيّةِ النّصوص - على الظّواهر النَّحويّةِ المُهمّةِ في نصوصِهم الأصليّةِ؛ وصولًا بهم إلى مرحلةِ التّلقائيّةِ في استقبال التّراكيبِ اللّغويّةِ، وإنتاجِها كذلك.

ولم يكن تباينُ النّصوصِ باختلاف تخصُّصاتِها في معْزلٍ عن توظيفِ الظّواهرِ اللُّغويّةِ، أو عنِ الأداء اللّغويِّ السّليم؛ إذ تعتمدُ نظريةُ التّلقّي على جوهرٍ أساسٍ يؤدّيه القارئُ، وهو عمليةُ تفاعلٍ مع المعنى الذى يحملُه النّصُّ، وتبايُنِ معناه، وقد يكونُ المعنى الظّاهريُّ للنّصّ يوافقُ المعنى الباطنيَّ له؛ ممّا يُفقدُ النّصَّ قابليةُ التّأثير؛



ولكنْ في النّصوص العِلْميّةِ – على سبيل المِثالِ – فإنَّ ظاهرَ النّصِّ يوافقُ باطنَه؛ لأنَّ النّصّ ليس في حاجةٍ إلى التّأويل؛ فالنّصُّ العِلميُّ نصٌّ مُباشرٌ وواضحٌ لا غموضَ فيه؛ إذ تلزمُه – فضلًا عنِ الكفاياتِ اللُّغويّةِ العامّةِ التي يمتلكُها النّاطقون بالعربيّةِ - كفاياتٌ نوعيّةٌ مغايرةٌ لتلك التي تلزمُ للنّصوص التّاريخيّة؛ أبرزُها: استنتاجُ تطبيقاتٍ حيويّةٍ منَ المعلومات المُعطاةِ له، تفسيرُ الظّواهر تفسيرًا علْميًّا مدقّقًا، تحديدُ الغرضِ منَ استخدام الأفعال المُضارعةِ في النّصوص العِلْميّةِ، وتحليلُ المعطَياتِ وأبعادِها، واستنباطُ القاعدةِ العِلْميّةِ من قراءته النّصَّ، والحكمُ على أهمّيّة النّصّ العِلْميّ، وتوظيفُ المعرفةِ في المواقفِ الحيويّةِ، تحليلُ المعرفةِ العِلْميّةِ وإنتاجُ غيرِها ممّا لم يَرِد – صراحةً – في النّصّ.

على حينٍ آخرَ، يحتاجُ فهمُ نصوصِ التّاريخ – في الصّدد نفسِه - عددًا منَ الكفاياتِ النّوعيّةِ التي منَ الواجب أن ينمازَ بها دارسُوه؛ أبرزُها: التّمييزُ بين الرأي والحقيقة، وكذلك اشتقاقُ المعاني الضّمنيّةِ، والحكمُ على مصداقيّةِ النّصّ في ضوء بِنيتِه، ونقدُ النّصِّ، وإبداءُ رأيِه في كلّ الأحداثِ، والتّرتيبُ الزّمنيُّ لها، وتحديدُ الشّخصياتِ التّاريخيّةِ وأدوارِها، وما يدورُ حولَها من أحداثٍ، وتحديدُ الغرَضِ منَ استخدام الأفعال الماضيةِ والجُملِ الاسميّةِ في النّصوص التّاريخيّةِ، وتحديدُ النّتائجِ المترتّبةِ على الأحداث التّاريخيّةِ.

أيْ أنّه برغم اتّفاقِ كثيرٍ منَ الكفاياتِ اللّغويّةِ التي يجبُ أن يتمكّنَ منها الطّلابُ المُعلّمون كافّةً فيما يُطلقُ عليه «الكفاياتُ النّوعيّةُ»؛ فإنّ ثمّةَ كفاياتٍ نوعيّةً تتباينُ بتبايُنِ تخصُّصات الطّلاب المُعلّمين؛ فما يحتاجُه الطّلابُ معلّمُو التّاريخ يختلفُ عمّا يحتاجُه الطّلاب معلّمُو الجُغرافيا...




وهكذا؛ أي: أنّ هناك ضرورةً مُلحّةً لتدريس العربيّةِ للطّلاب المُعلّمين غيرِ المُتخصّصين، شريطةَ أن يُلتزمَ - في تعلُّمِها - بالكفاياتِ اللّازمةِ فهْمَ نُصوصِ التّخصُّص.

إنَّ ما تقدَّم يُبرزُ – من ناحية – أهمّيّةَ تعليم اللُّغة العربيّةِ للمُتخصّصين في غيرِها، وأهمّيّة أن يتمكّنُوا منَ الكفاياتِ اللّازمةِ فهْمَهم النُّصوصَ المُتخصّصةَ، وتحليلَ بنيتَيْها: الظّاهرةِ (الظواهرُ، والبُنى: التّركيبيّةُ، والصّرفيّةُ، والدلاليّةُ)، والضّمنيّةِ (ما تحملُه تلك النّصوصُ من مظاهرَ تنمازُ بها، وما تحملُه بين طيّاتِها من معانٍ)، وأن تتباينَ تلك المُقرّراتُ بتبايُنِ تخصُّصات دارسِيها؛ فلا يدرسُ المؤرِّخُ - منَ اللّغة - ما يدرسُه الجغرافيُّ، أو العلوماتيُّ، وأن يكونَ - في ضوء تمكُّنِه منَ الكفايات بنوعَيْها: العامِّ، والنّوعيِّ - قادرًا على استيعاب نصوصِه، وفهْمِ مَغزاها، وأن يوظِّفَ تلك المعارفَ اللّغويّةَ في بُنَى نُصوصِ تخصُّصِه؛ فيُتقنَها إتقانًا وظيفيًّا، لا أن يتلقّاها مُجرَّدةً في نصوصٍ عامّةٍ صَمّاءَ لا علاقةَ لها بمجال تخصُّصه.

– عصر، حُسني عبد الباري: العلاقةُ بين التّمكّن من نحو النّص المقروء والتّمكّن من مضمونه المفهوميّ لدى الطلاب المعلّمين في كلية التربية – جامعة الإسكندرية، المكتب العربى الحديث، الإسكندرية، 1999.
– الراجحى، عبده: العربيّةُ الجامعيّةُ لغيرِ المتخصّصين، دار النهضة العربية، بيروت، 2007.

# التَّأْوِيلُ النَّحْوِيُّ القُرْآنِيُّ بَيْنَ الرُّؤْيَةِ البَصْرِيَّةِ الأُسْلُوبِيَّةِ والرُّؤْيَةِ الكُوفِيَّةِ التَّدَاوُلِيَّةِ






الدكتور عامر خليل الجرّاح
متخصص في البلاغة واللسانيّات التداوليّة

بسم الله، والحمدُ لله، والصّلاةُ والسّلامُ على حبيبِنا رسولِ الله، وبعدُ:

فقد يبدُو للقارئِ للوَهْلة الأولى أنّ اجتماعَ مُصطلحاتٍ مُختلفةٍ مَعرفيًّا وزمنيًّا ومَكانيًّا أمرٌ يدعو للعَجب والاستغرابِ، ونعني بذلك اجتماعَ حقلِ النَّحو العربيّ البصْريِّ والكوفيِّ القديم زمنيًّا، مع حقلِ الدّراسات الغربيةِ الأُسلوبيّةِ والتّداوُليّةِ الحديثة، ثمّ دخولَ ذَينك الحقلَينِ في ميدان التّأويل القُرآنيِّ، نعم هو أمرٌ يدعو للعَجَب والاستغراب، غيرَ أنّ ذلك الشّعورَ يذوبُ كما يذوبُ الثّلجُ أوِ الملحُ في الماء السّاخنِ حين نُفعّلُ أداتَنا المعرفيّةَ والإجرائيّةَ، ونستنطقُ الآراءَ النَّحويّةَ لأصحاب مَدرستَي البصْرة والكوفة، ونُرجعُ تلك الآراءَ إلى إطارٍ قرائيٍّ جديدٍ وجدْنا أنّ الاتّجاهاتِ المرجعيّةَ الأسلوبيّةَ ذاتَ الطّابَع البِنيويِّ، والتّداوُليّةَ ذاتَ الرُّؤيةِ الوظيفيّةِ تصلحُ أن تكون وسْمًا له، وكانت مادّةُ التّأويل النَّحويِّ القرآنيِّ التي اختلف أصحابُ المدرستَينِ المذكورتَينِ في طريقة تناوُلِها هي عمدةُ الدّراسة، ونشيرُ إلى أنّ تلك المادّةَ قد تنوّعت بين أسماءٍ، وأفعالٍ، وحروفٍ، ونحدّدُ ذلك بالحالاتِ الخاصّةِ التي رأى فيها البصريّون مخالفةً وخروجًا وانزياحًا عن أصل الاستعمال، وهم أهلُ قياسٍ، في حين أنّ الكوفيّين لم يُقرّوا بالمخالفة،

وجعلوا ذلك ضربًا منَ الاستعمال، وهم أهلُ سماعٍ كما هو مقرَّرٌ في أدبيات الدّراسات النّحويّةِ.

تنقسم هذه المقالةُ إلى ثلاثة مباحثَ:

- **المبحثُ الأوّلُ:** تأويلُ الأسماء في القرآن بين أُسلوبيّةِ البَصْريّين وتداوُليّةِ الكوفيّين.
- **المبحثُ الثّاني:** تأويلُ الأفعال في القرآن بين أُسلوبيّةِ البَصْريّين وتداوُليّةِ الكوفيّين.
- **المبحث الثالث:** تأويلُ الحروف في القرآن بين أُسلوبيّةِ البَصْريّين وتداوُليّةِ الكوفيّين.

نعنِي بالرّؤية الأسلوبيّةِ في تأويل البصريين التّركيزَ على الجانب البِنيويِّ الفنّي الجماليِّ لحالات الخروج في الأفعال والأسماء والحروفِ، كما نعني بالرّؤية التّداوُلية عند الكوفيين تأويلَ تلك الحالات برحابة الاستعمال وإمكانية التّناوُب، والحقُّ أنّ ذلك الاختلافَ يرجعُ إلى النَّهجِ المُتّبعِ عند أرباب المَدرستَينِ، فالبصريّون كما هو معلومٌ يأخذون بالقياس، ويتمسّكون به، أمّا الكوفيّون فمسرحُهم السّماعُ؛ يأخذون كلَّ ما يسمعونَه، ويقبلون به، وإن خرج على قواعدِ الكوفيّين وأقيِسَتِهم، والله الميسّرُ، وعليه الاتّكالُ.

**المبحثُ الأوّلُ:** تأويلُ الأسماء في القرآن بين أُسلوبيّةِ البَصْريّين وتداوُليّةِ الكوفيّين.

نقصدُ بالأسماء المشتقّاتِ والمصادرَ التي يظهرُ للمتلقّي أنّ فيها مخالفةً باديَ الرّأي، بمعنى أنّ مصدرًا أو مشتقًّا ما حلّ محلَّ مشتقٍّ آخرَ. يرى البصْريّون أنّ ذلك لا يكون من باب التّناوُب في القرآن الكريم، بل إنّه استعمالٌ أُسلوبيٌّ خرج لغايةٍ فنّيةٍ، فعندهم أنّ استخدامَ اسم مكانَ آخرَ يكونُ من باب المجاز، ونضربُ لذلك مثالًا تأويلَ الاسم المصدرِ (كَذِب) في قوله تعالى: ﴿وَجَآءُو عَلَىٰ



قَمِيصِهِۦ بِدَمٖ كَذِبٖۚ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: 18]. يقول الفخرُ الرّازيّ في (تفسيره الكبير): «قيل (بدمٍ كَذِبٍ)، لأنّه كُذِب فيه كما يقال: (الليلة الهلالُ)، وكما قيل: {فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ} [سورة البقرة:16]. وذلك قولٌ كان بعضُ نحويّي البصرة يقولُه، والوجهُ الآخرُ: وهو أن يقال: هو مصدر بمعنى (مفعول). وتأويلُه: وجاؤوا على قميصه بدم مكذوبٍ = كما يقالُ: (ما له عقلٌ ولا معقولٌ)، و(لا له جَلَدٌ ولا له مجْلودٌ). والعربُ تفعلُ ذلك كثيرًا، تضعُ (مفعولًا) في موضع المصدر، والمصدرَ في موضع (مفعول)، كما قال الرّاعي:

حَتَّى إِذَا لَمْ يَتْرُكُوا لِعِظَامِهِ ... لَحْمًا وَلَا لِفُؤَادِهِ مَعْقُولَا

وذلك كان يقولُه بعضُ نحويّي الكوفة». ونُقرّبُ تفسيرَ المجاز والنّظرةِ الأُسلوبيّةِ الفنّيّةِ للبصريين بإيراد تفسيرِ (دافق) في قولِه تعالى: {خُلِقَ مِن مَّآءٖ دَافِقٖ} [الطارق: 6]؛ يقولُ الرّازيّ: «صاحبُ الماء لمّا كان دافقًا، أُطلِق ذلك على الماء على سبيل المجاز».

ويقرّبُ تلك الرّؤيةَ الأسلوبيةَ ابنُ عاشورٍ، فيقول في نحو: {عيشة راضية}: «وَصْفُ (عيشة) بـ (راضية) مجازٌ عقليٌّ لملابسة العِيشة حالةَ صاحبِها، وهو العائشُ ملابسةَ الصّفة لموصوفها... والعِيشةُ ليست راضيةً، ولكنّها لحُسنها رَضيَ صاحبُها، فوصفُها بـ (راضية) من إسناد الوصفِ إلى غيرِ ما هو له، وهو من المبالغة؛ لأنّه يدلُّ على شِدّة الرِّضى بسببِها حتّى سرى إليها». ، فالدّم كذِبَ القائلُ به، والدّافقُ دفقَ صاحبُه، والعِيشةُ رضيَ صاحبُها، وانتقل الفعلُ إلى الأسماء المذكورةِ من فاعلِها فصارت فاعلًا على سبيل المجاز للمُلابسة مبالغةً، أمّا الكوفيّون فيروْنَ أنّ الأسماء تتناوبُ، فدافقٌ بمعنى مدفوقٍ، وكذبٌ بمعنى مكذوبٍ، وراضيةٌ بمعنى مرضيّةٍ؛ أي لا مجازَ في الآيات، وهذا التّفسيرُ تداوليٌّ يُحيلون فيه إلى عُرفِ الاستعمال، وعلى الاتّساع في اللّغة، وقولُ الرّازيّ: بعض نحويّي البصرة أو الكوفة لا يجرحُ ما قلناه بالتّعميم؛ لأنّ ذلك منهجٌ متّبعٌ، ونقوّيه بالحديث عن رؤيتِهم في تأويل الأفعال والحروف فيما يأتي.






**المبحثُ الثّاني:** تأويلُ الأفعال في القرآن بين أُسلوبيّةِ البَصْريّين وتداوُليّةِ الكوفيّين.

الحديثُ عن تأويل البصْريين والكوفيّين للأفعال في القرآن الكريم هو حديثٌ عن أحوالِ التّعديةِ المخالفة التي رأى فيها البصريّون تضميناً، والتّضمينُ مسلكٌ أُسلوبيّ فنّيٌّ؛ يقول ابنُ هشام: "قد يُشرِبون لفظًا معنى لفظٍ، فيُعطونَه حكمَه، ويُسمَّى ذلك تضميناً، وفائدتُه أن تُؤدّي كلمةٌ مُؤدَّى كلمتين» ، فالكوفيون ذهبوا إلى بُطلان القولِ بالتَّضمين من خلال زعْمِهم أنّ التّصرّفَ في الحروف يكونُ، لا الأفعالِ، و«أنّ حروفَ الجرّ ينوب بعضُها عن بعض، فقد تأتي (من) بمعنى (على)، كقوله تعالى: ﴿وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ﴾ [الأنبياء: 77]، وقد تأتي بمعنى (عن) كقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا﴾ [ق: 22]. وقد تأتي (الباء) بمعنى (عن) كقوله تعالى: ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ۝١﴾ [المعارج: 1]، وقد تأتي بمعنى (من)، كقوله تعالى: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ﴾ [الإنسان: 6]. وقد تأتي (على) بمعنى (في)، كقوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا﴾ [القصص: 15]... ومذهبُ جمهورِ البصْريّين أنّ حروف الجرّ لا ينوب بعضُها عن بعض، إلّا شذوذًا، أمّا قياسًا فلا، وما أوهم ذلك فهو مُؤَوَّلٌ، إمّا على التّضمين، أو على المجاز» ، وسنوضّح ههنا بابَ التّضمين، وإن كان في الواقع شِرْكةً بين بابَي الأفعال والحروف، إلّا أنّه بالأفعال أعلقُ، أمّا المجازُ فنتركه لباب الحروف.

قال البصْريّون بالتّضمين، إلّا أنّهم ذهبوا إلى «أنّ التّضمينَ لا يقاسُ، وإنّما يُصارُ إليهِ عند الضّرورة». وقولُه: الضرورةَ يعني الفنَّ أو التّعبيرَ الفنّيّ، لذلك التصقتِ الضّرورةُ بالشِّعر، فقيل: ضرورةٌ شِعريّةٌ.

تتجلّى الأُسلوبيّةُ الفنّيّةُ للتّضمين في (أن تُؤدّيَ كلمةٌ مُؤدَّى كلمتَيْن)؛ ففي الآية: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ﴾ [البقرة:187]، لدينا جملتان متحصّلتان منها هما: الأولى رفثَ بالمرأة، بمعنى باشرَها، والثّانيةُ أفضَى إليها، بمعنى وصلَ وانتهى وأوى، فأصبحتا بالإيجاز جملةً واحدةً هي: رفثَ إلى المرأة. وفي هذا الصدد نُوردُ قولَ الزّمخشريِّ في التّضمين في الآية: ﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ [الكهف:28]: «فإنْ قلتَ: أيُّ غرضٍ في هذا التَّضمين؟ وهلّا قيل: ولا تَعْدُهم عيناك، أو لا تعل عيناك عنهم؟ قلت: الغرضُ فيه إعطاءُ مجموع معنَيَيْن، وذلك أقوى من إعطاء معنى فذٍّ. ألا ترى كيف رجع المعنى إلى قولك: ولا تقتحمْهم عيناك مجاوزتَيْن إلى غيرهم؟». هكذا نظر البصريّون إلى الأفعال، والتمسُوا فيها البُعدَ الأسلوبيَّ، أمّا الكوفيّون فاعتصمُوا بالقولِ بتناوُب الحروفِ، وبالاستعمال والتّداوُلِ.

**المبحث الثالث:** تأويلُ الحروف في القرآن بين أُسلوبيّةِ البَصْريّين وتداوُليّةِ الكوفيّين.

ذكرنا مذهبَ الكوفيّين في أنَّ حروفَ الجرِّ تتناوبُ في الاستعمال، وتطرّقْنا لموقفِهم منَ التّضمين في المبحث السابق، وهو يتعلّقُ بالتفاتِهم إلى الحروف دونَ الأفعال، والآن نتحدّثُ عنِ الموقف ذاته في بابٍ آخرَ هو المجازُ، ففي قوله تعالى: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ [طه: 71]، ذهب الكوفيّون «إلى أنّ (في) بمعنى (على)، وذهب البصْريّون إلى أنّه ليس بمعنى (على)، ولكنْ شُبِّه المصلوبُ لتَمَكُّنه منَ الجذع بالحالِّ في الشّيء فهو من باب المجاز». فالكوفيّون قالوا بالتّناوُب بين الحروف، وهذا منَ الاستعمال، ولا مجازَ في الآية، في حين أنّ البصْريّين لمسُوا الجانبَ الفنّيَّ في هذه المخالفة فجعلوها قاعدةً للمجاز.

بعد أن بيّنّا موقفَ الكوفيّين منَ الحروف بالقول بتناوُبها في بابَي التَّضمين والمجاز، ننتقلُ إلى موقفٍ آخرَ نزدادُ به أُنسًا فيما نذهبُ إليه، وذلك في الموقف منَ الحرف (حتّى) وإضمار (أنْ) بعدها؛ يقول الكَفويُّ: «الإضمارُ أحسنُ منَ الاشتراك، ولهذا كان قولُ البصريّين: إنّ النّصبَ بعد (حتّى) بأنْ مضمرةً أرجحَ من قول الكوفيّين: إنَّه بـ (حتّى) نفسِها، وأنَّها حرفُ نصبٍ معَ الفعل، وحرفُ جرٍّ معَ الاسم، والإضمارُ والاقتضاءُ هما سَوَاءٌ، وأنّهما من باب الحذف والاقتصارِ، لكنَّ الإضمارَ كالمذكور لُغَةً حتّى قلنا: إنّ للمُضمر عُمُومًا، فإنّ مَن قال لامرأته: (طَلِّقِي نَفسَكِ، ونوى الثَّلَاثَ صَحَّ؛ لأنّ المصدر محذوفٌ، فهو كالمذكور لُغَةً، فصارَ كأَنَّهُ قَالَ: (طَلِّقِي نَفسك طَلَاقًا)» .

إنّ تلك التّأويلاتِ التي رأيناها من أربابِ مدرستَيْ مِصرَي العراق: البصرةِ والكوفةِ ترجعُ في اختلافها إلى اختلاف المَرجعيّات والرُّؤية الفكرية، فالبصْريّون الذين عُرِفوا بتمسّكِهم بالقياس، وحبِّهم للقياس والتّقعيد والضّبطِ، جعلوا للّغة أسوارًا وقواعدَ صارمةً، غيرَ أنّ اللّغةَ، ولا سيّما الكلامَ الفنّيَّ لا يمكنُ ضبطُه، فاحتالوا له بتأويلات فنّيّة، وجعلوها قواعدَ منّ الدّرجة الثّانيةِ؛ ظهرَ ذلك في القول بالمجاز والتَّضمين في هذا البحث، على أنّهم ذهبوا أيضًا إلى أنّ ذلك لا ينقاسُ، وتحسُنُ الإشارةُ إلى ضربٍ آخرَ منَ المخالفات الفنّيّةِ هو الضّرورةُ الشِّعريّةُ جعلوا لها قواعدَ منَ الدّرجة الثّانيةِ كتلك، غيرَ أنّهم قالوا بقياسِها، ومن ثَمّ ظهرَ في طروحاتِهم الطّابعُ الأسلوبيُّ الفنّيُّ، في حينِ أنّ الكوفيّين كانوا أرحبَ منهم رأيًا، وأكثرَ تسامُحًا، فجعلوا السّماعَ مرجعَهم، والقولُ بالسّماع يعني الاعتصامَ بالمذهبِ الاستعماليِّ التّداوُليِّ، فكانوا يَقبلون بكلِّ ما تقولُه اللّغةُ، ويَرَون أنّها رحبةُ الاستعمال، ومن ثَمّ ظهرَ عندهم مبدأُ التّناوُبِ الذي يُفيدُ أنّ الأسماءَ تتناوبُ فيما بينَها، وكذلك الحروفُ...

---

الطبري، ابن جرير: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى، 1422هـ - 2001م، ج13/ ص38.

الرازي، فخر الدين: مفاتح الغيب (التفسير الكبير)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، 1420هـ، ج31/ص119.

ابن عاشور، محمد الطاهر: تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984هـ، ج29/ص132.

ابن هشام الأنصاري، جمال الدين: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت 1991م، ج2/ص791،

السامرائيّ، فاضل صالح: معاني النحو، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الأردن، الطبعة الأولى، 1420هـ - 2000م، ج3/ص6-7.

الكفويّ، أبو البقاء: الكليات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية)، الكليات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية)، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، 1998م، ص1047.

الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٧هـ، ج2/ص717،

السامرائيّ: معاني النحو، ج3/ص7.

الكفويّ: الكلّيّات، ص135.

# الشِّعْرُ وَ اللُّغَةُ

شعر / محمد أحمد أمان
شاعر وكاتب/ مصر

إذا مَا الشِّعْرُ لَمْ يُبْصِرْ طَرِيقَهْ ... فَقَدْ فَقَدَ العَشِيقُ هُنَا عَشِيقَهْ
طَرِيقُ الشِّعْرِ مَوْصُولٌ بِلَفْظٍ ... فَصِيحٍ بَاعِثٍ لُغَةً عَرِيقَهْ
سَبِيلُ الشِّعْرِ تَأْخُذُنَا لِوَادٍ ... نَعِيشُ بِحُبِّنَا اللُّغَةَ الدَّقِيقَهْ
عِمَادُ الشِّعْرِ فِي لُغَةٍ تَجَلَّى ... بِهَا القُرْآنُ آمَادًا عَتِيقَهْ
جَمَالُ الشِّعْرِ فِي لُغَةٍ كَفَاهَا ... بِنُطْقِ مُحَمَّدٍ تَهْدِي الخَلِيقَهْ
قِوَامُ الشِّعْرِ فِي ضَادٍ رَوَاهَا ... أَشَدُّ هُدًى لَهُ اللهُ السَّلِيقَهْ
لِسَانُ الضَّادِ يَعْلُوهُ بَهَاءٌ ... وَذَاكَ قَضَاءُ مَنْ فَطَرَ الخَلِيقَهْ
وَهَلْ فِي الضَّادِ غَيْرُ حَيَاةِ قَوْمٍ ... عَلَى أَفْوَاهِهِمْ تَبْدُو أَنِيقَهْ
هَلِ العَرَبِيُّ دُونَ الضَّادِ شَيْءٌ ... وَكَيْفَ بِغَيْرِهَا يَلْقَى شَقِيقَهْ ؟
حَيَاةُ الضَّادِ تُحْيِينَا جَمِيعًا ... عَلَى أَمَلٍ يُضِيءُ لَنَا الحَقِيقَهْ
إذَا مَا الشِّعْرُ سَارَ عَلَى سَنَاهَا ... فَإِنَّ الشِّعْرَ قَدْ أَبْدَى بَرِيقَهْ
وَنَحْنُ بِغَيْرِهَا دَوْمًا حَيَارَى ... تَشُقُّ صُفُوفَنَا نَارٌ صَدِيقَهْ
وَمَا شَيْءٌ كَمِثْلِ الضَّادِ نُورًا ... يَضُمُّ شَتَائِتَ العَرَبِ الطَّلِيقَهْ
فَيَجْمَعُهَا عَلَى لُغَةٍ مُنَاهَا ... تَشُدُّ رَوَابِطَ القَوْمِ الوَثِيقَهْ
وَإِنَّ الشِّعْرَ بَاقٍ فِي خُلُودٍ ... إذَا أَحْيَا مَعَانِيَهَا العَمِيقَهْ
وَيَا نَجْمَ القَصِيدِ حَذَارِ تَغْدُو ... بِلا لُغَةٍ تَكُونُ بِنَا رَفِيقَهْ
فَأَنْتَ بِهَا تَنَالُ المَجْدَ حَتْمًا ... وَتُنْقِذُ فِيكَ آمَالًا غَرِيقَهْ
وَلا تَعْبَأْ بِمَنْ يَهْجُوكَ يَوْمًا ... لِعِشْقِ الضَّادِ أَوْ تَسْمَعْ نَهِيقَهْ
وَكُنْ لِلضَّادِ مِعْوَانًا قَوِيًّا ... يَصُدُّ جَحَافِلَ القَوْمِ الصَّفِيقَهْ
لُغَاتُ الشِّعْرِ لا تَنْفَكُّ عَنْهُ ... وَخَيْرُ لُغَاتِهِ تُبْدِي رَحِيقَهْ
تَنَفَّسْ فِي لُغَاتِ الشِّعْرِ مِسْكًا ... فَإِنَّ الضَّادَ أَمْطَرَتِ الحَدِيقَهْ
وَمَا كَالضَّادِ فِي شِعْرٍ تَجَلَّى ... فَهَزَّ مَشَاعِرَ الكَوْنِ الرَّقِيقَهْ
وَعِشْقُ الضَّادِ مَنْبَعُهُ فُؤَادٌ ... يُحِبُّ الدِّينَ وَاللُّغَةَ الرَّشِيقَهْ

## قصيدة شاعر الرسول محمد صلى اللّه عليه وسلم

# مُحَمَّدٌ بَهْجَةُ الدُّنيا وَزينَتُها

الحسين بن مسعود
شاعر/ المغرب

يَا شِعْرُ غَرِّد وَيَا أَنْغَامُ لا تَهِني ... وَاسْتَمْطِري المُزْنَ واسْتَسْقي المَوازينَا
واسْتَعْطفي جَرْسَ أُذْنٍ بالهَوَى طَرِبَتْ ... كَيْ تَقْطِفي مِنْ زُهورِ الشِّعْرِ نِسْرِينَا
فالشِّعْرُ سِحْرٌ وَكُلُّ الرُّسْلِ قَدْ نَهَلُوا ... مِنْ سِحْرِهِ فَجَنَوْا مِنْهُ الرَّيَاحِينَا
وَ مَا لَنَا بَاعِثٌ إِلَّا مَحَبَّتُهُمْ ... أَوْ طَيْفُ ذِكْراهُمُ يَأْتي فَيُشْجِينَا
مُحَمَّدٌ بَهْجَةُ الدُّنْيَا وَزَهْرَتُهَا ... وَصَفْوَةُ الرُّسْلِ فِي قُرْآنِ بَارِينَا
وَهَبْتُكَ الشِّعْرَ غَضًّا فِي نَضارَتِهِ ... وَقُلْتُ: رُبَّ طَرِيٍّ الشِّعْرِ يُشْجِينَا
وَمَا خَشِيتُ زِحَافَاتٍ وَلا عِلَلًا ... فَرُبَّ زَاحِفَةٍ فِي الشِّعْرِ تُؤْذِينَا
لِأَنَّهُ مِنْ بَسِيطِ الْبَحْرِ أَنْظُمُهُ ... وَزْناً مُقَفًّى كَعِقْدِ الدُّرِّ تَزْيِينَا
فَأَسْلَسَتْ لِي الْقَوَافِي بِالصَّبَا طَرَبًا ... لِأَنَّهَا مِنْ صَبَا الْأَسْحَارِ تَأْتِينَا
رَوِيُّهَا النُّونُ مَفْتُوحًا يُضاحِكُنَا ... طَوْراً وَطَوْراً بِآهِ الْمَدِّ يُبْكِينَا
يَا خَاتَمَ الرُّسْلِ حُبِّي غَيْرُ مُنْكَتِمٍ ... بِمَنْ حَبَاهُ الْإِلَهُ الْوَحْيَ تَمْكِينَا
هَذِي الْقَوَافِي أَطَاعَتْ إِذْ مَدَحْتُكُمُ ... فَصُغْتُها الْيَوْمَ أَبْيَاتًا تُوَاتِينَا
سُبْحَانَ مَنْ مِنْ تُقَى الْأَصْلَابِ أَنْشَأَكُمْ ... مِسْكًا وَقَدَّرَ إِنْشَاءَ الْوَرَى طِينَا
وَصَاغَ كُلَّ الْوَرَى تِبْرًا وَأَبْدَعَكُمْ ... مِنْ نَاصِعِ التِّبْرِ إِبْدَاعًا وَتَحْسِينَا

وَإِنْ يَكُنْ حَالَ يُتْمُ دُونَ تَرْبِيَةٍ ... فِي حِضْنِ وَالِدِكُمْ فَالْجَدُّ يَكْفِينَا
حَتّى لَقَدْ عدَلَ الرُّضَّاعُ كُلُّهُمُ ... لَمَّا رَأَوْا يُتْمَكُمْ بِالْفَقْرِ مَقْرُونَا
أَكْرِمْ بِسَعْدِيَّةِ الصَّحْرَاءِ حِينَ أَتَتْ ... تُعْطِيكَ تَحْنَانَهَا عَطْفًا وَتَسْكِينَا
حَتّى نَمَا الشِّبْلُ فِي صَحْرَائِهَا وَغَدَتْ ... تَدْنُو الْأُسُودُ وَلَا يَخْشَى الثَّعَابِينَا
فَكَانَ أَشْجَعَ إِنْسَانٍ بِلَا جَدَلٍ ... لَكِنَّهُ قَدْ تَلَقَّى الصَّبْرَ تَلْقِينَا
فَاقْرَأْ تَعَالَى إِلَهُ الْكَوْنِ قَائِلُهَا ... وَعُدْ إِلَى الزَّوْجِ تَشْكُو مَا تُعَانُونَا
وَإِنْ يَكُنْ حَالَ جَهْلٌ دُونَ مَعْرِفَةٍ ... فَابْنُ الْعُمُومَةِ يَدْرِي مَا تُلَاقُونَا
يَا بْنَ الْعُمُومَةِ هَلْ تَدْرِي فَقَالَ لَهُ: ... أَبْشِرْ فَأَنْتَ رَسُولُ اللهِ هَادِينَا
لَكِنَّ قَوْمِي عَلَى الْكُفْرَانِ قَدْ مَرَدُوا ... وَأَنْكَرُوا الدِّينَ قَالُوا: لَيْسَ يَعْنِينَا
فَيَا مُحَمَّدُ أُولَى الْقِبْلَتَيْنِ دَنَا ... إِسْرَاؤُهَا لِسَلِيلِ الرُّسْلِ تَمْكِينَا
سَرَيْتَ وَالْجَوُّ فِي أَرْدَانِهِ عَبَقٌ ... وَجُزْتَ أُفْقَ الْعُلَا تَعْلُو الْمَلَايِينَا
حَتَّى نَزَلْتَ بِسَاحِ الْقُدْسِ فِي مَلَإٍ ... بَيْنَ الْمَقَامِ إِمَامًا لِلنَّبِيئِينَا
وَقَدْ عَرَجْتَ لِأَعْلَى الْكَوْنِ فِي مَلَإٍ ... جِبْرِيلُ مُرْشِدُكُمْ فَاسْأَلْ تُجَابُونَا



وَجِسْمُكَ الْفَذُّ أَضْحَى فِي الْعُلَا قَبَسًا ... أَنْوَارُهُ فِي الْعُلَا تَعْلُو الْقَوَانِينَا

تَحُفُّكُمْ طَاقَةُ الأَرْوَاحِ صَادِحَةً: ... مَرْحَى بِخَاتِمِ رُسْلِ اللهِ هَادِينَا

وَصِرْتَ تَمْثُلُ فِي رُوحٍ وَفِي جَسَدٍ ... فِي هَيْئَةٍ لَمْ تَكُنْ طَيْفًا وَتَخْمِينَا

حَتَّى عَلَوْتَ عَمَاءً غَيْرَ مُسْتَتِرٍ ... اللهُ يَعْلَمُهُ سُبْحَانَ بَارِينَا

فَهَلْ يُصَدِّقُ كُفَّارٌ بِمُعْجِزَةٍ ... لَمَّا قَصَصْتَ لَهُمْ إِسْرَاءَكُمْ دِينَا

قَالُوا: لَقَدْ جِئْتَ مِنْ أَرْضٍ مَلَائِكُهَا ... بِالشِّعْرِ تُوحِي قَذًى يُرْضِي الشَّيَاطِينَا

وَبَعْدَهَا بَايَعَ الْأَنْصَارُ سَيِّدَهُمْ ... فِي بَيْعَةٍ قَالَ رَبُّ النَّاسِ: آمِينَا

فَبُورِكَتْ يَثْرِبٌ ضَمَّتْ مُهَاجِرَةً ... قَادُوا الشَّرِيعَةَ إِخْلَاصًا وَتَمْكِينَا

وَلَازَمُوا الْفَقْرَ عَاشُوا عَيْشَ سَيِّدِهِمْ ... عَيْشَ الْقَنَاعَةِ زُهْدًا لَا مُرَائِينَا

وَقَاتَلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ عَنْ وَطَنٍ ... وَبِاسْمِهِ رَفَعُوا رَايَ الْهُدَى دِينَا

وَلَمْ يَسُودُوا بِسَيْفٍ بَلْ هُمْ بَسَطُوا ... أَيْدِي السَّلَامِ بِهِ كَانُوا مُقَرَّبِينَا

لَكِنَّ "بَدْرًا" كَذَا "الْأَحْزَابُ" بَاغَتَهُمْ ... فَقَرَّبُوا الرُّوحَ لِلْبَارِي قَرَابِينَا

فَانْظُرْ إِلَى "أُحُدٍ" بِالْحُزْنِ قَدْ خُتِمَتْ ... مِنْ بَعْدِ مَا خَالَفَ الْأَصْحَابُ هَادِينَا

لِأَنَّهُمْ بِرِيَاحِ النَّصْرِ قَدْ فُتِنُوا ... وَالضَّعْفُ كَانُوا لَهُ طُرًّا مُلَاقِينَا

وَانْظُرْ إِلَى "خَيْبَرٍ" بِالْحَرْبِ قَدْ أَذِنَتْ ... تَقُولُ: مَرْحَى بِصَحْبٍ لَيْسَ يُرْضِينَا

فَلَوْ تَرَاهُمْ كَمَوْجِ الْبَحْرِ إِذْ هَجَمُوا ... وَكَالْجِبَالِ إِذَا قَامُوا مُصَلِّينَا

فَكَانَ مَا كَانَ مِنْ نَصْرٍ وَمِنْ ظَفَرٍ ... أَعْطَى لَهُمْ نَفَسًا «لِلْفَتْحِ» تَمْرِينَا

يَا عِبْرَةَ الدَّهْرِ هَلْ شَاهَدْتَ بَيْعَتَهُمْ ... تَحْتَ الظِّلَالِ فَقَالَ اللهُ: آمِينَا

للهِ دَرُّ رَسُولِ اللهِ قَالَ لَهُمْ: ... إِنَّا عَلَى الْعَهْدِ عَنْ حَرْبٍ سَيُغْنِينَا

قَالَ: ارْجِعُوا إنَّ عَامَ الْفَتْحِ مُنْتَظَرٌ ... مِنْ بَعْدِ عَامٍ وَإنَّ النَّصْرَ يَأْتِينَا
وَبَعْدَ عَامٍ جَنَى الْأَصْحَابُ طَاعَتَهُمْ ... فَكَانَ مَا كَانَ رُؤْيَا صَارَ تَمْكِينَا
وَأَصْبَحَ الْحَرْبُ سِلْماً وَالْوَغَى عُرُسًا ... وَالْحُزْنُ أُنْسًا وَكَأْسُ الْمَوْتِ نِسْرِينَا
يَا حَجَّةً لِوَدَاعٍ طَالَمَا سَفَكَتْ ... دَمْعَ الْأَسَى فَنَذِيرُ الْمَوْتِ يُبْكِينَا
خَاطَبْتَ قَوْمًا بِهَا وَالنَّاسُ قَدْ دَخَلُوا ... دِينَ الشَّرِيعَةِ أَفْوَاجًا مَيَامِينَا
وَقُلْتَ مَا قُلْتَ عَنْ عِلْمٍ وَعَنْ ثِقَةٍ ... وَفِي الْحَشَا أَجَلٌ يَرْثِي النَّبِيئِينَا
وَبَعْدَهَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ "مَائِدَةً" ... قَدْ آذَنَتْ بِانْتِهَاءٍ صَارَ تَأْبِينَا
"الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ" دِينًا مَاتَ مُرْسَلُهُ ... وَقَدْ "رَضِيتُ لَكُمْ" إِسْلَامَكُمْ دِينَا
مَا كُنْتُ أَحْسِبُ أَنَّ الْمَوْتَ يُفْجِعُنَا ... لَمَّا نَأَى الْمُصْطَفَى الْمُخْتَارُ هَادِينَا
فَالصَّحْبُ فِي أَسَفٍ وَالْكُلُّ فِي أَلَمٍ ... لَوْ مُكِّنُوا مِنْ فِدًى فَدَّوْا مُبَاهِينَا
وَالدَّهْرُ بَاكٍ وَهَذِي الْأَرْضُ فِي وَجَلٍ ... وَالشِّعْرُ قَالَ: لَقَدْ جَفَّتْ قَوَافِينَا
وَالشَّمْسُ لَيْسَتْ بِشَمْسٍ حِينَمَا طَلَعَتْ ... وَالْبَدْرُ لَيْسَ بِبَدْرٍ فِي دَيَاجِينَا
عَلَيْكُمُ مِنْ سَلَامِ اللهِ أَطْيَبُهُ ... مَا غَرَّدَ الْبُلْبُلُ الشَّادِي بِوَادِينَا
وَمَا تَحَرَّكَ قَلْبٌ مِنْ صَبَابَتِهِ ... وَنَاحَتِ الْوُرْقُ فِي الْأَغْصَانِ تَأْبِينَا



# مُزُونٌ مِنْ لِقَاءَاتٍ

فاطمة أحمد فجر
شاعرة/ دمشق

صُبِّي عَلَيَّ مُزُونًا مِنْ لِقَاءاتِ ... وذَوِّبِي لَهْفَةَ العُشَّاقِ فِي ذَاتِي
فَلِي جَنَاحَانِ مِنْ وَجْدٍ وَمِنْ لَهَفٍ ... رَفَّتْ أَمَانِيهمَا فَوْقَ اشْتِهَاءاتِي
خِيَارِيَ الضَّادُ تَسْبيحًا، وَبَسْمَلَةً ... وَأَبْجَدِيَّتُهَا فِي الْعِشْقِ مَرْسَاتِي
فَغُصْنُكِ الرَّطْبُ مُذْ هَجَّأْتُ أَحْرُفَهُ ... يَلُفُّهَا الطِّيبُ بِالبُشْرَى مَسَاءَاتِي
يَجْتَاحُنِي الحَرْفُ تَفْسِيرًا وَفَلْسَفَةً ... وَتَحْتَ أَمْطَارِهِ تَغْفُو مُعَانَاتِي
كَحَبَّةِ الشَّوْقِ فِي صَحْنِ الفُؤَادِ غَفَتْ ... مِنْ أَوَّلِ الشَّوْقِ حَتَّى مِسكِهِ الآتِي
يَا ضَادُ هَمْسُكِ مُسْتَوْلٍ عَلَى شَغَفِي ... يُؤَجِّجُ الوَجْدَ فِي قِنْدِيلِ مِرْآتِي
زَيْتُ المَوَدَّةِ فِي المِشْكَاةِ مَنْجَاةٌ ... قِنْدِيلُ دَالِيَةٍ تَهْوَى المَجَازَاتِ
يُوَشْوِشُ العِطْرُ فِي حَرْفِي كَأُغْنِيَةٍ ... وَرْدِيَّةِ الرُّوحِ، فِي سِفْرِ الدَّلالاتِ
مِدَادُكِ العَذْبُ فِي الفِرْدَوْسِ مَسْكَنُهُ ... أَقْلامُ غَيْبٍ عَلَى مَسْرَى النُّبُوَّاتِ
أَلْقَى بِهِ (الحَقُّ) فِي أَسْمَاءِ (آدَمِهِ) ... فَانْثَالَ وَحْيًا عَلَى جَفْنِ المُرُوءَاتِ
فَمَا البَلاغَةُ إِلَّا أَنْتِ سَيِّدَتِي ... وَلا الْمُرُوءَةُ إِلَّا أَنْتِ بِالذَّاتِ
بِكْرَ اللُّغَاتِ، أَيَا نِبْرَاسَ عِزَّتِنَا ... وَيَا رَحِيقَ الرُّؤَى فِي عُمْقِ مَأْسَاتِي
غَازَلْتُ حَرْفَكِ مِنْ مَنْفَايَ أَوَّلِهِ ... فَارَ النَّبِيذُ مُحَلًّى بِالهُيُولاتِ
فَـ (العَيْنُ) عَيْنٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ غَدُهُ ... وَ(الرَّاءُ) رَوْحٌ سَقَى بِالرَّوْحِ جَنَّاتِي
وَ(البَاءُ) سَيِّدَتِي بَيْتٌ بِلا نَصَبٍ ... يُجَمِّعُ العِطْرَ فِي أَبْهَى الزُّجَاجَاتِ

وَ(اليَاءُ) يَاقُوتَةٌ مِنْ كَفِّهَا انْبَجَسَتْ ... نُبُوءَةُ الْوَحْيِ فِي بَرْدِ الْهِدَايَاتِ
وَ(التَّاءُ) تَاجُ هُدَى الرّحْمَنِ أَنْزَلَهُ ... لَمَّا دَنَا وَتَدَلَّى فِي (القِرَاءَاتِ)
صَلَّى بِكَ الرُّوحُ فَجْرًا فِي مَحَجَّتِهِ ... فَتَمْتَمَ الكَوْنُ، لَبَّى بِالتَّحِيَّاتِ
زَيْتُونَةُ الرّوحِ، نُورُ اللهِ فِي رِئَتِي ... فِي طُورِ سِينِينَ فِي فَيْرُوزِيَ الآتِي
رَتَّلْتُ حُبَّكِ فِي شِرْيَانِ قَافِيَتِي ... فَسَالَ مَائِي وَطِينِي لِلسَّمَاوَاتِ
غُبارُ لَحْنِكِ يَجْلُو اللَّحْنَ مِنْ سِنَتِي ... وَتَاجُ حَرْفِكِ يَرْوِي لِي اعْتِلاءَاتِي
مِنْ غَيْرِ مَسْرَاكِ يُتْمُ الكَوْنِ يَلْمِزُنِي ... أُلْقِي على الحَرْفِ بَعْدَ اللهِ أَنَّاتِي
يَا عِطْرَكِ السَّاطِعُ السَّيَّالُ، فِي أُذْنِي ... حَدِيثَ زَهْرٍ رَوَى عِطْرَ الحِكَايَاتِ
فَالضَّادُ حَظِّي مِنَ الدُّنْيَا وَزَهْرَتِهَا ... فِي حَمْدِهَا سَبَّحَتْ جَذْلَى حُصَيَّاتِي
لِيَ انْقِبَاضُ المَدَى فِي كَفِّ أُمْنِيَةٍ ... لَكِ اتِّسَاعُ الرُّؤَى فِي اللّا نِهَايَاتِ
أُقَطِّعُ الوَقْتَ كَيْ يَنْسَى مُحَاصَرَتِي ... أُمَشِّطُ الشَّمْسَ، كَيْ تَنْمُو احْتِمَالاتِي
يَا أُمَّنَا الضَّادُ، صُونِي ثَوْبَ عِزَّتِنَا ... فَمَاؤُنَا العَذْبُ لاهٍ فِي المَفَازَاتِ
زُمِّي شِفَاهَ لُغَاتِ الْكَوْنِ قَاطِبَةً ... فَفِي شِفَاهِ عَرِينِ الضَّادِ مَنْجَاتِي
يَا رَبِّ هَبْ لِي بِأُفْقِ الحَرْفِ حَنْجَرَةً ... مِنْ مُلْكِ (دَاوُدَ) جَاءَتْ لانْسِكَابَاتِي
هَبْنِي بَيَانًا يُغِيثُ الوَجْدَ فِي رِئَتِي ... لِيَعْبُرَ النُّورَ فِي ثَغْرِ اخْضِرَارَاتِي
وَصَيِّبًا نَافِعًا لِلْعَقْلِ يَا لُغَتِي ... جُودِي عَلَى جَبْهَةِ التَّفْكِيرِمَوْلاتِي



# تَجَلِّيَاتُ صُورَةِ الأُمِّ فِي الشِّعْرِ الجَاهِلِيِّ



د. أحمد علي شحوري
كاتب وباحث/لبنان

إنّ حضورَ الأمّ، في الشِّعرِ الجاهليِّ، باهتُ الألوانِ عمومًا، مقارنةً بحضورِ المرأة - الحبيبةِ أوِ الزّوجةِ - ولعلّ مردّ ذلك إلى طُغيان صورةِ الرّجلِ الفارسِ في ظلِّ البيئةِ الجاهليّةِ القاسيةِ وما تتطلّبُه من قوّةٍ وبأسٍ وشجاعةٍ من جهةٍ، وإلى شعورِ الحياء الكامنِ في نفس الشّاعر تجاهَ أمِّه من جهةٍ ثانيةٍ؛ لأنّها عرضُه وشرفُه اللّذان يموت دونَ المسّ بهما، وعليه، فقد حجبَ صورتَها قدْرَ الإمكان عن ضوءِ القصيدةِ، فجاء ذكرُها مقتضَبًا عمومًا، وقد ركّزَ في ظهورها على دورِها ووظائفِها المتّصلةِ بالأمومةِ والتّربيةِ الأُسريّة وإعدادِ الفارس للحرب.

يُصوّرُ الشّعرُ الجاهليُّ في بعض معانيه عطفَ الأمّ وحنانَها حتّى تبدوَ مثالًا أعلى للتَّضحيةِ والإيثار في سبيل أبنائِها، وهذا ما يُجلّيه قولُ الجليلة بنت مرّة:

تَحْمِلُ العَيْنُ قذى العَيْنِ كَما    تَحْمِلُ الأُمُّ أَذى ما تَفْتَلي.

كما يُجلّي هذا الشّعرُ مشهدًا آخرَ لصورة الأمِّ العطوفِ الّتي تُشفِقُ على ابنِها منَ الحرب، فتعمدُ إلى البكاء مُعولةً خشيةَ هلاكه، وَمُحاولةً فداءَهُ بنفسها على أن يبقى قريبًا منها؛ وهذا ما تعكسُه أبياتُ أبي ذؤيب الهذليّ:

**فَمـا إِنْ وَجْدُ مُعْـوِلَةٍ رَقوبٍ**
**بـواحِـدِها إِذا يَغْزو تُضيـفُ**
**تُنَفِّضُ مَهْـدَهُ وَتَذودُ عَنْـهُ**
**وَما تُغْني التَّمائِمُ والعُكوفُ**
**تَقولُ لَهُ: كَفَيْتُكَ كُلَّ شَيْءٍ**
**أَهَمَّكَ ما تَخَطَّتْني الحُتوفُ**

وفي قصائدَ أخرى، تظهرُ صورةُ الأمِّ الثّكلى الّتي فقدت وحيدَها، وقد تقدَّم بها العمرُ وأتعبَها وهنُ الكِبَر، فتتجلّى عاطفةُ الأمومة المنكسرةِ الّتي يضعُها نظامُ الفروسيَّة الجاهليُّ وجهًا لوجه إزاءَ مغامرةِ موت فلذةِ كبدِها وهو يُحاولُ ترويضَ خشونةِ العيش، وانتزاعَ نسغِ الحياةِ من فمِ الحرب والعدم المُحدِق بالقبيلة متى وهنَ أبناؤُها؛ إذ يُصوِّرُ ساعدةُ بنُ جؤية الهذليُّ مشهدًا إنسانيًّا آخرَ للأمّ الثّكلى الّتي يُحرقُها لهيبُ فقْدِ عزيزِها، فيقول:

**وَجـاءَ خَـليلاهُ إِلَيْهـا كِلاهُمـا**
**يُفيضُ دُموعًا غَرْبُهُنَّ سَجومُ**
**فَقالوا: عَهِدْنا القَوْمَ قَدْ حَصروا بِهِ**
**فَلا رَيْبَ أَنْ قَدْ كانَ ثَمَّ لَحيمُ**
**فَقامَـتْ بِسِبْتٍ يَلْعَـجُ الجِلْدَ وَقْعُهُ**
**يُقَبِّضُ أَحْشـاءَ الفُـؤادِ أَليمُ**
**إِذا أَنْزَفَـتْ مِـنْ عَبْـرَةٍ يَمَمْـتُهُمْ**
**تُسائِلُهُمْ عَـنْ حُبِّها وَتَلـومُ**
**فَلَمّا اسْتَفاقَتْ فَجَّـتِ النّاسَ دونَهُ**
**نَاشَـتْ بِأَطْـرافِ الرِّداءِ تَعومُ**
**وَخَرَّتْ تَليـلًا لِلْيَدَيْـنِ وَنَعْلُهـا**
**مِنَ الضَّرْبِ قَطْعاءُ القِبالِ خَذيمُ**

إذ يُجسِّدُ الشّاعرُ تجسيدًا بارعًا عاطفةَ الأمِّ وقد أتاها خليلَا ابنِها يُعلمانِها خبرَ مصرعِه، ويُصوِّرُ ردَّةَ فعلِها؛ إذ تبدأُ بالعويل والبكاءِ وضربِ نفسِها بالنّعال، حتّى إذا أفاقت من نوبةِ سخطِها ونحيبِها راحت تشقُّ صفوفَ النّاس قبل أن تخرَّ إلى الأرض منكسرةً مرَّة أخرى لا تقوى على النّهوضِ. وقد برعَ الشّاعرُ في تصوير مشهد الأمِّ الثّكلى تصويرًا حيًّا يعكسُ جانبًا منَ الحياة الاجتماعيَّةِ القاسيةِ في البيئةِ الجاهليَّةِ.

وفي مقابل صورةِ الأمِّ المُشفقةِ على بنِيها منَ الموت خلال الغزوِ والحربِ، يكشفُ بعضُ الشّعراء عن صورةِ الأمِّ الصّلبةِ الّتي تُجهِّزُ أبناءَها للغزو والإغارة، وتُشجِّعُهم لجلْبِ الغنائم، وهذا ما يُصوِّرُه الشّاعرُ مُعقِّر بن حمار البارقيُّ في وصفه إحدى الأمّهات، فيقولُ:

**وَذُبْيانيَـةٍ وَصَّـتْ بَنيهـا**
**بِأَنْ كَذَبَ القَراطِفُ والقُروفُ**
**تُجَهِّزُهُمْ بِما وَجَدَتْ وَقالَتْ:**
**بَنِـيَّ، فَكُلُّكُمْ بَطَلٌ مُسيْفُ**
**فَأَخْلَفْنـا مَوَدَّتَهـا فَقاظَتْ**
**وَمَأْقِي عَيْنِها حَذِلٌ نَطـوفُ**

فهذه الأمُّ تُجهِّزُ أبناءَها بعتادِ الحرب، وتبثُّ في نفوسهم روحَ الحميّةِ والإقدام، وتوصِيهم بألّا يسلبُوا غيرَ أثمنِ المتاع، ولكنْ سرعانَ ما رمتْهم الحتوفُ بنبالِها لمّا شرعُوا في غزوهم، فكانت مصيبتُها أكبرَ وفجيعتُها أعظمَ، فبكت حتّى احمرَّت عيناها وكادتا تتلفان.

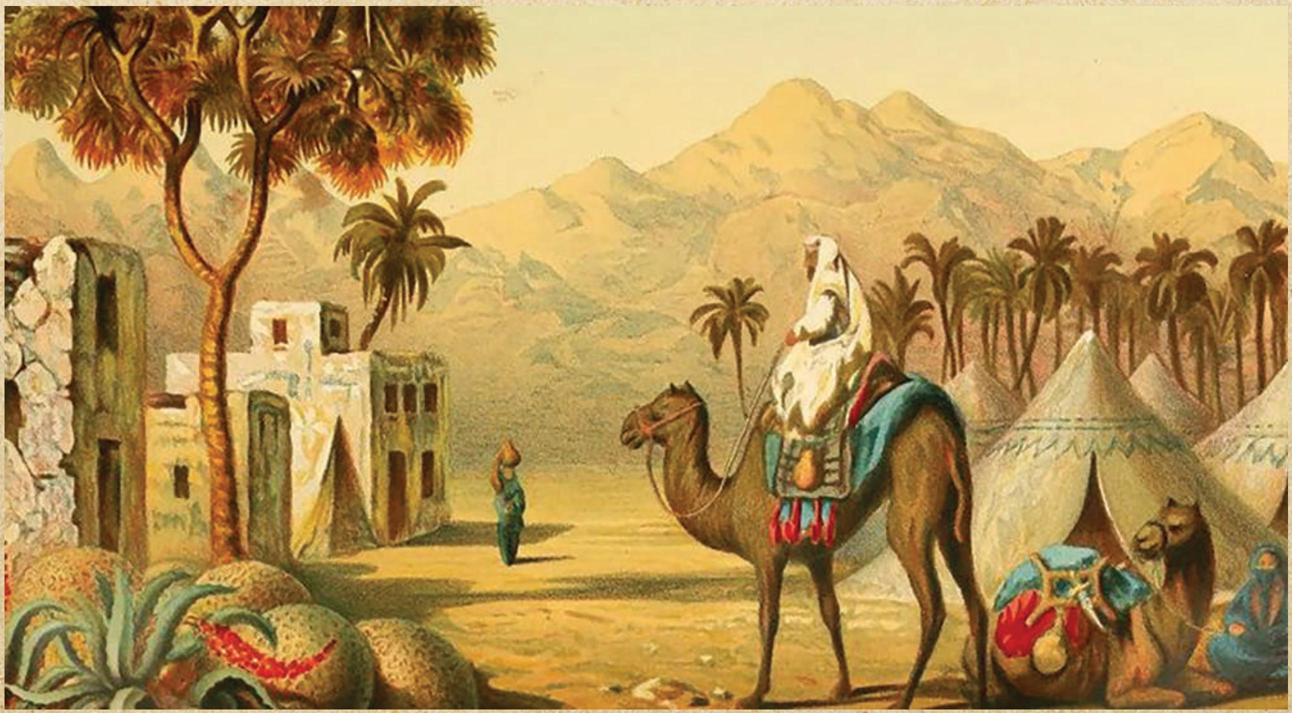
أمّا أميرُ الصّعاليك الشّاعرُ عروة بن الورد، فيُعبِّرُ، في شعره، عن تقديرِه أمَّه وعن حبِّه إيّاها، ويردُّ على مَنْ يُشكّكُ بقدرتها على إنجاب الأبطالِ الشّجعانِ لكونها نزيعةً أي غريبةً تنتمي إلى قبيلة "نهد" المغمورة؛ إذ عدَّ مُنتقدُوها ذلك طعنًا في كرَم الأصل، ولكنَّ الشّاعرَ يفتخرُ بأمّه الحُرّة، ويرى أنَّ النّزائعَ وحدهُنَّ من يُنجبن الفرسانَ الشّجعانَ، فيقولُ:

**أَعَيّرْتُمـوني أَنّ أُمّـي نَزيْعَـةٌ**
**وَهَلْ يُنْجِبَنْ في القَـوْمِ غَيْرُ النّزائعِ**
**وَما طالِبُ الأَوْتارِ إلّا ابْنُ حُرّةٍ**
**طَويلُ نِجادِ السَّيْفِ عاري الأشاجِعِ**

أمّا الشّاعرُ عمرو بن كلثوم، فيُقدّمُ صورةَ الأمّ الحُرّةِ المنيعةِ الّتي لا يجرؤُ أحدٌ على أن ينالَها بأيٍّ أذًى مهما كان نوعُه، في ظلّ أبنائِها الفرسانِ؛ وقد تجسَّدت هذه الصّورةُ في ليلى والدتِه حتّى صارت مضربَ مثالٍ ينجُو نحو الأسطورةِ في حادثتِها مع «هند» أمّ الملك «عمرو»؛ إذ يُروى أنّه لمّا كانت ليلى بصحبةِ ابنِها الشّاعرِ في قصر الملك عمرو بن هند، أرادت الأخيرةُ أن تستخدمَها لتُهينَها وتُذلَّها، فاستغاثت ليلى بابنِها الّذي ما إن سمع نداءَها حتّى استلَّ سيفَه وأغمدَه في جسدِ الملك فصرعَه رفضًا للازدراء والمذلّةِ، وهذا ما افتخرَ به ابن كلثوم في معلّقتِه:

**«بأيّ مَشيئَةٍ عَمْرو بنَ هِنْدٍ**
**نَكونُ لِقَيْلِكُمْ فيها قَطينا**
**تَهَـدّدْنا وَتُوْعِـدُنا رُوَيْـدًا**
**مَتـى كُنّا لِأُمِـكَ مَقْتَويْنا؟»**

ولذلك، فمتى نالت يدُ الرّدى منَ الابن، وأردتْه صريعًا، يعظمُ مصابُ الأمّ الّتي رعتْه ومحّضتْه حبَّها وعطفَها، وأنشأتْه على قيمِ الفُروسيَّةِ ليكون مقدامًا شجاعًا في بيئةٍ تُعظّمُ معانيَ البطولة؛ فحينئذٍ تُعولُ وتنحبُ عليه بلا أمدٍ، وترثيه بلوعةٍ لا يَشفيها كرُّ اللّيالي، وتتّشحُ بثوب الحدادِ لفقْدِ الحامي والمُدافعِ الّذي تسترجعُ سجاياه الحميدةَ بأسًى. وعليه، فإنَّ صورةَ الأمّ الثّكلى الرّاثيةِ لولدها تُشكّلُ أحدَ تجلّيات صورتِها العامَّةِ في الشّعر الجاهليِّ، وحسْبُنا ذكرُ نموذجٍ من رثاء السّلكة ابنَها الشّاعرَ الصّعلوكَ السّليك؛ إذ ترثيه بعد مصرعِه رثاءً حزينًا زاخرًا بكلّ معانِي التَّفجُّعِ والأسى، متمنّيةً لو فدتْهُ بنفسها وبقيَ حيًّا، فتقولُ:



أَيُّ شَـيْءٍ حَسَــنٍ
لِلْفَتــى لَمْ يَكُ لَكْ
كُــلُّ شَــيْءٍ قاتِــلٌ
حينَ تَلْقــى أَجَلَكْ
طالَ ما قَدْ نِلْتَ في
غَيْــرِ كَــدٍّ أَمَــلَكْ
إِنّ أَمْــرًا فــادِحًا
عَنْ جَوابي شَغَلَكْ
سَأُعَــزّي نَفْسي إذْ
لَمْ تُجِبْ مَنْ سَأَلَكْ
لَيْتَ قَلْبــي ساعَــةً
صَبْرُهُ عَنْــكَ مَــلَكْ
لَيْــتَ نَفْسي قُدّمَتْ
لِلْمَنــايــا بَــدَلَكْ




وَلَئِنْ تحدَّثْنا عن صورةِ الأمِّ في علاقتها الخاصَّةِ بأبنائِها داخلَ الخيمةِ الأسريَّةِ، وجدْنا صورةَ الأمِّ المفطورةِ على طبيعةٍ تجعلُها ترفضُ أن تشاركَها امرأةٌ أخرى حبَّ ابنِها واهتمامَهُ بسواها؛ وخيرُ شاهدٍ على ذلك ما صوَّره عروة ابن الورد لحالة أمٍّ انتابَها الخوفُ والحذرُ والارتباكُ حين تزوّج ابنُها، فهي إمّا أن تغضبَ وتثورَ ساخطةً عليه، وإمّا أن تتجمَّل بالصَّبر، فيقول:

فَإِنّي وَإِيّاكُمْ كَذي الأُمِّ أَرْهَنَتْ
لَهُ ماءَ عَيْنَيْها تُفَدّي وَتَحْمِلُ
فَلَمّا تَرَجَّتْ نَفْعَهُ وَشَبابَهُ
أَتَتْ دونَها أُخْرى حَديْدًا تُكَحِّلُ
فَبانَتْ لِحَدِّ المِرْفَقَيْنِ كِلَيْهِما
تُوَحْوِحُ مِمّا نابَها وَتُوَلْوِلُ
تُخَيِّرُ مِنْ أَمْرَيْنِ لَيْسا بِغبطةٍ
هُوَ الثُّكْلُ إِلّا أَنَّها قَدْ تَجَمَّلُ

في المقابلِ، يُقدّمُ صخرُ بن عمرو بنِ الشَّريد صورةَ الأمّ الَّتي لا يتأثَّر عطفُها على ابنِها ورعايتُها إيّاه بعد زواجه، فيرفضُ أن تُساوى بأمّه زوجتُه الَّتي سُرعان ما ضجرتْ منه لدى إصابتِه في إحدى الغارات، فيقول:

«أَرى أُمَّ صَخْرٍ لا تَجِفُّ دُموعُها
وَمَلَّتْ سُلَيْمى مَضْجَعي وَمَكاني
وَما كُنْتُ أَخْشى أَنْ أَكونَ جِنازَةً
عَلَيْكِ، وَمَنْ يُغْتَرُّ بِالحَدَثانِ
فَأَيُّ امْرِئٍ ساوى بِأُمٍّ حَليْلَةً
فَلا عاشَ إِلّا في شَقًا وَهَوانِ»

إذًا، يتَّضحُ أنَّ البيئةَ الجاهليَّةَ قد فرضتْ على الأمّ، إلى جانبِ صورةِ الأمّ العطوفِ الحنونِ، صورةَ الأمّ المربّيةِ الَّتي تُعدّ أبناءَها جيّدًا على قِيمِ الفروسيَّة لضمان استمرارِ حياةِ القبيلة بالقوَّةِ والبسالةِ.

# اللُّغةُ والتّارِيخُ.. والعُلومُ المُوصِّلَةُ لا بُدَّ لكُلِّ مُؤَرِّخٍ مُدَقِّقٍ منَ الوُلوجِ للتَّارِيخِ منْ بابِ اللُّغَةِ وَعُلومِهَا

**التَّاريخُ لفظٌ أصيلٌ في اللّغةِ العربيّةِ، وليس منقولًا إليها من لُغاتٍ أخرى، وتعريفُ التّاريخِ اصطلاحًا هو فهمُ الماضي؛ لإفادةِ الحاضرِ، والتّخطيطِ للمستقبلِ، وقد عبّرَ السَّخاويُّ عن هذا المعنى بقولِه: «إنّه فنٌّ يُبحث فيه عن وقائعِ الزّمانِ من حيثيّةِ التّعيينِ والتّوقيفِ؛ بل عمّا كانَ في العالَمِ». وقد عرّف ابنُ خلدون في مقدّمتِه، التّاريخَ بأنّه في حقيقةِ أمْرِه نظرٌ وتحقيقٌ؛ وتأمُّلٌ ودراسةٌ وفحصٌ لمختلفِ أوجُهِ النّشاطِ البشريِّ فيما مضى منَ الحضاراتِ وكلِّ العصورِ؛ لرصْدِ أسبابِ الظّواهرِ التّاريخيّةِ المختلفةِ، ولكشْفِ جوانبِ العلاقةِ السّببيّةِ في طيّاتِ الأحداثِ التّاريخيّةِ، ورصْدِ بداياتِ الأحداثِ ومعرفةِ أصولِها.**



حجّاجُ سلامة
عضو جمعيّة المراسلين الأجانب بالقاهرة

ووَفْقًا للمصادرِ العربيّةِ، فإنّه إذا ضاعتِ الأصولُ ضاعَ التّاريخُ معها، ذلك لأنَّ التّاريخَ لا يقومُ إلّا على الآثارِ التي خلّفتْها عقولُ السلفِ أو أيديهم، ولهذا يرى المُؤرّخون أنّه لزامًا في أعناقِهم أن يتفرّغُوا للبحثِ والتّفتيش عن شتَّى الآثارِ التي تخلّفت عنِ السَّلفِ وكلِّ الحضاراتِ الإنسانيّةِ القديمةِ، والتي اصطُلِح على تسميتِها أصولاً.

ولا بدَّ للمؤرّخِ العـصْـريِّ المُدقِّقِ من وُلوجِ بابٍ آخَـرَ، كي يتمكّنَ منَ الوصولِ إلى الحقيقةِ، عليه أن يُقلِّبَ ما قَمَّش – وقَمَّشَ الشيءَ: جَمَعه من ها هنا وها هنا – ويُنعِمَ النَّظرَ فيه؛ ليرى إذا كان بإمكانِه أن يُدركَ كُنهَه، فيستعملَه في تشييدِ ما يَبنِي من صروحِ التَّاريخِ، وإذا فعلَ سُرعانَ ما يشعرُ بحاجتِه إلى ما نريدُ أن نسمّيَه بالعربيّةِ "العلومَ المُوصّلةَ".

وكما يقول المُؤرّخُ اللّبنانيُّ أسدُ رستم، فإنّ الاستعارةَ في هذه التّسميةِ من علْمِ التَّفسير، فقد أجمعَ المُفسّرون على وجوبِ التَّمكُّنِ منَ العلومِ المُوصِّلةِ إلى علمِ التّفسير قبل الشُّروعِ في فهْمِ القرآنِ الكريمِ، وبيانِ معانِيه، واستخراجِ حِكَمِه وأحكامِه.

والعلومُ الموصّلةُ في عُرفِ المفسّرين هي: علمُ اللّغةِ، وعلمُ النّحوِ، وعلمُ التّصريفِ، وعلمُ المعانِي، وعلمُ البيانِ، وعلمُ البديعِ، وعلمُ القراءاتِ، وأسبابُ النّزول، وأحكامُ النّاسخِ والمنسوخِ، وأخبارُ أهلِ الكتابِ، وعلمُ أصولِ الفقهِ، وعلمُ الجدلِ.



ولا بدَّ للمؤرّخِ إذنْ من تعلُّمِ اللّغاتِ التي تردُ فيها الأصولُ، ومنَ الاستعانةِ بمثلِ ما تقدّمَ ذكرُه، منَ العلومِ والفنونِ، وهل ننسَى القرآنَ والتّفسيرَ والحديثَ ووجوبَ التّضلُّعِ في هذه العلومِ لمن يُعنى بتاريخِ العربِ؟ وهنالك طائفةٌ أخرى منَ العلومِ المُوصّلة، لا مفرَّ منَ الوقوفِ عليها، والاسترشادِ بنظرياتِها ونواميسِها، كي نستعينَ بالماضِي على فهْمِ الحاضرِ، وتدارُكِ المستقبلِ.

ولا بدَّ للمؤرّخِ العصريِّ أيضًا، منَ التّبحُّرِ في العلومِ الاجتماعيّةِ والفلسفةِ، إذا ما أرادَ أن ينظرَ إلى باطنِ المجتمعِ الماضِي، ليتوصَّلَ إلى العواملِ الأساسيّةِ، التي أثَّرتْ في عقولِ السّلفِ، ودفعتْهم لإحداثِ ما حدثَ من وقائعِهم، إنْ في الحربِ أو في السِّلْمِ. وقد أظهرَ علماءُ الاجتماعِ كلٌّ في دائرةِ اختصاصِه، أنَّ كلَّ حادثٍ مضَى، إنّما هو مظهرٌ لقُوى شتَّى؛ اجتماعيّةٍ واقتصاديّةٍ وسياسيّةٍ ونفسيّةٍ وغيرِ ذلك، تضافرتْ في إبرازِه إلى حيّزِ الوجودِ، ولذا كان مُحتَّمًا على المؤرّخِ المدقِّقِ، إذا ما أراد فهْمَ حقيقةِ الماضِي، أن يحيطَ علْمًا بهذه القُوى، وأن يطّلعَ على نتائجِ أبحاثِ العلماءِ في جميعِ العلومِ الاجتماعيّةِ.

ولأنَّ المؤرّخين العربَ تسلّحُوا في تحقيقِ مُنجزاتِهم بعلومِ اللّغةِ، ولأنَّ اللّغةَ العربيّةَ كانت وسيلتَهم في الاطّلاعِ على التّاريخِ بشكلٍ صحيحٍ من خلالِ التّبحّرِ في دراسةِ كلِّ كلمةٍ والوقوفِ عند كلِّ لفظٍ، مُتسلّحين في ذلك بما خبرُوه من " علْمِ اللغةِ، وعلمِ النّحوِ، وعلْمِ التّصريفِ، وعلْمِ المعانِي، وعلْمِ البيانِ، وعلْمِ البديعِ، وعلْمِ القراءاتِ، وأسبابِ النّزولِ، وأحكامِ النّاسخِ والمنسوخِ" وذلك وَفْقَ ما سبقَ وأشرْنا إليه من حاجةِ المؤرّخِ إلى تلك العلومِ المُوصّلة، ذلك أنَّ اللّغةَ وعلومَها هي أساسُ كلِّ علمٍ.

**لقد ساعدَ إلمامُ المُؤرّخين بعلومِ اللّغة وشتّى العُلومِ المُوصّلة إلى ظهورِ ضربٍ جديدٍ منَ الأدبِ**

لقد ساعدَ إلمامُ المُؤرّخين بعلومِ اللّغة وشتّى العُلومِ المُوصّلة إلى ظهورِ ضرْبٍ جديدٍ منَ الأدبِ ذي تأثيرٍ كبيرٍ، ارتكزَ على الموضوعاتِ المُقتبَسةِ منَ التّاريخِ، والتي كان يُتوسّعُ بها لِتُصبحَ أدبًا قصصيًّا مُمتعاً ومُثيراً.

وقد أحرزَ الاهتمامُ الشّديدُ بدراسةِ اللُّغةِ والأسلوبِ نجاحًا كبيرًا آخرَ، تمثّلَ في ظهورِ عددٍ ضخْمٍ منَ المؤلّفات في النّقد الأدبيِّ، ولقدِ استمدّت هذه المؤلّفاتُ بعضَ أفكارِها منَ المصادرِ القديمةِ، ولكنَّها كانت في المحلِّ الأوّل ابتكارًا أصيلًا لأهلِ الأدبِ منَ العربِ والمسلمين، وترجعُ بداياتُ هذا النّوعِ منَ التّأليفِ شأنُها شأنُ كثيرٍ منَ الأمورِ المُهمّةِ في الحضارةِ الإسلاميّةِ، إلى أواخرِ القرن الثالثِ الهجريِّ، القرنِ التّاسعِ الميلاديِّ،



ولم تقتصرْ العنايةُ المستمرّةُ فيه على اللّغةِ العربيّةِ وحدَها بل شملتْ آدابَ اللّغاتِ الأخرى التي كان منَ السّهْلِ أن تُطبّقَ عليها قواعدُ النّقدِ الأدبيِّ ومـنـاهـجُـه.

وفي كلِّ العصورِ والأزمنةِ يبقَى للّغة العربيّةِ وعلومِها الفضلُ الكثيرُ على علماءِ العربِ والإسلامِ فيما حقّقوه من مُنجزاتٍ سبقُوا بها أقرانَهم ببلاد الغربِ، ولِمَا لا وقد سبقتِ الثّقافةُ العربيّةُ الثّقافتَيْن اليونانيّةَ والعبرانيّةَ.

ولِما لا وقد كان المُتكلّمُ منَ العرب يسمعُ كلامَ أهلِ جيلِه وأساليبَهم في مخاطبتِهم وكيفيةِ تعبيرِهم عن مقاصدِهم، كما يسمعُ الصّبيُّ استعمالَ المفردات في معانِيها فيُلَقَّنُها أوّلاً، ثمّ يسمعُ التّراكيبَ بعدَها فيلقَّنُها كذلك، ثم لا يزالُ سماعُهم يتجدّدُ في كلِّ لحظةٍ ومن كلِّ متكلّمٍ واستعمالُه يتكرّرُ إلى أن يصيرَ ذلك ملَكةً وصفةً راسخةً.

وبعدَ تلك الملَكةِ والصّفةِ الرّاسخةِ، واكتسابِ الإعدادِ اللّغويِّ والأدبيِّ، يُصبحُ منَ المُمكنِ دراسةُ العلومِ الدّينيّةِ والدّنيويّةِ.. وهذا هو حديثُ كُتبِ مُؤلّفي الغربِ التي تتناولُ تراثَ العربِ والمسلمين، وذلك مثلُ ما جاء بكتابِ "تراثُ الإسلامِ" الذي يقول مُصنّفَيْه جوزيف شاخت، وكليفورد بوزورث، أنّه وفي الوقت الذي كان الغربُ فيه بعيدًا عنِ المعارف، كان لدى العربِ والمسلمين ترجماتٌ





عربيّةٌ للأعمال الأساسيّةِ للعالَم القديم، وكانوا على اطّلاعٍ على مؤلّفاتٍ كاملةٍ في العلومِ التي كانت تُعتبرُ أساسيةً.

يقول المُستشرق الألماني كارل بروكلمان: "إنّ معجمَ العربيّةِ اللّغويَّ لا يُجارِيه معجمٌ في ثرائِه"، وهو الثّراءُ الذي ألقَى بظلالِه على شتّى الآدابِ والفنونِ والعلومِ العربيّةِ والإسلاميّةِ بل والإنسانيّةِ بوجهٍ عامٍّ.

لقد قلّدَ الغربُ كبارَ علماءِ المسلمين ونسخَ مُؤلّفاتِهم وترجمَها في المجالاتِ كافّةً، مُستفيدًا منَ المكانةِ العظيمةِ التي كان يتمتّع بها العربُ في العصور الوُسطى بوجهٍ خاصٍّ. ولعلّنا إذا ما تأمّلْنا في التّاريخ وفي الحضارتَيْن العربيّةِ والغربيّةِ، لوجدْنا أنّه وخلالَ عِدّةِ قرونٍ أنّ ابنَ سينا وابنَ رُشدٍ والغزاليَّ في الفلسفة، وعليّ بنَ العباس والرازيَّ في الطبّ، وغيرَهم في الفلَك، وآخرين في مختلف العلومِ والمعارفِ، نجدُهم يُقلَّدُون وتعادُ طباعةُ أعمالِهم في بلادِ الغربِ، وتُدرسُ ويُعلَّقُ عليها.

وقد كان للعربِ فضلُهم على الآدابِ الأوروبيّةِ، ويؤكّدُ مُستشرقون ورحّالةٌ وباحثونَ غربيّون، أنّه بجانبِ العلومِ، كان للعربِ أيضًا، تأثيرُهم حتّى في الشّعرِ الغربيِّ، مُؤكّدين على أنّ أوروبا مَدينةٌ للعرب بنزعتِها المَجازيّةِ الحماسيّةِ، وأنّ أثرَ الأدبِ العربيِّ واضحٌ وجليٌّ في أشعارِ الأوروبيّين.. وهنا نعودُ للتّأكيدِ على أنّ اللّغةَ والعلومَ المُوصّلةَ تبقَى داعمةً على الدّوامِ لكلِّ مُنجزٍ عربيٍّ وإسلاميٍّ.


إشاراتٌ:

1 – كتاب مصطلح التاريخ – أسد رستم – مركز تراث للبحوث والدراسات – الطبعة الأولي – مصر 2015.

2 – كتاب نشأة الحضارة – وِل وَايريْل ديورانت – ترجمة الدكتور زكي نجيب محمود – الجزء الأول من المجلد الأول - دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع ببيروت، والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بتونس – بلا رقم للطبعة أو تاريخ للطبع.

3 – كتاب المستشرقون – نجيب العقيقي – الجزء الأول – الطبعة الثالثة – دار المعارف بمصر 1964.

4 – كتاب الثقافة العربية – عباس محمود العقاد – مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة – القاهرة 2013.

5 – كتاب تراث الإسلام – جوزيف شاخت – كليفورد بوزورث – سلسلة عالم المعرفة – المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – الكويت 1978.

# جهودُ العلّامةِ ابنِ خَلْدُونَ اللُّغويّةُ في كتابِهِ المُقَدّمَةِ





عبد المالك حسنيوي
معلم لغة عربية/المغرب

**يُعدُّ كتابُ (المُقدّمةُ) للعلّامة ابنِ خَلْدُونَ منَ الكتب التي أغنتِ المكتبةَ العالميّةَ، حيث لم تكنْ محطَّ اهتمامِ العربِ وحدَهم بل حتى الأورُبيّون ما زالوا يُعيرونَها كلَّ الاهتمام؛ لأنّ المقدّمةَ لم تترك موضوعًا إلّا طرقتْهُ، ولا بابًا إلا ولجتْهُ، بآلياتٍ ومعدّاتٍ لا يمكنُ أن يتسرّبَ الشّكُّ إلى سلامتِها ولا إلى فاعليتِها، والشّاهدُ على ذلك أنّها حقّقت شهرةً واسعةً سواءً في العالمِ العربيِّ أو في العالَم الغربيّ، هكذا يقولُ أحدُ الدارسين مُبيّنًا شموليتَها والأهميّةَ التي اكتسبتْها لا سيمَا في العالَم الغربيِّ.**

وقد طُبعت مِرارًا وتكرارًا نظرًا لقيمتِها ومكانتِها المتميّزةِ، ومن ثَمَّ سيظلُّ النّصُّ الخَلدونيُّ مثلَ الشّجرةِ المُثمرةِ، التي ما إن غُصنَا في كُنهها إلّا ونقطفُ تلك الثّمارَ، على حدِّ تعبيرِ أحدِ الباحثين: «النّصُّ الخَلدونيُّ كفرع الشّجرةِ المُثقَلِ بثَمرِه، لغزارةِ فكرِه وتفرّعِ تأمّلِه، عليك أن تتناولَه بتُؤدةٍ لتكتشفَ كلَّ ما فيه من ثَمرٍ، وإنِ استعجلتَ فربّما فاتَك منه قطافٌ كثيرٌ، ويبقى العلامةُ ابنُ خَلدون «بلا شكّ أنّه صاحبُ فكرٍ بمُنتهى الشُّمولِ والإحاطةِ» ، نظرًا لما تركَه من تراثٍ وأثرٍ في مجالاتٍ شتّى، ما زال

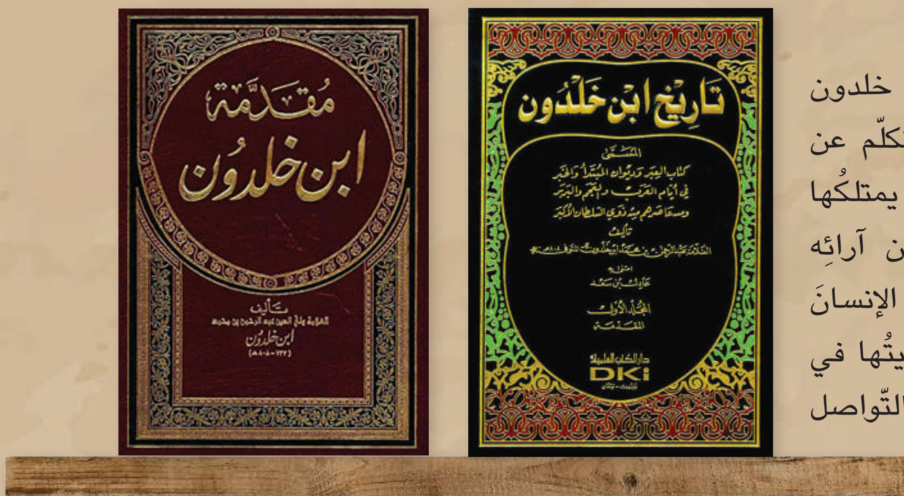
يمدُّ الكُتّابَ والدّارسِين بمَعينٍ لا ينضبُ لدراساتِهم ولأفكارِهم.

لقدِ اشتهر العلامةُ ابنُ خلدون عند عامّةِ النّاس بأنّه أرسَى قواعدَ فلسفةِ التّاريخ، وكثيرًا ما يُذكرُ في الكُتبِ الحديثةِ بأنه منشئُ علمِ الاجتماعِ العُمرانيِّ، لكنْ هذا اعترافٌ بجُزء ممّا أبدعه الرّجلُ، فابنُ خَلدون يجهلُ قدرَه كثيرٌ منَ النّاس، بل إنّهم يعرفونَه على أنّه عالِمُ اجتماعٍ لا غيرَ، ولكنْ هناك منَ اللّسانيّين من يجدُ في المقدّمة مخزونًا منَ الاستطرادات الثّريّة، التي تدلُّ على جُملةٍ منَ الأفكارِ اللّسانيّةِ التي لا تقلُّ أهمّيةً عمّا توصّل إليه البحثُ اللّسانيُّ، ناهيكَ عن آراءٍ لُغويةٍ مُتعمّقةٍ ومُتطوّرةٍ يجدرُ بنا التّوقفُ عندها مليًّا، لكوْنِ الجانبِ اللّغويِّ في فكرِ ابنِ خَلدون يكتسِي أهمّيةً بالغةً مثلُه مثلُ الجانِبَيْن الاجتماعيِّ والسياسيِّ.

إنَّ المدقّقَ النّظرَ في مقدّمة ابنِ خَلدون ولا سيمَا الفصلِ الخاصِّ بعلومِ اللّسانِ العربيِّ، يكتشفُ عددًا هامًّا منَ المصطلحات التي ينبغي علينا في هذا الباب أن نوضّحَها بحسب كلِّ مجالٍ على حدةٍ، وفي إطار الحديثِ عنِ المصطلحات الكثيرةِ التي اشتملت عليها المقدّمةُ، يقول الدكتور عبد السلام المسدي :«وبديهيٌّ أن يكونَ لابن خَلدون معجمُه الاصطلاحيُّ الذي يحدّدُ للألفاظ أبعادَها الفنّيّة لتصبحَ أدواتٍ مفهوميّةً على الصّعيد النّظريّ وضوابطَ ملموسةً على الصّعيد التّطبيقيِّ، غيرَ أنّ هذا الثّبَتَ الاصطلاحيَّ يرتبطُ تاريخيًّا بجملة السُّننِ الدّلاليّةِ التي ولدَها الفكرُ العربيُّ واطّردت في الاستخدامِ القاموسيِّ، فكان ابنُ خَلدون فيها وريثًا ومجدّدًا في نفس الوقتِ» .

لقد كان لابنِ خَلدون نظراتٌ ثاقبةٌ في العديدِ منَ العلوم، وعلومِ اللّسان العربيِّ على وجه الخُصوص، فقد أوْلاها عنايةً خاصّةً في مقدّمتِه، ونخصُّ بالذّكر هاهنا مصطَلَحَي اللُّغةِ واللِّسان، هذين المصطلحين اللذين شغلَا بالَ ابنِ خَلدون في كثيرٍ من أبواب مقدّمتِه، فقضيّةُ اللّغةِ مثلًا واحدةٌ منَ القضايا الكُبرى التي شغلت بالَ ابنِ خلدون، إذ قام بتعريفِها ووضعَ خصائصَها وطبيعتَها، وبيّنَ العلاقةَ التي تربطُها بالمُكوّنات الأخرى مثلِ الكلامِ واللّسانِ.






فلْننظرْ إذًا إلى تعريف ابنِ خلدون للّغة حيث يقول: «هي عبارةُ المتكلّم عن مقصودِه» ، أي أنّ اللّغةَ وسيلةٌ يمتلكُها متكلّمُ اللّغة ويعبِّرُ بواسطتها عن آرائِه ومتطلباتِه، فهي الوسيلةُ التي تميّزُ الإنسانَ عن غيره منَ الكائنات وتكمنُ أهمّيتُها في كونِها تتيحُ لمتكلِّمِها إتمامَ عمليةِ التّواصل بينَه وبين أفراد بيئتِه، وتيسّرُ له التّعبيرَ عن آرائِه وأحاسيسِه وإيصالَها للآخرين.

ويُحلّلُ صاحبُ المقدّمة في هذا المضمار، كيف تنحصرُ مواضعاتُ اللّغة باعتبارها جملةَ القوانين المرتّبةِ لبنائِها في نسيجِ الدّوالّ اللّغويةِ؛ لأنّ الذي في اللّسان والنّطق ـ على حدّ تعبيره ـ إنّما هو الألفاظُ، وأمّا المعاني في الضّمائر فهي موجودةٌ عند كلّ واحدٍ وفي طوْعِ كلِّ فكْرٍ، وهكذا تأليفُ الكلام للعبارةِ عنِ المعاني محتاجٌ للقوالبِ التي تُفرزُها المواضعةُ اللّغويةُ، لهذا «تقتضي عمليّةُ التّواصُلِ وجودَ متكلّم فسامعٍ لكلامِه ودلالاتٍ تقومُ اللّغةُ بنقلِها بواسطةِ الإشاراتِ الصّوتيةِ، فالمتكلِّمُ يقصدُ عبْرَ لُغتِه إيصالَ أفكارِه القائمةِ في ضميرِه إلى من يستمعُ إليه» .

وعلى إثْرِ ذلك، يسعى ابنُ خَلدون إلى إبرازِ البُعدِ المرجعيّةِ في اللُّغة وهو بعدُ الوظيفةِ التّعبيريّةِ مُتميّزًا عنِ البُعد الآخرِ لها، فيكونُ البعدُ اللُّغويُّ لديه طريفًا بقدْرِ ما هو معكوسٌ؛ لأنّه بعدٌ قائمٌ على وظيفةِ ما وراءَ اللُّغةِ مع انقطاعِ الوظيفةِ المركزيّةِ، وهي المرجعيّةُ، فضلًا عن سائرِ الوظائف الباقيةِ وهي الانفعاليّةُ والإلهاميّةُ والانتباهيّة والإنشائيّةُ حسب ما تحدّدُه اللّسانيّاتُ المعاصرةُ ولا سيما في نموذجِ رومان جاكبسون .

والمدهشُ أيضًا أنّ ابنَ خَلدون قد سبق الفيلسوفَ



الإنجليزيّ أوستين (Austin) ، عندما قال ابنُ خلدون: «وتلك العبارةُ فعلٌ لِسانيٌّ ناشئٌ عن القصد بإفادةِ الكلام»، فمصطلحُ «فعْل لِسانيّ» وفكرتُه هما نفسُ ما جاء به أوستين أيضا عندما تحدّث عن نظريّة الحدثِ الكلاميّ، وعندما لاحظ أنّ العباراتِ اللّغويّةَ تُؤدّي الكثيرَ منَ الوظائف كجُزءٍ من عمليّة التّواصُلِ بين النّاس.




فتجدُ ابنَ خَلدون يشيرُ في أكثرَ من موضع إلى كوْنِ اللُّغة ميزةً خاصّةً بالإنسان، وأنّها تختلفُ من مجتمع لآخرَ في قولِه: «اللِّسانُ وهو في كلِّ أمّةٍ بحسبِ اصطلاحاتِها» ومن قضايا علْم اللّغة العامِّ المعروفةِ أنّ اللّغةَ ملكٌ من يتعلّمُها، فلا أثرَ للوراثةِ والجنسِ فيها، فلا تزالُ مستوياتُ اللّغةِ الآن، كما كان الأمرُ في عهد ابنِ خَلدون وقبْلَ عهدِه، مختلفةً بين اللّهجات التي تعبّرُ عنِ المعاني الدّارجةِ والحاجاتِ اليوميّةِ المتكرّرةِ والفُصحَى الصّحيحةِ التي تعبّرُ عنِ المواقف العامّةِ والفكرِ الرّاقِي وأيضًا لغةِ الأدبِ المشحونةِ بالأحاسيسِ والمشاعرِ التي تعتمدُ على الصّورة والإيحاء، وعليه، يمكنُ أن نقرَّ بأنّ ابنَ خَلدون اقترب كثيرًا في تعريفه للّغةِ منَ الباحثِين المحدَثين إذ هي عندهم ـ بشكلٍ عامٍّ ـ رموزٌ وإشاراتٌ صوتيّةٌ لها دلالاتٌ أو معانٍ، وقد تمّ التّواضعُ عليها، وقد أوردَ الدّكتور المسدي قولَ كمال بشر: " أمّا اللّغة نفسُها فهي نظامٌ من رموزٍ وعلاماتٍ، أو هي الأصواتُ التي يُحدثُها جهازُ النّطقِ الإنسانيّ والتي تُدركُها الأذنُ فتؤدّي دلالاتٍ اصطلاحيّةً معيّنةً في المجتمعِ المَعنيّ».

**إنّ ابنَ خَلدون اقترب كثيرًا في تعريفه للّغةِ منَ الباحثِين المحدَثين**

ومنَ المفاهيمِ التي يدلُّ عليها مصطلحُ (لغة) كذلك، المُعطَياتُ اللّغويّة، والألفاظُ التي جمعَها اللّغويّون الذين انطلقُوا إلى جمْعِها منَ الأماكن التي كان يُعتقدُ سلامةُ لُغةِ أصحابِها منَ القبائل العربيّةِ التي لم تتأثّر لُغاتُها بالاختلاط بالأُمم الأخرى، فنجدُ مثلًا مصطلحَ لُغة يُستعملُ أيضًا بمعنى اللّسان، كما يُستعملُ اللّسانُ بمفهوم اللّغةِ، فعندما نقولُ إنّنا نتكلّمُ بالعربيّة نريدُ بذلك اللّسانَ العربيَّ، وهو المفهومُ الأكثرُ انتشارًا، فلا نفتأُ نقولُ: نزلَ القرآنُ بالعربيّةِ، وألّفتُ كتابًا بالعربيّةِ، وتكلّمتُ مع فلانٍ بالعربيّةِ، أي باللّسان العربيِّ.

ممّا ينبغِي الإشارةُ إليه في هذا الصّدد أنّ اللُّغويَّ السّويسريَّ دي سوسير ميّزَ بين ثلاثةِ مُصطلحاتٍ أساسيّةٍ في نظريّةِ اللّغة، وهي: "مُصطلحات langue وتعني اللّغةَ الواحدةَ مثلَ اللّغة العربيّةِ أوِ اللّغة الفرنسيّةِ أوِ اللّغةِ الانجليزيّةِ إلى آخره، و parole تعني الكلامَ أوِ الاستخدامَ الفرديَّ للّغة الواحدةِ عند الفرد، وlangage: القدرةُ اللّغويّةُ عند الإنسان بصفةٍ عامّةٍ " .

فهذا التّمييزُ: اللّغةُ والكلامُ واللّسانُ، نجدُه إلى حدٍّ ما عند ابنِ خَلدون بكيفية أخرى إذ يقولُ: «وتلك العبارةُ فعلٌ لسانيٌّ ناشئٌ عنِ القصد بإفادة الكلام، فلا بدّ أن تصيرَ ملكةً متقرّرةً في العُضو الفاعلِ لها وهو اللِّسان وهو في كلّ أمّة بحسب اصطلاحاتِهم » ، فهو بهذا القول، يشيرُ إلى أنّ اللّغةَ ميزةٌ خاصّةٌ بالإنسان بالمقارنَةِ مع باقي الكائناتِ الأخرى، وبأنّها نتاجٌ ثقافيٌّ وفعلُ صُنعِ تصيرُ ملكةً

قائمةً عند متكلّميها.

ممّا سبق، نخلصُ إلى أنّ ابنَ خَلدون قد أحاط في تحديدِه للّغة بأهمِّ الوسائلِ الألسنيّةِ الحديثةِ، وأنّه عرضَ للّغة بطابعِ اصطلاحيٍّ، وتعريفِها بنوعٍ منّ الدّقّةِ والتّمحيص.

منَ المصطلحات التي أولاها ابنُ خلدون بالغَ الأهمّيةِ، مصطلحُ اللّسانِ، إذْ نجدُه يُخصّصُ بابًا في مقدّمته سمّاه : علومَ اللّسان العربيِّ، ويُشيرُ إلى هذا المصطلح في غيرِ ما موضعٍ من كتابِه، فتارةً يقصدُ به اللّغةَ وتارةً أخرى يعني به العلْمَ الذي يضمُّ العلومَ الأربعةَ وهي : اللّغةُ، النّحوُ، البيانُ، والأدبُ، فالمعنى الأوّلُ نجدُه في المقدّمة في قوله :« اللّسانُ وهو في كلّ أمّةٍ بحسَبِ اصطلاحاتِها » ، أمّا المعنى الثّاني فإنّنا نجدُه في الفصلِ الخامسِ والأربعين منَ المقدّمة، حيث يقولُ: «فلا بدَّ من معرفةِ العلوم المتعلّقةِ بهذا اللّسان لمن أراد علمَ الشّريعة»، فاللّسانُ هو العضوُ اللّحميُّ المعروفُ في الفم، وأطلقَ مصطلحَ اللّسان على مفهومِ اللّغةِ المنطوقةِ من قَبيل إطلاقِ السّببِ أو الآلة على المسبّبِ أو على ما يحدثُ بتلك الآلة، إذ أنّ اللّسانَ من أهمّ أعضاءِ النّطق (الجهازِ الصّوتيّ) ومن مفاهيمِ اللّسان، اللّغةُ، ويختلفُ عنها أيضًا، ومن هنا جاءت مصطلحاتٌ مثلُ اللّسانيّات، والألسنيّةِ، وغيرها ـــ نسبةً إلى اللّسان في الأصل ـــ بمعنى اللّغة؛ لأنّه آلةُ الكلام، وإن كانت له وظائفُ أخرى كثيرةٌ.

يندرجُ الاستعمالُ الخَلدونيُّ لمصطلحَي اللّغة واللّسانِ على أساسِ تعميمِ الأوّل وتخصيصِ الثّاني كلّما اقتضى الحالُ في السُّنّة اللّغويّةِ العربيّةِ، وذلك في قوله محدِّدًا اللّغةَ بأنّها :«عبارةُ المتكلِّم عن مقصودِه» ، وفي تحديدِ اللّسان بأنّه :«في كلِّ أمّةٍ بحسبِ اصطلاحاتِهم»، فعلى العكسِ تمامًا حينما ننظرُ في اللِّسانيّات الحديثةِ وخاصّةً مع دي سوسير الذي يفرّقُ بين اللّسانِ واللّغةِ ، فاللّغةُ ما هي إلا جزءٌ محدّدٌ منَ اللّسانِ الذي يُعدّ نظامًا عامًّا للّغة، وفي الوقت نفسِه هي «نتاجٌ اجتماعيٌّ لملَكة اللّسان، ومجموعةٌ منَ التّواضُعاتِ الضّروريّةِ التي تبنّاها الجسمُ الاجتماعيُّ لتمكين الأفرادِ من ممارسة هذه الملَكةِ» ، هذا من جهةٍ، ومن جهة أخرى فـ«اللّسانُ نظامٌ منَ الأدلّة المتواضَعِ عليها ، وليس مجموعةً منَ الألفاظ في المعاجمِ، وليس مجموعةً منَ التَّحدّياتِ الفلسفيّةِ للاسم والفعلِ والحرفِ، والقواعدُ كثرةُ الشّواذّ» ، ولا نغفلُ هنا الإشارةَ إلى أنّ هذه اللفظةَ أو الكلمةَ قد وردت في القرآن الكريم إمّا لفظًا أو معنى (مضمونًا) في مواضعَ عدّة منها قولُه جلّ وعلا : ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً﴾ أي عربيُّ اللّسان، وقولُه تبارك وتعالى: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ .

من هنا، نجدُ أنّ ابنَ خَلدون ينبّهُنا إلى قضيّةٍ هامّةٍ أثبتتْها اللّسانيّاتُ المعاصرةِ وهي أنّ اللِّسانَ البشريَّ يتطوّرُ تطوّرًا خطيرًا في معانِيه ومبانِيه؛ لأنّه عُرضةٌ لأحداثِ الخطابِ المتكرّرةِ في كلّ حين، وما اللّسانُ العربيُّ إلّا واحدًا منَ الألسُنِ البشريّةِ يتأثّرُ ويُؤثّرُ بما يلاقِي من ألسُنِ الأمم التي دخلتِ الإسلامَ، واتّخذتِ اللّسانَ العربيَّ أساسًا لها في كلِّ أمور حياتِها.

**إن ابنَ خَلدون قد أحاط في تحديدِه للّغة بأهمِّ الوسائلِ الألسنيّةِ الحديثةِ**

**إنّ اللِّسانَ البشريَّ يتطوّرُ تطوّرًا خطيرًا في معانِيه ومبانِيه؛ لأنّه عُرضةٌ لأحداثِ الخطابِ المتكرّرةِ**

هذا التّطوّر اللّغويُّ في اللّسانِ العربيِّ كانت له أسبابٌ ونوازعُ، ذلك أنّ الإسلامَ دينُ الإنسانيةِ جمعاءَ، والقرآنَ ُ بلسانٍ عربيٍّ، فاعتنقتْهُ الأممُ المختلفةُ، فأثّرَ ذلك في السّلوك اللّغويِّ اليوميِّ بسبب المُخالطةِ والمعاشرةِ والتّزاوُج بين الشّعوبِ المختلفةِ، وفي هذا الصّددِ يقولُ ابنُ خَلدون:«فلمّا جاء الإسلامُ وفارقُوا الحجازَ لطلبِ المُلكِ الذي كان في أيدي الأممِ والدّولِ وخالطُوا العجمَ تغيرت تلك الملَكةُ بما ألقَى إليها السّمعُ منَ المخالفاتِ التي للمُستَعربين» .

إنَّ الشّيءَ المُلفتَ للنّظر والذي يشدُّ الأذهانَ ويجذبُ العقولَ، هو أنّ ما جاء به ابنُ خلدون في شأن اللّسان العربيِّ يُنْبئُ عن إحساسٍ لُغويٍّ عميقٍ وإلمامٍ كبيرٍ بشؤون هذا اللّسانِ، وقُدرتِه على التّفريق بينَه كأداةِ خلْقٍ وإبداعٍ، وكقواعدَ وقوانينَ ومقاييسَ، فشتّانَ ما بينَ الأمرين، فعلمُ اللّغةِ ليس هو اللّغةُ، فهذا مرتبطٌ بالوضْعِ والقياسِ، وذلك يرتبطُ بالحاجةِ والاستعمالِ، وما فعلَه عالِمُنا الجليلُ والقديرُ أنه ترصّدَ تجاربَ الأوّلينَ وسبَرَ أغوارَ تراثِنا في ملَكة هذا اللّسانِ العربيِّ المبينِ، فجمعَ كلَّ هذا بما وهبَهُ حسُّه اللّغويُّ الرّقيقُ ونظرتُه الثّاقبةُ الواعيةُ في مقدّمته الشّهيرة، وهكذا فاللّسانُ عنده ليس اللفظَ والمعنى فحسبَ، وإنّما هو كلُّ هذه الأركانِ الأربعةِ مجتمعةً: اللّغةُ والنّحوُ والأدبُ والبيانُ، وعمليّةُ الفصلِ بين هذه الأركانِ أفقدتْ هذا اللّسانَ روحَه وسِرَّ جمالِه.

إنَّ الذي يسترعِي الانتباهَ أنّ صاحبَ المقدّمة "«يستعملُ مصطلحي اللّغة واللّسانِ أحيانا في نفس السّياق، فيذهبُ القارئُ إلى أنّهما مترادفان لا فائدةَ في البحث عمّا وراء هذا الازدواجِ من قصْدٍ، ولكنّه أحيانًا أخرى يستعملُها في سياقاتٍ مختلفةٍ حتى لكأنّه يرمِي بالانتقال من أحدِهما إلى الآخر إلى إفادةِ مدلولَيْن متباينَيْن» حسبَ تعبيرِ الدكتور المهيري، هذا الأخيرُ الذي يخلصُ في آخر دراستِه إلى أنّ" استعمالَ مُصطلحَيِ اللّغة واللّسان عند ابنِ خَلدون لا يخرجُ عن نطاق استعمالِهما المألوفِ في التّراث العربيِّ الإسلاميِّ: ترادفٌ بين اللّغة واللّسانِ من ناحية، وتفرّدُ اللّغة بمدلولاتٍ خاصّةٍ من ناحية أخرى، فاللّسانُ مرادِفٌ للّغة من حيث دلالةُ كلَيْهما على نظام علاميٍّ بعينه، وهذا ما يفسّرُ ورودَهما في المقدّمة بهذا المعنى موصوفَيْن أو مضافَيْن قصْدَ التّخصيصِ أوِ الزّيادةِ في التّعريفِ...» .

نخلصُ إلى أنّ مصطلحَيِ اللّغة واللّسانِ عند ابنِ خَلدون قد حَظيَا بمكانتِهما في مقدّمته، حيث يُوردُهما مترادفَيْن حينًا ومختلفَيْن حينًا آخر، وذلك عن وعيٍ منه وبصيرةٍ.

يشيرُ ابنُ خَلدون منذ مَطْلعِ الفصلِ الخامسِ



والأربعين إلى رباعيّةِ علوم اللّسان العربيِّ بقوله: "أركانُه أربعةٌ وهي اللّغةُ والنّحوُ والبيانُ والأدبُ» ، وهو وإن بوّأ علْمَ اللّغة المرتبةَ الأولى فإنّه عندما يُفصّلُ الحديثَ عن هذه الأركان الأربعةِ يُغيّرُ التّرتيبَ بحيث يصبحُ علمُ النّحو في المنزلة الأولى ثم علمُ اللّغةِ في المرتبة الثّانية، وهو بذلك يقولُ :«والذي يتحصّلُ أنّ الأهمَّ المقدّم منها هو النّحوُ»، ويرجعُ سببُ تقدّم هذا العلْم إلى كونِه العلْمَ الذي به تتوضّحُ أصولُ المقاصدِ بالدّلالة، وفي هذا الصّددِ يقول: «إذ به تتبيّنُ أصولُ المقاصدِ بالدّلالةِ»، وفي موضعٍ آخرَ يرجعُ ويُؤكّدُ على أنَّ السّببَ الرّئيسَ في تقدّم هذا العلْم أنّه: «كان من حقِّ علْمِ اللّغةِ التّقدّمُ لولا أنّ أكثرَ الأوضاعِ باقيةٌ في موضوعاتِها لم تتغيّرْ بخلاف الإعرابِ الدّالِّ على الإسنادِ والمُسنِدِ والمسنَدِ إليه فإنّه تغيّر بالجُملةِ ولم يبقَ له أثرٌ» ، ويزيدُ في توضيح ذلك السّببِ بقوله: «فلذلك كان علْمُ النّحوِ أهمَّ من علْمِ اللّغة إذ في جهلِه الإخلالُ بالتّفاهُمِ جملةً وليستْ كذلك اللّغةُ» ، وهذا التّقديمُ والتّأخيرُ لم يستعملْه ابنُ خَلدون هكذا عبثًا بل عن وعْيٍ منه، إذا أمعنّا النّظرَ في مقدّمة ابنِ خَلدون، نكتشفُ عددًا كبيرًا منَ المُصطلحات، هذه الأخيرةُ التي تنمُّ عن تفرّدِ وتجذّرِ العلّامةِ ابنِ خَلدون على مستوى كتاباتِه وإبداعاتِه، ففي نفس المِنوال يقول الدكتور عبد السّلام المسدي :«ولا شكَّ أنّ مدوّنةَ صاحبِ العِبرِ تكشفُ عن تفرّدٍ في مستوى المصطلحاتِ وفي مستوى الصّياغةِ الأُسلوبيّةِ أيضًا، ولكنَّ هذا التّفرّدَ ليس تولّدًا بالطّفرة إطلاقًا، ولكن له جُذورٌ لو سعينَا إلى استقصائِها لحدّدنا لها مراجعَها في ميراثِ الفكرِ العربيِّ » .

من خلال هذا القول، يتبيّنُ الثّراءُ التي تحويهِ المقدّمةُ من مفرداتٍ ومصطلحاتٍ جمّةٍ في علوم اللّسان العربيِّ عمومًا وعلْمِ اللّغة خصوصًا، فيستهلُّ حديثَه عن هذا العلم بإعطائِه تعريفًا مُوجَزًا دقيقًا، جامعًا مانعًا، يُنبئُ عن شخصٍ بارعٍ له باعُه في المجال اللّغويِّ، فيقولُ: "هذا العلمُ هو بيانُ الموضوعاتِ اللّغويّةِ" ، ومدارُه المفرداتُ اللّغويّةُ من حيث هي المادّةُ الأوليّةُ للكلام، ولذا تحرّى ابنُ خلدون حصرَه ببيان الموضوعاتِ اللّغويّةِ (...) فهو «عبارةٌ عن تاريخِ جمعِ المادّةِ اللّغويّةِ بعد استقرائِها من مظانِّ الاستعمالِ» .

فمن بينِ المصطلحات التي شغلتْ بالَ ابنِ خَلدون في المجال اللُّغويِّ مصطلحُ المُعجم، إلى درجةِ أنّ أحدَ الدّارسين خصّصَ دراسةً مستفيضةً لمصطلحِ المُعجمية في إحدى مقالاتِه، واعتبرَ أنّ "المُعجمَ

---

1 – شمس الدين عبد الأمير، الفكر التربوي عند ابن خلدون وابن الأزرق، الشركة العالمية للكتاب، بيروت لبنان الطبعة الأولى 1991م، ص: 9.

2 – المسدي، عبد السلام، علوم اللسان عند ابن خلدون، مقال من مجلة المورد، 1406هـ / 1986م، المجلد الخامس عشر، العدد الأول، ص: 20.

3 – ابن خلدون، عبد الرّحمن،، مقدمة ابن خلدون، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس الأستاذ خليل شحاذة، مراجعة الدكتور سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر، 1431هـ / 2001م ، ص: 753.

4 – انظر: مجلة أقلام، العدد الثامن، مارس 1979م، ص: 6.

5 – ميشال، زكريا، الملكة اللسانية في مقدمة ابن خلدون، ص: 12.

6 – انظر: مجلة أقلام، العدد الثامن، ص :11 .

7 – ابن خلدون، المقدمة، ص: 753.

8 – المسدي، عبد السلام، اللسانيات من خلال النصوص، الدار التونسية للنشر، 1984م، ص: 43

9 – حجازي، محمود فهمي، مدخل إلى علم اللغة، دار قباء للنشر والطباعة والتوزيع، القاهرة، ص: 12.

10 – ابن خلدون، المقدمة، ص: 753.

11 – المقدمة، ص: 753.

12 – نفسه، ص: نفسها .

13 – المقدمة، ص : 753.



يمثّلُ قلبَ النّظريّةِ اللّغويّةِ ومركزَ الدّورانِ في الفكرِ اللّسانيِّ عند ابنِ خَلدون».

ومن ثَمَّ، علمُ اللّغةِ هو ذلك العلمُ الذي يبحثُ في الألفاظ ومعانِيها.

نخلصُ إلى أنّ العلّامةَ ابنَ خَلدون، كان آخذًا بمجامعِ اللّسانِ العربيِّ من كلِّ جوانبِه، وقيمةُ مباحثِ اللّسان العلْميّةُ عنده، تتجلّى في الشّبه الكبيرِ الذي يقعُ بينه وبين اللّسانيّاتِ المُعاصرةِ، ذلك أنَّ هذه الأخيرةَ أثبتتْ أنّ اللّسانَ البشريَّ يتطوّرُ تطوّرًا خطيرًا في معانِيه ومبانِيه؛ لأنّه عُرضةٌ لأحداثِ الخطابِ المتكرّرةِ في كلّ حين، وما اللّسانُ العربيُّ إلّا واحدًا منَ الألسُنِ البشريّةِ يتأثّرُ ويُؤثّرُ بما يلاقِي من ألسُنِ الأمم التي دخلتِ الإسلامَ، واتّخذتِ اللّسانَ العربيَّ أساسًا لها في أمور حياتِها.

---

14 – المرجع نفسه، ص: نفسها.

15 – حجازي، محمود فهمي، مدخل إلى علم اللغة، دار قباء للنشر والطباعة والتوزيع، القاهرة، ص: 12.

16 – الأوراغي، محمد، اكتساب اللغة في الفكر العربي القديم، دار الكلام للنشر والتوزيع، د.ط ، ص: 109.

17 – انظر: المسدي، اللسانيات من خلال النصوص، ص: 117

18 – سورة يوسف، آية: 2.

19 – سورة الشعراء ، آية: 195

20 – المقدمة، ص: 754

21 – ينظر: نظرات في التراث اللغوي العربي، للدكتور عبد القادر المهيري، دار الغرب الإسلامي، الطبعة 22 – الأولى . 1993م، ص :181.

23 – انظر: الدكتور المهيري، نظرات في التراث اللغوي العربي ، ص: 187.

24 – المقدمة، ص: 753.

25 – نفسه، ص: نفسها .

26 – نفسه ، ص: نفسها .

27 – ابن خلدون، المقدمة، ص: 753.

28 – نفسه ، ص: نفسها .

29 – المسدي، عبد السلام، قراءات مع الشابي والمتنبي والجاحظ وابن خلدون، دار سعاد الصباح، الطبعة الرابعة 1993م، ص: 185.

30 – المقدمة ، ص : 756.

31 – انظر: مقال الدكتور المسدي، مجلة المورد ، ص: 22.

# يَا فَارِسَ الضَّادِ لا تَتَرَجَّلِ



شعر/د. محمّد حرّاث
جامعة الشّلف/الجزائر

## مهداة إلى شيخي صالح بلعيد

يَا صَهْوَةَ الأَمْجَادِ فَوْقَكِ فَارِسُ ... يَا قَلْعَةً لِلضَّادِ عِنْدَكِ حَارِسُ
يَا فَاتِحًا لِلضَّادِ صَدْرًا ... وَ وَقَفْتَ تَخْدُمُهَا وَغَيْرُكَ جَالِسُ
أَرْحبًا أَنْفَقْتَ عُمْرًا غَالِيًا مِنْ أَجْلِهَا ... وَالعُمْرُ لا تَغْلُو عَلَيْهِ نَفَائِسُ
أَتْعَبْتَ خَلْفَكَ فِتْيَةً أَنْضَجْتَهُمْ ... فَالشَّمْسُ أَنْتَ وَنَحْنُ مِنْكَ القَابِسُ
وَسَقَيْتَنَا مِثْلَ الفَسِيلَةِ مُغْدِقًا ... فَلَنِعْمَ مُسْقِينَا وَنِعْمَ الغَارِسُ
وَنَسَخْتَ مَنْ قَدْ كَانَ قَبْلَكَ شَيْخَنَا ... فَرَسَخْتَ، وَالمَنْسُوخُ بَعْدَكَ دَارِسُ
وَفَتَحْتَ أَبْوَابًا وَ آمَالًا لَنَا ... مَا كَانَ يَفْتَحُهَا فُؤَادٌ يَائِسُ
وَلَأَنْتَ فِي دَرَجِ الأَمَاجِدِ أَوَّلٌ ... عُنْوَانُ مَتْنٍ هُمْ لَدَيْهِ فَهَارِسُ
فَلَأَصْدَحَنَّ بِفَضْلِكُمْ بَيْنَ الوَرَى ... وَلَيَشْهَدَنْ غَبْرَاؤُهَا وَالدَّاحِسُ
أَنَّ اللُّغَاتِ قَطَعْتَ فِيهَا أَبْحُرًا ... وَبِأَنَّكُمْ رُبَّانُهَا وَالسَّائِسُ
رَقْمَنْتَهَا، عَايَشْتَهَا، مَوْطَنْتَهَا ... وَجَعَلْتَ شَهْرًا عِيدَهَا يُتَدَارَسُ
وَالمَجْلِسُ الأَعْلَى تَوَشَّحَ بِاسْمِكُمْ ... دِيسَمْبَرُ شَهِدَ الجُهُودَ وَمَارِسُ
وَمَعَاجِمٌ مِنْ كُلِّ فَجٍّ أَقْبَلَتْ ... وَمُحَرِّرُوهَا بِالجُذُورِ تَنَافَسُوا
وَأَتَتْ تُرِيدُكَ جَامِعَاتٌ ضَيْفَهَا ... وَمَخَابِرٌ، وَمَجَامِعٌ وَ مَدَارِسُ
فَوَسِعْتَهُمْ قَلْبًا وَصَدْرًا، خَاطِرًا ... عِلْمًا وَحِلْمًا، لِلسَّمَاءِ تُلامِسُ

شَيَّدْتَ لِلضَّادِ المَنَابِرَ في العُلَى ... فَغَدَتْ لَهَا بَيْنَ اللُّغَاتِ أَطَالِسُ

وَجُدُودُكُمْ مَازِيغُ هَذَا دَأْبُهُمْ ... شُمُّ الأُنُوفِ أَعِزَّةٌ وَعَنَابِسُ

مَازِيغُ آخَى يَعْرُبًا، فَلِمَ المُدى ... فِتَنٌ تُطَوِّفُ بَيْنَنَا وَدَسَائِسُ

فِتَنٌ أَتَتْ بِفَحِيحِهَا وَأُوَارِهَا ... لَمْ يَنْجُ مِنْهَا أَخْضَرٌ أَوْ يَابِسُ

لَكِنْ غَدَوْتَ لَهَا بِنُورِكَ مُفْلِقًا ... دَيْجُورَهَا، فَانْزَاحَ عَنْهَا الدَّامِسُ

أَكْرِمْ بِصَالِحَ وَالمُسَمَّى أَصْلَحُ ... مَا أَشْبَهَ السِّمَتَيْنِ حِينَ تُقَايِسُ

وَهَبَ الجَلِيلَةَ عُمْرَهُ وَفُؤَادَهُ ... فَمَعَاجِمٌ شَهِدَتْ لَهُ وَقَوَامِسُ

فَأَحَبَّهَا وَأَزَالَ عَنْهَا غُبْنَهَا ... فَهْوَ الطَّبِيبُ مُدَاوِيًا وَالحَارِسُ

هُوَ قَيْسُهَا، وَهِيَ الجَمِيلَةُ حِبُّهُ ... وَتَغَارُ مِنْهَا في الحِسَانِ عَرَائِسُ

هِيَ شُغْلُهُ قَدْ شَابَ فِيهَا عُمْرُهُ ... هِيَ هَمُّهُ الشَّاكِي لَهُ وَالهَاجِسُ

لا تَخْشَ بَعْدَكَ إِنَّنَا فُرْسَانُهَا ... وَحُمَاتُهَا عِنْدَ الوَغَى وَأَشَاوِسُ

إِنَّا عَلَى آثَارِ خَطْوِكَ نَقْتَفِي ... مَشْيُ المُرِيدِ بِشَيْخِهِ يَتَجَانَسُ

نَرْجُوكَ لا تَتْرُكْ زِمَامَ أُمُورِهَا ... فَالضَّادُ دُونَكَ رَايَةٌ تَتَنَاكَسُ

وَاللهُ يَرْحَمُ شَيْبَةً قَدْ شِبْتَهَا ... في الضَّادِ، تُعْلِي شَأْنَهَا وَتُؤَانِسُ

وَالْيَوْمَ حَقُّكَ أَنْ تُكَرَّم عِزَّةً ... وَإِذَا تَعِبْتَ فَجَنَّةٌ وَ فَرَادِسُ

# الترجمة: تحديدات مفاهيمية

**لا يختلفُ اثنان حول كونِ تخصّص التّرجمةِ منَ التّخصّصات الفريدةِ التي نجحت في تحقيقِ الرّبطِ والتّواصُلِ المثالي ما بين جميعِ دُول العالَم وشعوبِه، ففي عالَمٍ يتحدّثُ ما يزيدُ عن سبعةِ آلاف لغةٍ لم يكن منَ السّهل على الإطلاق أن يحدثَ التّفاهمُ إلا في وجود التّرجمةِ، التي كانت ولا تزالُ الجسْرَ الأمثلَ لتحقيقِ التّواصُلِ بين الحضاراتِ والثّقافاتِ.**



فاطمة طاهري

كاتبة وباحثة مغربية

## 1 - التَّرجمةُ

- التَّرجمةُ عمليّةُ نقلِ نصٍّ من لغةٍ إلى لغةٍ أخرى، أي منَ اللّغةِ الأصلِ إلى اللّغةِ الهدفِ، فرغمَ اختلافِ آراءِ بعض المُنظّرين في التّرجمة إلّا أنّ أغلبيتَهم يتوافَقون على أنّ التّرجمةَ هي عمليةُ تحويلِ لُغةٍ إلى لغةٍ أُخرى دونَ تغييرِ المعنى كما يرى ذلك نيومارك(1).

ومن جهة أخرى يرَى ويلز أنَّ عمليّةَ التّرجمةِ هي عمليّةٌ لُغويّةٌ ترتكزُ أساسًا على المهارةِ التَّرجميّةِ والأداءِ التَّرجميِّ كضرورةٍ في التَّرجمة(2).

فلَطالمَا أنَّ التّرجمةَ تتعاملُ بصورةٍ أساسيةٍ مع النّصّ فلا بدّ منَ الوصول إلى التّرجمةِ الأمينةِ والدقيقةِ التي تمنحُ النّصَّ حقَّه(3).

أصبحتِ التّرجمةُ فرعًا من فروع اللِّسانياتِ وتعليم اللّغات، فقد مرّت بمراحلَ مختلفةٍ عبْرَ الزّمن، اقترنت فيها بمناهجَ عديدةٍ كتعليمِ اللّغات الأجنبيةِ وعلمِ الدّلالة البِنيويّةِ... وتكمُنُ إشكاليّةُ التّرجمة في كيفيةِ خوضِ هذه العمليّةِ إمّا حرفيًّا، وإمّا معنويًّا/ بطريقةٍ حرّةٍ. (Literal translation / semantic or free translation). وتجدرُ الإشارةُ إلى أنّ عمليةَ التّرجمة تخضعُ إلى القراءةِ المتمعِّنةِ والفهم الدّقيقِ في المُحتوى ومعنَى النّصِّ الأصلِي، ويكمنُ المشكلُ الأساسُ في التَّرجمة في اختيار الطّريقةِ المناسبةِ لترجمة نُصوصٍ مختلفةٍ دلاليًّا وتركيبيًّا والحِفاظِ على كلِّ القيمِ التي تحتوِيها وكذا التّركيزُ على حَدْسِ الكاتب والنّصِّ (intuition) لذلك نرَى أنَّ اختيارَ الطّريقة المناسبةِ يرجعُ إلى نوعية النُّصوص وكذلك مدَى تمرُّنِ الطالب/ المُترجِم، على ميكانيكيةِ/ منهجيّةِ التّرجمة وتمكُّنِه منَ اتّخاذ كلّ الإجراءاتِ والأساليبِ بالطّريقة الصّحيحةِ لإنجاح عملِه التَّرجميِّ، هذا يرجع بالأساس إلى فترةِ تكوينِه في الجامعة كمُترجِمٍ مُتعدّدِ اللُّغات (as multilingual).

فالمُترجمُ هو في الأخير مُجبرٌ ومُضطرٌّ على أن يحافظَ على رصانةِ الأسلوبِ الأصلي، فمهما كان المُترجِمُ واعيًا وذكيًّا ومحترفًا ومبدعًا وماهرًا فلا

يمكنُه أن يُترجم أسلوبَ النّصّ الأصلي نَفسَهُ، بل يسعى جاهدًا على أن ينقلَه ويقلّدَه بلُغة أخرى.

ومن هذا المُنطلق نرى أنَّ إشكاليةَ تعليمِ التَّرجمة إشكاليةٌ قديمةٌ، لكنْ رغمَ قِدمِها ورغمَ وجودِ مدارسَ لتكوين مُترجِمين محترِفين منذ القِدَم إلّا أنّه لا توجدُ طريقةٌ محدَّدةٌ لتعليمِها، فالتّرجمةُ التّعليميةُ تمرينٌ يدخلُ في إطارِ تعليمِ اللّغات الأجنبيةِ وإتقانِها.

إنّه لَمِنَ الشّائع تعلُّمُ لغةٍ أجنبيةٍ من خلال اللّغةِ الأمِّ وما يقابلُها كما نجدُ ذلك في النّظريةِ الكلاسيكيةِ لتعلُّم اللّغة الأجنبيّةِ (Grammar Translation Method).

ومنَ المفروض أن يُتقنَ المُترجِمون المُتدرِّبون لغةً أجنبيّةً على الأقلّ إضافةً إلى اللُّغة الأمِّ، وقد تُسهمُ في القيام بترجماتٍ قصدَ تعزيزِ الإتقانِ اللّغويِّ ولا يُشكّلُ بأيّ حالٍ منَ الأحوال غايةً أولـيّـةً، بل عكسُ ذلك يعتمدُ تعليمُ التّرجمة على مَقدرةٍ لُغويةٍ مُكتسبَةٍ سابقًا، فـإذا أردنـا أن يكونَ تعلّمُ اللّغات الأجنبيةِ ليس تشبُّعًا بالمعلومات، فقط، وإنّما اكتسابًا للقُدرات اللّغويةِ فقد يكونُ منَ المفيد أن نعدّ تعليمَ التّرجمةِ كعملٍ تواصُليٍّ مُركّزين بذلك على أهمّ مستوياتِ اللّغة، آخذِين بعين الاعتبارِ الجوانبَ الدّلاليّةَ والنّحويّةَ والتّركيبيّةَ، وكذا الأُسلوبيّةَ للّغة، والتي لها خصائصُ ومِيزاتٌ مختلفةٌ




سواءً أكانت تركيبيّةً أم ثقافيةً، وحتى يتأتّى ذلك، فإنّ هناك بعضَ الشّروط التي يتوجّبُ توفُّرُها في المُترجِمِ الحُرِّ:

* أن يكونَ مُتمكّنًا في موضوعِ النّصِّ المُترجَمِ وأن يكونَ مُختصًّا في الموضوع، وأحيانًا ينبغي التّخصّصُ الدّقيقُ في موضوعٍ بعينِه.

* أن يكونَ مُتقنًا للّغة العربيّةِ وعارفًا بقواعدِها الصّرفيّةِ والنّحويّةِ ومُلمًّا بأصولِ البلاغةِ إلى حدِّ القُدرةِ على إنشاءِ الجملةِ القويّةِ والعبارةِ السّليمة.
* أن يكونَ مطَّلِعًا على المُصطلحات العلميّةِ وطرائقِ وضعِها: الاشتقاقِ والتّعريبِ والمجازِ والنّحتِ وما إلى ذلك.
* أن يكونَ مُتقنًا للّغة الأجنبيةِ التي ينقلُ عنها، سواءً من حيث القواعدُ أو الأسلوبُ.

ويُشترطُ في المُراجعِ reveiwer أن يكونَ جامعًا شروطَ المُترجِم بل متقدّمًا عليه معرفةً وخبرةً في الموضوع المُترجَم واللّغتين العربيّةِ والأجنبيةِ المنقولِ منها، كما يستطيعُ ضبطَ التّرجمةِ واستدراكَ ما فيها من نقصٍ، وتقويمَ ما يشوبُها من خطأٍ أو ركاكةٍ(4).



## 2 - تعليميّةُ/ تدريسيّةُ التّرجمةِ

يُقصدُ بتعليميةِ أو تدريسيّةِ التّرجمة تعليمُ عمليّةِ النّقل اللُّغويِّ والمعنى، وتحويلُ الخطابات لجمهور المُتعلّمين أو القارئين الذين لا يُتقنون اللّغة الأخرى، وهي عمليّةٌ ترتبط عند إليزابيت لافو Élisabeth Lavault بوظيفتَيْن:

* الوظيفةُ التّفسيريّةُ: ويتمُّ تكوينُ المُترجِم في المُصطلحيّةِ والمُعجميّةِ والنّحو، والهدفُ منها إعدادُ الكفاءةِ اللّغوية التي يفتقر لها الجمهورُ.

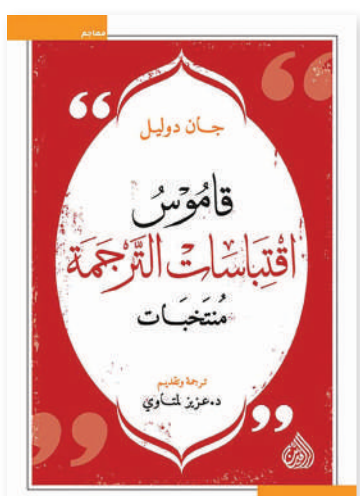
وظيفةُ المراقبةِ: ويتعلّمُ فيها الدّارسُ وظيفةَ النّقل وينتجُ عنها تقويمُ الكفاءةِ اللُّغوية، ولا يحصلُ هذا إلّا بالفهم(5).

أما عن مجالِ البحثِ في تعليميّةِ التّرجمة، فتشيرُ الدّراساتُ العلميّةُ إلى تفرُّدِ البحثِ العلميِّ بتخصّص التّرجمة ومن خلالِه تعليميّتُها(6)، وفي سنة 1999 حدّدت أمبارو هرتادو ألبير مجالاتِ تعليميّةِ التّرجمة وهي: تقويمُ الترجمةِ، تعليميّةُ التّرجمةِ، التّرجمةُ، في حقل تعليميّة اللّغات، تعليميّةُ اللّغات وتعليمُ التّرجمةِ المِهنية (7)، ولا يمكنُ البحثُ في مجال تعليميّةِ التّرجمة إلّا من خلال تعليميّةِ اللّغات.

إنّ التّكوينَ في التّعليميّة هو الذي يُملي خِطّةَ عملٍ دقيقةً لدرسِ التّرجمة بالتّحضير في مستوياتٍ بيداغوجيّةٍ ومعرفيّةٍ نجدُ لها حضورًا في عمل الأستاذ داخلَ الفصْلِ.

## 3 - التّرجمةُ التّعليميّةُ والتّرجمةُ المهنيّةُ

يُعدُّ جان دوليل Jean Delisle أوّلَ من استخدم مصطلحَ التّرجمةِ التّعليميّةِ، ويقصدُ به «استخدامَ تمارينِ ترجمةٍ تعليميّةٍ تهدفُ إلى تعليم لغةٍ أجنبيةٍ ما». وقد ميّز دوليل بين التّرجمةِ التّعليميّةِ التي






تُستخدمُ كوسيلةٍ وأصولِ تعليمِ التّرجمة التي تهدفُ إلى "تأهيلِ مُترجمين مِهنيين» يمتلكون منذ البدايةِ معرفةً جيّدةً باللّغات(8). أمّا لادميرال فقد ميّز من جهته تمييزًا صريحًا بين التّرجمة بالمعنى الحقيقيِّ أو «التّرجمة التَّرجَميّة» وبين «ما يترجِمُه الطّالبُ من لغتِه الأمِّ إلى لغةٍ أجنبيةٍ أو منَ اللّغة الأجنبيةِ إلى لغتِه الأمِّ»(9)، وهما نمَطان خاصّان جدًّا من أنماط التّرجمة، أي التّرجمةِ بوصفِها تمرينًا تعليميًّا.

إنَّ التّرجمةَ التّعليميّةَ تمرينٌ يندرجُ في إطارِ تعليم اللّغات الأجنبيّةِ، وإنّه لَمِنَ الشّائع اليومَ تعلّمُ لغةٍ أجنبيّةٍ من خلال اللّغةِ الأمِّ والتّقابُلِ معها، وسواءً أكان التّمرين كتابيًّا أم شفويًّا، مُعدًّا أم مُرتجلًا، وسواءً أكان يقوم على جُملٍ معزولةٍ أو مركبّةٍ من عدّة نصوصٍ لدواعِي الموضوع أم على مقاطعَ من نصوصٍ مقتطَفةٍ من مطبوعاتٍ مختلفةٍ، فإنّ وظائفَه تبقى واحِدةً.

ومن أهمِّ النّظرياتِ لتعليمِ التّرجمةِ نذكرُ النّموذجَ اللِّسانيَّ ونموذجَ التّحليلِ التّقابُليِّ والأسلوبيّةَ المقارنةَ والنّموذجَ التّأويليَّ والنموذجَ الوظيفيَّ.

## خاتِمة

مع التَّعمُّقِ في دراسةِ تخصُّصِ التّرجمة سيكتشفُ الدّارسُ أنَّ العمليّةَ ليست مُجرّدَ تعلُّمِ كلماتٍ أو عباراتٍ تتمُّ ترجمتُها وصياغتُها لتخرجَ في النّهاية بنصوصٍ مفيدةٍ وذاتِ معنى، بلِ التّرجمةُ أشملُ وأعمُّ من ذلك بكثيرٍ حيث تأخذُك اللّغةُ التي قرّرتَ التّخصّص بها والتّرجمةَ منها أو إليها إلى ثقافاتِ الشّعوب والدُّول التي تتحدّثُ بها، تأخذُك إلى اكتشاف حضاراتِها، إلى فهمِ وإدراكِ طباعِ وعاداتٍ ومُعتقداتِ الآخرين.

فالفكرةُ الأساسُ من دراسة تخصّصِ اللّغات والتّرجمةِ تتمثّلُ في تحقيقِ النّقلِ السّليمِ من لغةٍ إلى أخرى، فالمترجِمُ مسؤولٌ على النّقل منَ اللّغة الأصليّةِ التي كُتب بها النّصُّ إلى لغةٍ أخرى بأسلوبِه الخاصِّ، مع التزامِه بأن تتمَّ عمليةُ النّقلِ هذه على أسلَم وجهٍ، بحيث لا يَحدثُ أيُّ تغييرٍ في معنى النّصّ الأصليّ وفكرتِه.

---

**الهوامشُ:**

1 – Peter Newmark, A Text Book of Translation (New York: Prentice-Hall International,1988), p 5.
2 – Wolfram Wills, The Science of Translation: Problems and Methods (Tubingen, Gunter Narr Verlag, 1982), p 15.
3 – حسيب إلياس حديد، أصول الترجمة دراسات في فن الترجمة بأنواعها كافة (بيروت: دار الكتب العلمية، 2013).
4 – محمد الديداوي، الترجمة والتواصل (دار توبقال، 2000)، ص 101.
5 – Pour plus amples informations sur ce sujet, voir: Élisabeth Lavault, fonction de la traduction en didactique des langues, traductologie et communication (Paris, Didier erudition, 1985).
6 – For more information on this subject, see: Holmes, James .S, The Name and Nature of Translation Studies, (University of Amsterdam, 1975).
7 – Para más información sobre este tema, ver: Amparo Hurtado Albir, Enseñar a traducir (Edelsa Grupo Didascalia, 1st edition, 1999).
8 – Pour plus amples informations sur ce sujet, voir: jean Delisle, L'Analyse du discours comme méthode de traduction, (Ottawa, Éditions de l'université d'Ottawa, 1984).
9 – Pour plus amples informations sur ce sujet, voir: Jean-René Ladmiral, Traduire: théorèmes pour la traduction, (Paris: Payot, 1979).

# مَكَانَةُ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ وَرِسَالَتُهُ عَبْرَ العُصُورِ



هشام إسماعيل عدرة
كاتب وشاعر/ سوريا

**لقدْ أدركَ العربُ، شعراءَ ونُقّادًا وشَعباً، وبفطرةٍ سليمةٍ، مضمّخةٍ بعبيرِ العلْمِ المُتجدِّدِ أنّ الشّعرَ العربيَّ إنّما هو ضميرُ هذه الأمة ورُوحُها، حادِي قوافلِها في متاهاتِ الحياةِ إلى حقولِ النُّورِ، وشادِي جيوشِها في معامعِها وحروبِها إلى ألويةِ النّصرِ، وخازنُ تقاليدِها الرّفيعةِ، وشيَمِها الانسانيّةِ الرّاقيّةِ فزخرَ بصفاءِ الرّوحِ، واتّقادِ النّفسِ، وفيضِ الخواطرِ، واتّسعَ لأُمّةٍ بنتِ الحياةَ يوم أعتمتِ الحياةُ، وأنارتِ العقولَ بضياءِ المعرفةِ يومَ اعتمتِ العقولُ وسيْطرَ الظّلامُ، لذلك هامَ العربيُّ حبّاً بشِعره، وسمَا عقلاً ورُوحاً بشُعراءِ أمّتِه وتداعتِ القبائلُ**

منذُ الجاهليّةِ على القبيلةِ التي وُلد فيها شاعرٌ مُهنّئةً، مُشيدةً بالكوكب الوليدِ الذي سيتألّقُ في سماءِ الحقّ والجمالِ والمُثُلِ العليا، وإذْ أدركَ العربُ ما للشِّعر من رسالةٍ فنيّةٍ: رُوحيّةٍ وقوميّةٍ، اعتصمُوا بحَرمِه، وأحلُّوه من نفوسهم محلَّ العبيرِ منَ الأزاهيرِ وفتنِ الشّاعرِ نفسه بهذه المكانةِ فألحَّ على الصّفاءِ في شِعْرِه، والصّدقِ في شَدْوه، والبيانِ السّاحرِ في أدائِه، ومنذئذٍ يقول زهيرُ بنُ أبي سلمى:

وإنَّ أحسنَ بَيْتٍ أَنْتَ قائِلُهُ ... بَيْتٌ يُقالُ، إذا إنْشَدتَهُ: صَدَقا

ما مفهومُ الصّدقِ عند زُهير؟ إنّه جماعُ الفضائلِ وينابيعِ السّجايا الإنسانيّةِ النّبيلةِ ومزايَا الرّوح في رحلةِ العُمر صوبَ هذه الفضائلِ السّرمديّةِ. والنّهجُ نفسُه عند الشُّعراءِ العربِ المُعاصرين، فالرّصافي يقولُ:

**والشِّعرُ ليسَ بنافِعٍ إنشادُه**
**حتّى يكونَ عنِ الحقيقةِ مُعْرِبَا**

يتعانقُ ـ صدقُ ـ زهيرٍ مع ـ حقيقةِ ـ الرّصافيّ عبْرَ قرونٍ منَ الزَّمن طويلةٍ، ليؤكِّدَ المفهومان أنَّ الشّعر بعامّةٍ، والشِّعْرَ العربيَّ بخاصةٍ يزخرُ بالصّدقِ والواقعيّةِ، ويتوخّى السّموَّ في روحِه ومادّتِه صوبَ الجِدّةِ المُبدعةِ المُتعانقةِ مع هذه الحقيقةِ، وهذا الصّدقِ. والرّسالةُ الإنسانيّةُ نفسُها يرسّخُها حافظُ ابراهيم من خلال إيمانِه برسالة الشِّعْر وغِناهُ الرّوحيِّ والمادّيِّ، فيقولُ:

**يَا مَن تَوَهَّمَ أَنَّ الشِّعْرَ أَعذَبُهُ**
**في الذَوقِ أَكذَبُهُ أَزرَيتَ بِالأَدَبِ**

فالشّعرُ العربيُّ رياضُ هذه الأمة وخمائلُها، منه يجنُون أعذبَ الثّمارِ، ويستَقُون أحلَى المياهِ، وبه تُصقلُ عقولُهم، وتفصحُ ألسنتُهم، وتَغتني مداركُهم وتتّسعُ آفاقُهم، وعنه فاضت حضاراتُهم ومكانتُهم القوميّةُ بين الأمم. لذلك حرصَ العربُ في عصورِ الصّفاءِ والأصالةِ أن يكونَ الشّعرُ مدارسَ



معروف الرصافي

امرؤ القيس

زهير ابن أبي سُلمى

حافظ إبراهيم

علميّةً ومعاهدَ تربويّةً، فالسّيدةُ عائشةُ ـ رضي الله عنها ـ تدعُو العربَ لصقْلِ ألسنةِ أبنائِهم فلا تجدُ وسيلةً غيرَ الشِّعر، فتقولُ: (علّموا أولادَكم الشِّعرَ، تعذبْ به ألسنتُهم)، ومعاوية رضي الله عنه ينحُو المَنحى نفسَه، وقد رأى في الشِّعر العربيِّ علْمًا جمًّا، ومُربّيًا أمينًا فيقولُ: (اجعلُوا الشِّعرَ أكبرَ همِّكم، وأكثرَ آدابِكم، فإنَّ فيه مآثرَ أسلافِكم ومواضعَ إرشادِكم). بعث زيادُ بولدِهِ إلى معاويةَ فكاشفَه عن فنونٍ منَ العلم، فوجدَه عالمًا بكلِّ ما سأله عنه، ثم استَنْشده الشِّعرَ فقال: لم أروِ منه شيئًا، فكتبُ معاويةُ إلى زيادٍ: ما منعَك أن تُرَوِّيَه الشِّعرَ، فوالله إن كان العاقُّ يُرَوِّيه فيبرُّ، وإن كان البخيلُ يُرَوِّيه فيسخُو، وإن كان الجبانُ يُرَوِّيه فيقاتلُ..؟

فما يطلبُه الإنسانُ منَ الشِّعر أكثرَ من ذلك؟

* إنّه يجعلُ العاصيَ الجاحدَ العاقَّ بارًّا
* والشّحيحَ البخيلَ جوادًا سخيًّا
* والجبانَ الرّعديدَ باسلاً مِقدامًا

ولم يضِقِ الشّعرُ العربيُّ بهذه الفضائلِ والمفاهيمِ الرّوحيّةِ والفنيّةِ وهي وإن كانت مطروحةً بإطار التّعميمِ، بالأداءِ العربيِّ الجليلِ، فإنّها وعاءٌ فنيٌّ يَشفُّ عنِ المفاهيمِ المعاصرةِ في رسالة الشِّعرِ والأدبِ، وعن مقاييسِه الموضوعيّةِ والعلميّةِ، فالشِّعرُ يدعُو إلى إسهامِ المواطنِ في بناءِ مجتمعِه وأمّتِه، وكذلك يدعُو إلى الفداءِ والعطاءِ، ولكنّه يغدُو عاجزًا عن هذا العطاءِ ملفّعًا بالجهالةِ والغباوةِ وربّما بالخيانةِ إذا لم يكنْ ذا حميّةٍ وشجاعةٍ واستعدادٍ للبذلِ والتّضحيةِ في حقولِ الأمّة ورياضِها، وقد رسم عبدُ الملك بنُ مروان رسالةَ الشّعرِ بقليلٍ منَ اللّفظِ وبوعْيٍ يقظٍ وإدراكٍ سليمٍ لجوهرِ هذه الرّسالةِ: إنّها المجدُ والنّجدةُ.. فيقولُ لمؤدّبِ ولدِه: (رَوِّهمُ الشّعْرَ يَمْجُدُوا، وَيُنْجِدُوا).

لقدْ أبدعَ الشّعرُ العربيُّ في حقولِ المُثُلِ العُليا للإنسان

العربيِّ، إبداعًا جديدًا فشحذَ روحَه وألهبَ نفسَه، وأضْرمَ شمسَ الوعْي في ضميرِه وعقلِه وجعلَه يعتزُّ بعروبتِه، وأصالتِه وتراثِه، فيرى الشّريفُ الرّضِي:

**إذا عَرَبِيٌّ لَمْ يَكُنْ مِثْلَ سَيْفِه**
**مَضاءً عَلَى الأَعْداءِ أَنْكَرَهُ الجدُّ**

هذه صُورٌ مجملةٌ وعامّةٌ للشّعرِ العربيِّ، فما هي فنونُه، وما هي أغراضُه، وهل أسهمَ مع الإنسان العربيِّ في بناء مجتمعِه عبْرَ العصور المختلفةِ أم قَصُر عن ذلك؟.. ولا بدّ منَ التّفريق بين الإطارِ والمحتوَى. إنّ الإطارَ الفنيَّ للشّعرِ العربيِّ أو الشّكلَ قدِ استوعبَ أغراضَ العُصور، وتجاربَ الأمّةِ وحاجاتِ الإنسان العربيِّ في حلّ مشكلاتِه ورغباتِه وتشوُّفِه، من أبسطِ المشاعرِ إلى أدقِّها، واكبه إنسانًا يبحث عنِ النّور، فأضاء، وفارسًا يحمي حوضَه وحِماه بتلك البطولةِ الخارقةِ، ومكافحًا يحملُ فيوضَ السّماء، وشرائعَ العدلِ والخيرِ والجدة للإنسانية، فزخرَ بالمفاهيم الرّوحيّةِ والعقليّةِ المُنبثقةِ من ضميرِ الشّاعرِ وضميرِ الأمّة أو المقتبَسةِ من غيرِها يفيضُ بها حياةً مغمورةً بحقائقِ العلْم ومُثُلِ التّاريخ، وإذ أدرك علماءُ الأمّةِ وحكماؤُها وبلغاؤُها مكانةَ الشّعرِ وغناهُ الفكريَّ وأثرَه العلميَّ، استحضروه نجمًا ثاقبًا يُثري عقولَهم ويعمّقُ معارفَهم وينيرُ ثقافتَهم، وعايشوه مُعلّمًا لا يزلُّ، وواهبًا سخيًّا لا يشحُّ، وفيضًا عذبًا لا يجفُّ، فيقولُ الأصمعيُّ:

**(ما بلغتُ الحُلُمَ حتى رويتُ اثْني عشرَ ألف أرجوزةٍ للإعرابِ).**

فالمُحتوَى الفكريُّ للشّعرِ العربيِّ، هنا، إنّما هو هذه القيمُ العقليّةُ التي جعلت منَ الأصمعيِّ إنساناً سويًّا حكيمًا، عاقلًا، حليمًا، وأضفتْ على روحِه أنوارَ العلمِ والصّفاءِ... ونحن نقولُ بمنطقِ اليوم، حاكمِين بتأنٍّ وصدْقٍ: لولا الشّعرُ العربيُّ لما كان الأصمعيُّ مُثقّفًا ثقافةً عقليّةً رفيعةً، فالشِّعرُ صقلَ عقلَه وأيقظَ إحساسَه وأضاءَ قلبَه، فغدا ذلك النّاقدَ البارعَ والمؤرِّخَ المنصفَ لحركة الأدبِ العربيِّ شعرِه ونثرِه..؟

لقد دعا الشّعرُ العربيُّ إلى وحدة الأمّةِ والمجتمعِ وشحذَ الهممَ لمعاضدةِ القومِ ومناصرتِهم، ورسمَ الشّعراءُ العربُ الطريقةَ المُثلَى في معنى القوّةِ والحريّةِ، ورأوا أنّ الإنسانَ فرداً أو جماعةً يذلُّ إذا عزّ نصيرُه، وأنَّ قوّتَه إنّما هي بقوة أهلِه وقومِه:

**مَن كانَ ذا عَضُدٍ يُدرِك ظَلامَتَهُ**
**إنَّ الذَليلَ الذي لَيسَت لَهُ عَضُدُ**
**تَنبو يَداهُ إذا ما قَلَّ ناصِرُهُ**
**وَتأنَفُ الضيمَ إن أَثرى لَهُ عَضُدُ**

هذا موقفٌ إنسانيٌّ واعٍ وعقلٌ يقظٌ، يدركُ الحقائقَ الإنسانيّةَ، الاجتماعية للإنسان والأمّةِ يعرضُها الشّاعرُ العربيُّ ـ الإنسانُ ـ عرضاً يكادُ يكونُ مُعاصراً، فالشّاعرُ هنا ورغمَ قِدمِه، يُعايشُنا نحن حفدتَه مفهومَ القوّة وفلسفةِ الحريّةِ، فيعبّرُ بكلماتٍ مشحونةٍ بالصّدق وواقعيّةِ التّعبير:

**العضدُ: رمزُ القوّة والدّفاع = القوّةُ - الحريّةُ**
**النّاصرُ: رديفٌ عقليٌّ للعضُد، والعضُدُ وسيلةٌ = وحدةُ الجماعة، سببُ النّصر**
**العددُ: وحدةُ القوم: أمسِ وحدةُ الأمّة: اليوم = الأمّةُ المتّحدةُ**
**الذّليلُ: المعزولُ اختيارًا أو إكراهًا عنِ الجماعة = العبدُ - العبوديّةُ**

ومن واقعِ الباديةِ العربيةِ، منهلِ الصّدق العَفويِّ، ينقلُ إلينا الشّاعرُ العربيُّ فلسفةَ القوّة والعزّة:

**تَعْدُو الذِّئابُ عَلَى مَنْ لا كِلابَ لَهُ**
**وَتَحْتَمِي مَرْبِضَ المُسْتَأْسِدِ الْحَامِي**

بهذه البساطةِ الواقعيّةِ والدّعوةِ غيرِ المباشرةِ، دعا الشّاعرُ العربيُّ إلى القوّةِ والحمايةِ من خصوم الحقِّ وسُطاةِ الظّلام، ولعلّ (ابنَ صرمةَ) منْ خير مَن جسّد رسالةَ الشّعر العربيِّ بإزاءِ الجماعةِ ووحدتِها، وهو يعرّف بَنيهِ بمفهوم الوحدةِ الرّوحيّةِ والمادّيةِ للأمّة الجماعةِ عبْرَ حقلٍ من حقول مكارمِ الأخلاق فيقولُ:

**وإنْ قَومُكم سادُوا فلا تحسدُوهُمُ**
**وإن كنتُمُ أهلَ السّيادةِ فاعْدِلوا**



**فإنْ أنتمُ أعوزتمُ فتعفّفوا**
**وإن كان فضلُ المال فيكم فأفضِلُوا**
**وإنْ نزلت إحدى الدّواهي بقومِكُم**
**فأنفسَكم دون العشيرة فاجعلُوا**
**وإنْ طلبُوا عُرفاً فلا تحرموهُمُ**
**وما حمّلُوكم في المُلمّات فاحمِلُوا**

يشفُّ هذا الموقفُ الإنسانيُّ الرّفيعُ عن مُثُلٍ عُليَا:

سيادةُ الجماعةِ ـ سيادةُ الفردِ ـ ابنٌ من أبناءِ الجماعةِ الحرّة ـ السّيدُ، السيادةُ = ليست ترفّعًا وصلفًا وعُزلةً، وإنّما هي: عدلٌ ـ المرتكزُ النّفسيُّ لوحدة الجماعةِ.

**الفاقةُ: مَدعاةٌ للتّذلّل وعند العربيِّ ـ شاعرًا قبل كلّ شيء:**

**عفّةٌ ـ عظمةُ النّفس ـ الجماعة:**
**المال ـ وسيلةُ الحياة: القوةُ ـ قوّة الجماعة ـ معولُ يهدمُ الاستغلالَ...**
*** الدّواهي: وحدةُ الألم والمشاعر ـ موقفُ الفداء بإزاء العشيرةِ: الأمّة.**

ـ احملوا: موقفُ الولاء للجماعة ـ حمايةُ الجماعةِ فلسفةُ الحقيقةِ، فالشّاعرُ حقيقةً لا يقفُ الموقفَ البسيطَ أو الطّافي على سطوح النّفس، والشّعرُ العالمُ المتموّجُ بالمعاني الكبارِ في القليل منَ التّعبير، لا يستهدفُ ما يظنُّه أو يريدون إخضاعَه لآرائهم ـ حكمًا أو نصائحَ أخلاقيةً، وإنّما هو الإنسانُ الشّاعرُ يتّخذُ من بِنيةِ عقلِ الجماعة يُوقظُ فيه إحساسَ الخير والوحدةِ والقوّةِ.


**المصادر والمراجع:**

1ـ المزهر في علوم اللغة وأنواعها، جلال الدين السيوطي، مصر، ط4، 1958م
2ـ تاريخ الأدب العربي، عمر فروخ، دار العلم بيروت، ط2، 1969م
3ـ تاريخ الشعر العربي، محمد عبد العزيز الكفراوي، دار نهضة مصر، ط1، 1967م.
4ـ الأغاني لأبي فرج الأصفهاني، ط2، بيروت، 1955.
5ـ ديوان حافظ ابراهيم ج1، ط4، المطبعة الأميرية بالقاهرة 1948م.
6ـ ديوان زهير بن أبي سلمى، تحقيق د فخر الدين قباوة، حلب، ط1، 1970م.
7ـ مجلة المعرفة السورية، عدد فبراير ـ شباط ـ 1978م.

# مَقَـامَاتُ الزَّمَخْشَــرِي بينَ الاتِّبَاعِ والابْتِدَاعِ


يُعدُّ الزَّمَخْشَرِيّ أحدَ الأعلامِ البارزين في التُّراثِ العربيِّ؛ فقد بصَمَ اسمَه بموسوعيّتِه وإلمامِه المُتشعّبِ بمختلف العلومِ والمعارفِ، حتى نبغَ في علومٍ شتّى، وبزغَ نجمُه في حقولٍ عدّةٍ؛ كالنّحوِ والبلاغةِ والتّفسيرِ والحديثِ، وفضلًا عن هذا، نبغَ في الإبداعِ الأدبيِّ فكان شاعرًا مُفْلِقًا، وأديبًا أريبًا، له شعرٌ جيّدٌ، وهو كذلك نسيجُ وحْدِه في فنّ المقاماتِ، إنّه بتعبيرِ ابنِ خَلّكان "كان إمامَ عصره من غيرِ مدافعٍ، تُشدّ إليه الرّحالُ في فنونه».

والإمامُ الزَّمَخْشَرِيّ هو أبو القاسم محمُودِ بنُ محمّدِ بنِ عُمَر الخُوارِزْمِيُّ [467-538هـ]، وُلد بزَمَخْشَر وهي قريةٌ بخُوارِزم، ولُقّب بجارِ الله؛ لأنه أقام بمكّةَ سنينَ عددًا. وله مؤلّفاتٌ كثيرةٌ ومهمّةٌ كُتبَ لها الذّيوعُ والانتشارُ، أبرزُها: «الكشّافُ» في تفسيرِ القرآنِ الكريمِ، و«المفصّلُ» في النّحو، و«الفائقُ» في تفسيرِ الحديثِ، و"أساسُ البلاغةِ" في اللّغة، وغيرُها...ويهدفُ هذا المقالُ إلى التّوقّفِ عند مقاماتِ هذا الإمامِ الفذّ.





د. كريم الطيبي
المملكة المغربية

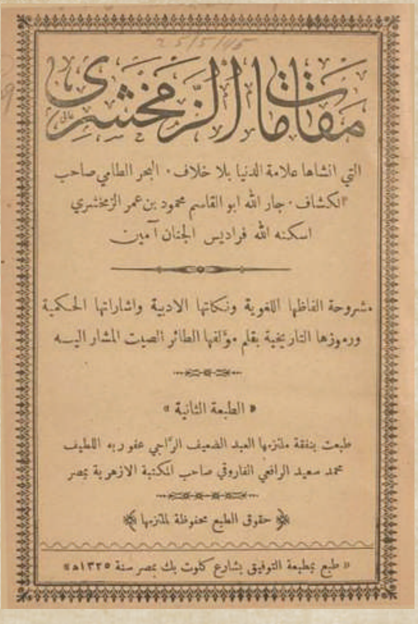

للتّعرّفِ إلى خصائصِها ومميّزاتِها، وإثارة إشكاليّةِ الاتّباعِ والابتداعِ فيها؛ حيث أثارت هذه النّصوصُ التي خطَّها الزَّمَخْشَرِيّ إشكالًا على مستوى التّجنيسِ، فقد ذكر فريقٌ منَ الباحثين أنّها امتدادٌ لمقاماتِ الهَمَذَانيّ والحريريِّ، في حين ذهبَ آخرون إلى عدِّها خُطبًا وعظيّةً لا تَمتُّ للمقامات بصلةٍ، انطلاقًا من هذا سنحاولُ الإجابةَ على ما يأتي: ما الهُويّةُ الفنّيةُ للمَقامة كما تأصلّت على يد الهَمَذَانيّ؟ وما تجنيسُ النّصوصِ التي كتبَها الإمامُ جارُ الله وعنْوَنَها بالمقاماتِ؟ وما أوجهُ التّقليدِ والتّجديدِ فيها؟

## المَقامةُ: الهُويّةُ البِنيويّةُ

تُعدُّ المَقامةُ نوعًا منَ الأنواعِ السّرديّةِ العربيّةِ الأصيلةِ التي نحتَت لنفسِها مكانةً وموطئَ قدمٍ راسخًا في التّراثِ الأدبيِّ؛ حيث استطاعتْ أن تنتزعَ اهتمامَ المتلقّين واعترافَهم واستحسانَهم على الرّغمِ منَ الإعراضِ الذي قُوبلَ به السّردُ العربيُّ القديمُ عمومًا، فـ«طبّقَ استعمالُها آفاقَ الأرض»، و"غزتْ كلَّ البلدان التي تبنّتِ العربيّةَ"، و"عكفَ الطّلابُ والأدباءُ في جميعِ الأقاليمِ العربيّةِ يتدارسُونَها ويحفظُونَها ويرتّلُونَها على نحوِ ما تُرتَّلُ الأناشيدُ الدّينيّةُ". وقد أسهمت جملةٌ منَ المقوّمات

والخصائصِ في تبْويِبِ النّصوص المَقاميّةِ هذه المنزلةَ، لعلَّ أبرزَها البناءُ الأسلوبيُّ الرّفيعُ، والمُعجمُ اللّغويُّ البديعُ، بالإضافةِ إلى خصوصيّتِها التّكوينيّةِ التي تمتازُ بقدرتِها على امتصاصِ مختلفِ أشكالِ القولِ وأصنافِه، واستيعابِ مختلفِ أنواعِ الخطابِ وأنماطِه، وإلى جانبِ هذه المقوّماتِ الفنّيةِ والأسلوبيّةِ، أسهمتِ الخصائصُ المضمونيّةُ والتّعبيريّةُ في إضفاءِ البُعد الجماليِّ لهذا الفنّ، فقد شكّلتِ المَقامة نصًّا سرديًّا يقومُ على مجموعةٍ منَ العناصر كالتّشويقِ والوصفِ الدّراميِّ والإثـارةِ التي تنبعُ منَ «الكدية» بوصفِها البؤرةَ المحوريّةَ التي تدور حولَها المقاماتُ، هذه الخصائص كلُّها جعلتِ المقامةَ تحظَى باهتمامٍ منقطعِ النّظيرِ.

رغمَ اختلافِ النُّقّاد في تحديدِ الإرهاصاتِ الأولَى للمَقامة وتحديدِ أوّلِ من كَتَبَ في هذا الفنّ، إلّا أنّ أغلبَ الآراءِ النّقديّةِ تتّفقُ على أنّ بديعَ الزّمانِ الهَمَذانيَّ


مقامات الزمخشري

التي انشاها علامة الدنيا بلا خلاف · البحر الطامي صاحب الكشاف · جار الله ابو القاسم محمود بن عمر الزمخشري اسكنه الله فراديس الجنان آمين

مشروحة الفاظها اللغوية ونكاتها الادبية واشاراتها الحكمية ورموزها التاريخية بقلم مؤلفها الطائر الصيت المشار اليـه

« الطبعة الثانية »

طبعت بنفقة ملتزمها العبد الضعيف الراجي عفو ربه اللطيف محمد سعيد الرافعي الفاروقي صاحب المكتبة الازهرية بمصر

حقوق الطبع محفوظة لملتزمها

« طبع بمطبعة التوفيق بشارع كلوت بك بمصر سنة ١٣٢٥هـ »

«أوّلُ من أعطى كلمةَ مَقامةٍ معناها الاصطلاحيّ بين الأدباءِ، إذ عبّرَ بها عن مَقاماته المعروفةِ، وهي جميعُها تصوّرُ أحاديثَ تُلقَى في جماعات(1)»، ثم أتى بعده الحَريريُّ ليُطوّرَ صناعةَ المَقامات، ويعتني برونقِها، ويُضفي عليها موهبتَه ونبوغَه، وقد عبّر القَلْقَشَنْديُّ عن أثرِ الحريريِّ في مسيرِ تطوُّرِ المَقامة قائلًا: «إنَّ أوّلَ من فتح بابَ عملِ المَقامات علّامةُ الدّهرِ وإمامُ الأدبِ البديعُ الهَمَذَانيُّ فعملَ مَقاماتِه المشهورةَ المنسوبةَ إليه وهي في غاية البلاغةِ وعلُوّ الرّتبةِ في الصَّنعةِ، ثمّ تلاه الإمامُ أبو محمّد الحَريريُّ فعملَ مقاماتِه الخمسينَ المشهورةَ فجاءت نهايةً في الحسن وأتتْ على الجُزء الوافر منَ الحظّ وأقبل عليها الخاصُّ والعامُّ حتى أنْست مقاماتِ البديعِ وصيّرتْها كالمرفوضةِ»(2). ويعترفُ الحريريُّ نفسُه بريادة الهَمَذَانيّ لهذا الفنّ وحيازةِ قصَبِ السّبْق فيه، ونجدُ هذا الاعترافَ في مقدّمةِ مقاماتِه؛ فقد ذكرَ ما يأتي: «وبعدُ، فإنّه قد جرَى ببعض أنديةِ الأدبِ،



الذي ركدتْ في هذا العصر ريحُه وخبتْ مصابيحُه ذكرُ المقاماتِ التي ابتدعَها بديعُ الزّمان، وعلّامة همَذانَ، رحمه الله تعالى، وعزا إلى أبي الفتح الإسكندريِّ نشأتَها، وإلى عيسى بنِ هشام روايتَها، وكلاهُما مجهولٌ لا يُعرفُ، ونكرةٌ لا تُتعرّفُ، فأشار مَن إشارتُه حُكمٌ، وطاعته غُنمٌ (3)». غيرَ أنّ كثيرًا منَ النُّقّاد يُرجعُ الإرهاصاتِ الأُولى لبزوغ فنِّ المَقامة إلى ابنِ دُرَيد (ت 321) في أحاديثِه، مُتّخذِين قولَ أبي إسحاقَ الحُصْريّ حجّةً على ذلك: «ولما رأى أبا بكر محمّدُ بنُ الحسين بنِ دريد الأزديُّ أغربَ بأربعين حَديثًا، وذكر أنّه استنبَطَها من ينابيعِ صدْرِه، واستنخَبَها من معادنِ فكْرِه، وأبداها للأبصارِ والبصائرِ، وأهْداها للأفكارِ والضّمائرِ، في معارضَ أعجميّةٍ، وألفاظٍ حوشيّةٍ، فجاء أكثرُ ما أظهرَ تنبو عن قَبولِه الطّباعُ، ولا ترفعُ له حجبَها الأسماعُ، وتوسّعَ فيها، إذ صرف ألفاظَها ومعانيَها، في وجوهٍ مختلفةٍ، وضروبٍ متصرّفةٍ، عارضَها بأربعمائة مَقامة في الكدية (4)». فهذا الرأي يؤكّد أنَّ الهَمَذانيَّ استلهم مقاماتِه من أحاديثِ ابنِ دُريد.

**يُرجِع الكثير من النّقّاد الإرهاصات الأولى لبزوغ فنّ المقامة إلى ابن دريد ( 321 هـ)**

والمقاماتُ كما عرَّفها القَلْقَشَنْدِيُّ هي: «جمعُ مقامةٍ وهي اسمٌ للمجلسِ أوِ الجماعةِ منَ الناس، وسُمّيتِ الأحدوثةُ منَ الكلام مَقامةً؛ لأنّها تُذكرُ في مجلس واحدٍ يجتمعُ فيه الجماعةُ لسماعِها»(5)، فمصطلحُ مقامةٍ اشتُقَّ منَ الفعل «قام»، وهو اسمُ مكانٍ، وانتقل ليدلَّ على كلِّ حديثٍ يُذكرُ في المجلس من كلامٍ أو خُطبةٍ، ثم تطوّرَ مدلولُ هذا اللّفظ حتى صارَ مصطلحًا خاصًّا يُطلقُ على حكايةٍ، وأحيانًا على أقصُوصةٍ لها أبطالٌ معيَّنونَ، وخصائصُ أدبيّةٌ ثابتةٌ، ومقوّماتٌ فنّيّةٌ معروفةٌ(6)، وإذا كان المدلولُ اللّغويُّ يشيرُ إلى الفضاء المكانيِّ الذي يجري فيه تبادلُ الكلامِ، فإنّ المدلولَ الاصطلاحيَّ يحيلُ إلى نصٍّ سرديٍّ له مكوّناتٌ ثابتةٌ، ونقفُ على سرديّةِ المَقامةِ في جُماعٍ منَ التّعريفاتِ الاصطلاحية، فشوقي ضيفُ يعرّفها بأنَّها «نوعٌ منَ القصص القصيرةِ تحفلُ بالحركةِ التّمثيليّة»(7)، وكذلك ذهبَ زكي مبارك إلى عدِّ مقاماتِ بديعِ الزّمان الهَمَذانيّ «نماذجَ منَ القصّة القصيرة، ففيها العُقدةُ وتحليلُ الشّخصيات»(8)، والشأنُ نفسُه مع أحمد أمين مصطفى، حيث ذهب إلى أنّ مقاماتِ بديعِ الزمان «قصصٌ قصيرةٌ فيها تصويرٌ عاطفيٌّ لبعض مظاهرِ الحياة، وفيها الشّخصياتُ التي تؤدّي أدوارَها أداءً واقعيًّا أو متوقَّعًا، وتتحرّكُ وتحاورُ، وفيها العُقدةُ والحلُّ»(9).

تشيرُ هذه التّحديداتُ، إذًا، إلى سرديّةِ المَقامة؛ ففي النّصِّ المَقاميِّ جملةٌ منَ السّمات السّرديّةِ التي أطّرتها التّصوّراتُ النّقديّةُ البِنيويّةُ النّسَقيّةُ.



يتّضحُ ممّا سبق، أنّ المقامةَ نصٌّ تخييليٌّ يقومُ على بلاغةِ الإمتاعِ، فهي نصٌّ سرديٌّ يمتلكُ مقوّماتِ القصّة، يتناولُ موضوعَ الكُدْيَةِ التي يضطلعُ بتحقيقها البطلُ المُكْدِي، كما تحضرُ عدّةُ عناصرَ سرديّةٍ كالرّاوي الذي يضطلعُ بروايةِ الأحداثِ، والشّخصيّاتِ الثّانويّةِ إلى جانب الرّاوي والبطلِ، والفضاءِ والوصفِ والحوارِ والعُقدة...إلخ، وهذه العناصرُ السّرديّةُ تنسربُ في منظومةٍ أسلوبيّةٍ تستلهمُ بلاغةَ المحسّنات، وتُشكّل الكُديةُ عمودَ السّردِ في الخطاب المقاميِّ، فهي خصّيصةٌ جوهريّةٌ تُميّزُ هذا النّوعَ السّرديَّ عن باقي الأنواعِ السّرديّةِ الأخرى، ولا شكَّ أنّ الكديةَ في معناها المُتداوَلِ يُشير إلى أسلوبٍ ينتهجُه البطلُ المُكدّي يقومُ على الاستجداءِ والتّسوّلِ والخداعِ للظّفرِ بالمال أوِ المكافأةِ أوِ المأكلِ أوِ المبيت...إلخ. فهلِ التزمتْ مقاماتُ الزَّمَخْشَرِيّ بهذه الخصائصِ الفنيّةِ والشّكليّةِ في مقاماته؟

**المقامةُ نصٌّ تخييليٌّ يقومُ على بلاغةِ الإمتاعِ**

## الزَّمَخْشَرِيّ والكِتَابَةُ خارجَ النَّسَق:

تعرّفنا إلى الخصائص التّكوينيّةِ والأعرافِ الشّكليّةِ التي تقوم عليها المَقامةُ كما تأصّلت على يد مؤسّسِها الهَمَذانيِّ وبلْوَرَها تلميذُه الحَريريُّ حتى غدت تلك المقوّماتُ قواعدَ لنوعٍ أدبيٍّ قائم بذاته، غيرَ أنّ دراسةً مقارَنةً بين مقاماتِهما ومقاماتِ الزَّمَخْشَرِيّ تُفضي إلى نتيجةٍ مُفادُها أنّ ما صاغَه هذا الأخيرُ ينزاحُ عن تلك القواعدِ السّابقة؛ فتلك النّصوصُ تتّخذُ صيغًا ومعاييرَ ومقوّماتٍ تبتعدُ بشكلٍ كبيرٍ عمّا أُلفناه في مقاماتِ الهَمَذانيِّ والحريريِّ، لقدِ ابتدعَ نصوصًا مقاميّةً مناوئةً تقوم على خصائصَ مختلفةٍ، وهو ما جعل بعضَ النُّقّاد يذهبون إلى أنّ ما كتبَه الإمامُ جارُ الله ليس مقاماتٍ؛ فعبدُ الملك مرتاض يرى أنّها "أشبهُ ما تكونُ بالأحاديث الهادئةِ، والرّسائل المنمّقةِ التي تعالجُ مجرّداتٍ منَ الأمور، خلت منَ الحوار الحيِّ... فهذه الخِطّةُ، أي خطّةُ الزَّمَخْشَرِيّ، في كتابِه، بقدر ما تبتعدُ عنِ الفنّ القصَصيّ، بقدر ما تقتربُ من فنّ الرّسائل»(10). لقد جنّسَ الباحثُ مقاماتِ الزَّمَخْشَرِيّ ضمنَ فنِّ الرّسالةِ، على الرّغم من غيابِ القواعدِ الفنّيةِ والشّكليّةِ لفنّ التّرسّلِ في كتاب الزَّمَخْشَرِيّ، والواضحُ أنّ الأسلوبَ الوعظيَّ الذي يَنبري للحِجاج والتّأثيرِ في المتلقّي هو المؤشّرُ الوحيدُ الذي بنَى عليه رأيَه، وإلّا فإنّ ثمّةَ مُؤشّراتٍ عديدةً تكشفُ لنا أنَّ نصوصَ الزَّمَخْشَرِيّ لا يمكنُ أن تدخلَ في باب الرسالة. وإذا كان مرتاضٌ قد نفى انتماءَ إبداعِ جارِ الله لفنّ



المقامةِ وصنّفَها ضمن أدبِ الرسالة، فإنّ شوقي ضيف يذهبُ إلى نفيِ الكتابة في جنس المَقامة عنِ الزَّمَخْشَرِيِّ دون أن يقوم بتجنيسِها في إطارٍ نوعيٍّ معيّنٍ خلا وصفَها بالنّمط المُهيمن فيها وهو الخطابُ الوعظيُّ، حيث يرى أنّ الزَّمَخْشَرِيّ لم يَرمِ إلى أن يقلّدَ الحريريَّ بل استوحى منه الاسمَ فقط ليجعلَه أمارةً على جملةٍ منَ النّصوص في الوعظ، يقولُ: «نجدُ الزَّمَخْشَرِيَّ يؤلّفُ مقاماتٍ تدورُ كلّها على الوعظ... ويبدو أنه لم يكن في ذهنه أن يقلّدَ مقاماتِ الحريريِّ... وكلّ ما في المسألة أنّه استعار منه الاسمَ ليُطلقَه على مجموعة منَ المواعظ»(11).

ويذهبُ النّاقدُ عبدُ الفتّاح كيليطو إلى الرأي نفسِه، لكنه هو الآخر تحاشى تجنيسَ هذه النّصوصِ، وحجّتُه في عدم اندراجِ ما كتبَه الزَّمَخْشَرِيُّ ضمْنَ أدبِ المقاماتِ، هو غيابُ القواعدِ الأجناسيّةِ التي وضعَ أصولَها الهَمَذَانيُّ والحريريُّ، والتي لخّصَها في مكوّن السّندِ؛ فالمقاماتُ تقومُ على راوٍ يضطلعُ برواية الأحداثِ وبطلٍ وشخصيّاتٍ يُنجزون الأفعالَ، ومكوّن السَّفر؛ فالبطلُ في المقامات كثيرُ التّرحال والجولان، ومكوّنُ النّموذج الإنسانيّ الذي يمثّله نموذجان أديبٌ ومُكديٌّ، ومكوّنُ الحكايةِ التي تقوم على التنكّر أي تستّر المُكدي وراء قناعٍ، ثم التعرّفُ أي كَشفِ حقيقة البطلِ، ثمّ مكوّنِ الأسلوبِ البليغِ، فالمقاماتُ تستثمرُ الأسلوبَ الرّفيعَ وتمزجُ بين الشِّعر والنّثر، كما تَغرقُ في توظيف المحسّناتِ البديعيّةِ، بعد استقراءِ هذه القواعدِ المشكّلةِ للمَقامة يصلُ كيليطُو إلى نتيجةٍ مُفادها أنّ "هذه المقاماتِ لا تكادُ تمُتُّ بصِلةٍ إلى ما نعرفُه عند الهَمَذَانيِّ والحريريّ»(12). وقد عملَ على تفسير احتفاظِ الزَّمَخْشَرِيِّ بمصطلحِ «مَقامات» عنوانًا لكتابه قائلًا: «ومع ذلك فلقدِ احتفظ باسمِ المَقامة إذ منَ المعروف أنّ كلمةَ مقامةٍ كانت تدلُّ، قبل أن ترتبطَ باسمِ الهَمَذَانيِّ، على الخُطبِ الوعظيّةِ التي تُلقَى في المساجد والمجاميع»(13).

**المـقـامـاتُ تستثمرُ الأسلوبَ الرّفيـعَ وتمـزجُ بين الشِّعر والنّثر**

إنّ هذه الآراءَ النّقديّةَ تأتلفُ في أنّها تُصادرُ حقَّ اندراجِ نصوصِ الزَّمَخْشَرِيِّ ضمْنَ فنّ المقاماتِ، فعلى الرّغم من أنّ صاحبَها انتقَى منَ العُنوانات عنوانَ «مَقامات» ووسَمَ به كتابَه دونَ غيرِه منَ الاختيارات التي لا يمكنُ



أن تخفَى على إمامٍ في البلاغة واللّغة، وقسّمَها إلى نصوصٍ وكلُّ نصٍّ له عنوانُه، وحصرَها في خمسين [50] مقامةً، وهذا رقمٌ ليس اعتباطيًّا، فهو نفسُ عددِ مقاماتِ الحريريِّ، ويقتربُ من عدد مقاماتِ الهَمَذَانيِّ التي وصلتْنا [52 مقامة]، وتأثُّرُ الزَّمَخْشَرِيِّ بالحريريِّ يكشفُه البيتانِ اللّذانِ نظمَهما في تقريظ مقاماتِه:

**أُقسمُ باللّه وآياتـــه ❋ ومَشْعَرِ الحج وميقاتِه**
**إنّ الحريريَّ حـريٌّ ❋ أن تُكتب بالتِّبر مقاماتُه**

كلُّ هذه المؤشّرات لم تُقنعِ الباحثين بأنّ هذه النّصوصَ مقاماتٌ، وما يمكنُ أن نفهمَه، أنّ هذا الحكمَ يُبطنُ نظرةً جامدةً للأنواع الأدبيّةِ، فهي -في نظرِهم - ثابتةٌ لا تتغيّرُ ولا يشملُها تطوّرٌ وتعديلٌ، وهذا غيرُ صحيح؛ لأنّ الأنواعَ الأدبيّةَ، على مرِّ التّاريخ، كانت تستجيبُ لحاجات المُبدع، وتتفاعلُ مع طبيعة العصْرِ، ولم تكن خاضعةً لمنطقِ السُّكون، ألم يتخلَّ مجموعةٌ منَ الشّعراء العبّاسيّين عنِ المقدّمة الطّلليّةِ الغزليّةِ؟

## مقامةُ الزَّمَخْشَرِيِّ: التّجنيسُ والخصُوصيّةُ

إنّ استنطاقَ جملةٍ منَ المؤشّرات، التي أشرنا إليها سابقًا، جعلتَنا نقرُّ أنّ نصوصَ الزَّمَخْشَرِيّ هي مقاماتٌ، والإمامُ جارُ الله كان واعيًّا بأنّه ينخرطُ في كتابة نوعٍ أدبيٍّ قائمِ الذّات، له قواعدُه وملامحُه، ويكشفُ هذا قولُه في خُطبةِ الكتابِ: «هذه مقاماتٌ أنشأَها الإمامُ فخرُ خُوارزمَ أبو القاسم محمودُ بنُ عمر الزَّمَخْشَرِيُّ» (14).

ويقول أيضًا في ملفوظٍ آخر: «انتُدبَ للرجوع إلى رئاسِ عملِه في إنشاء المقاماتِ حتى تمّمَها خمسينَ مقامةً» (15). واضحٌ، إذًا، أنّ الزَّمَخْشَرِيَّ يُصرّحُ بوعيٍ أنه كتبَ مقاماتٍ، وليس رسائلَ وخطبًا كما ذهب إلى ذلك بعضُ النُّقّاد. وإذا كانتِ المقامةُ بوصفِها نوعًا أدبيًّا مؤصَّلا يستوجبُ جملةً منَ القواعد، فإنّ الملاحظَ أنّ الزَّمَخْشَرِيَّ أضفى لمساتِه وذاتيّتِه على هذا النّوعِ الأدبيّ، ولم يمتثلْ لقواعدِه وأعرافِه، بل جدّدَ وابتدعَ في صياغة مقاماتٍ لها خصوصيّتُها البِنيويّةُ والتّكوينيّةُ التي تختلفُ عمّا تركه الهَمَذَانيُّ والحريريُّ؛ إذ تغيبُ جُماعٌ منَ المكوّنات الثّابتةِ في تلكَ المقاماتِ عن نصوصِ صاحبِ الكشّاف مثل: الرّاوي، والبطلِ، والكُديةِ، والشّخصيّاتِ، والسّردِ الدّراميِّ، والهزلِ...إلخ، ولعلّ هذا يجعلُنا نستنتجُ أنّ الزَّمَخْشَرِيَّ «لم يَسِرْ في مقاماتِه على نهج الهَمَذَانيِّ والحريريِّ، ولم يستخدمْ طريقتَهما، وإنما هو في المَقامة نسيجُ وحْدِه، فلا نجدُ في مقاماتِه هزْلًا كما نجدُ عند سابقَيْه، وإنما نجدُ الجِدَّ كلَّ الجِدِّ» (16).

**كان الزّمخشري واعيًا بأنّه ينخرطُ في كتابة نوعٍ أدبيٍّ قائمِ الذّات، له قواعدُه وملامحُه**

لقدِ احتفظَ الزَّمَخْشَرِيُّ بفنِّ المقامةِ، لكنّه جدّدَ في البناءِ الفنّيِّ والتّكوينيِّ لهذا الفنّ، ونفخَ فيه من رُوحِه، وأسبغَ عليه ذاتيتَه، وأضفى عليه جملةً منَ المقوّماتِ الفنّيةِ والعناصرِ الأسلوبيةِ التي تنسجمُ مع معتقداتِه الدينيّةِ من جهة، وتعبّرُ عن فيض أحوالِه الصّوفيّةِ من جهة أخرى. فما تجنيسُ النّصوصِ التي كتبَها الزَّمَخْشَرِيُّ؟

في نظرنا، ما كتبَه الزَّمَخْشَرِيُّ هو امتدادٌ لما كتبَه الهَمَذَانيُّ والحريريُّ، أي مقامات، غيرَ أنّها تنتمي لنمطٍ مخصوصٍ من تلك المقاماتِ وهو [المقامةُ الوصيّةُ]، ومدارُ هذا النّمط على تقديم النّصحِ والوعظِ والإرشـادِ؛ حيث تردُ الوصيّةُ من متكلّمٍ اختمرت تجربتُه ونضجت خبرتُه، يتوجّهُ بها إلى مخاطَبٍ متضمّنةً جُماعًا منَ الأوامر والنّواهي، وهذا النّمطُ نجدُ له حضورًا في مقاماتِ الهَمَذَانيِّ والحريريِّ،

إذْ ثمّةَ نصوصٌ مقاميّةٌ تنتمي لنمطِ [المقامةِ الوصيّة]، كـ«المقامةِ الوصيّةِ» للهَمَذَانيِّ، و«المقامةِ السّاسانيّةِ» للحريريِّ، وفي كلا المَقامتَين نجدُ نمطَ الوصيّةِ حاضرًا، المتكلّمُ فيهما هو أبٌ اجتمعت فيه شروطُ التّوصيةِ كالخبرةِ والتجربةِ، أمّا المخاطَبُ فهو الابنُ المتّسمُ بالغرارةِ وقلّةِ التّجربة، ونلمسُ تصريحًا واضحًا في مقدّمة المقامتَين؛ فالأولى عبّر فيها الراوي عن نمطِها بقوله: «حَدَثَّنَا عيسى بنُ هشام قَالَ: لمَّا جَهَّزَ أَبُو الفَتْحِ الإِسْكَنْدَرِيُّ وَلَدَهُ لِلْتِّجَارَةِ أَقْعَدَهُ يوصِّيهِ»(17). أما الثّانيةُ فقد أفصحَ الرّاوي كذلك في قوله: «حكى الحارثُ بنُ همّام قال:
بلَغني أنّ أبا زيدٍ حينَ ناهزَ القَبْضَةَ،
وابتَزّهُ قيدُ الهرَمِ النّهْضَةَ، أحضرَ ابنَهُ،
بعْدَما اسْتَجاشَ ذِهنَهُ، وقال لهُ: يا بُنيّ
إنهُ قد دنَا ارتحالي منَ الفِناء...
وأنتَ بحمْدِ اللهِ وليُّ عهْدي...
وإني أُوصيكَ بما لمْ يوصِ بهِ
شيثُ الأنْباطَ، ولا يعْقوبُ الأسْباطَ،
فاحفَظْ وصيّتي...»(18). ويتضمّنُ هذا النّمطُ منَ المقامات جماعًا منَ التّوجيهات والإرشادات التي يبثُّها المُوصي الأب الحكيمُ في شكلِ أوامرَ ونواهٍ، مشفوعةٍ بالحُجج حتى يفلحَ في إيصالِها وتثبيتِها لدى ابنِه، غيرَ أنّ حضورَ هذه الخصائصِ لم يُلغِ المكوّناتِ الثّابتةَ في المقامةِ المُشارِ إليها سابقًا، وهنا مكمنُ الاتّباع في مقاماتِ الزَّمَخْشَرِيِّ، فقد اتّبعَ الشّكلَ الفنّيَّ وتأسّى الصّورَ التي أنشأها الهَمَذَانيُّ، دون أن يهيمَ على وجهه ويتبنَّى ما تُمرّرُه المقاماتُ من قيمٍ سلبيةٍ وأخلاقٍ رذيلةٍ لا تتوافقُ مع مبادئ الدّينِ الإسلاميِّ؛ ففي مقاماتِ الهَمَذَانيِّ والحريريِّ تردُ العديدُ منَ الوصايا التي «تدعُو إلى الأخلاقِ الدّنيئةِ والتّحايلِ على النّاس تمشّيًا مع مبادئِ المُكدّين التي تدعُو إلى جعْلِ المال هدفًا وغايةً»(19). لقدِ ابتدعَ الزَّمَخْشَرِيُّ نمطًا فنّيًا جديدًا يُتيحُ له الإفضاءَ والبثَّ وحريةَ التّعبير وفي الآنَ نفسِه، لا يتعارضُ مع مبادئِه وأخلاقياتِه، إنّ المقامةَ الوصيّةَ هي نمطٌ يندرجُ ضمنَ جنسِ المَقامة، وينبنِي على جملةٍ منَ العناصر:

**المُوصِي/المتكلم: الأبُ الحكيمُ**
**المُوصَى له/ المخاطَب: الابنُ الغِرُّ**

الوصيّةُ/ الخطابُ: الدّعوةُ إلى إنجاز جملةٍ منَ الأوامر وتجسيدِها فعلًا لا قولًا.

> **جـمـعـت مقامات الزّمخشريّ بيـن التّبـاع والابـتـداع**

ونلفِي حضورًا لهذه العناصر في مقاماتِ الزَّمَخْشَرِيِّ، غيرَ أنّ المقامةَ الوصيّةَ عند الهَمَذَانيِّ والحريريِّ كانت تدعُو الابنَ إلى خوض غمارِ التّكدّي والخداعِ والاحتيالِ، كاشفَيْن أسرارَ هذه المهنةِ ومفاتيحِها وأصولِها وقوانينِها، على خلاف مقاماتِ الزَّمَخْشَرِيِّ التي تتّخذُ المقامةَ الوصيّةَ شكلًا فنّيًا ليظهرَ في صورة الحكيم الذي يشحذُ الهممَ، ويوقظُ النّفوسَ منَ الغفلة، ويحضُّ على التّمسّك بالطريق القويم، واتّباع الهُدى، واجتنابِ الموبقات. إن الزَّمَخْشَرِيَّ «ينزّل نفسَه منزلة الأبِ المربّي، فيوجّهُ خطابَه إلى «القارئ» بوصفِه ابنًا له، ولذلك يحرصُ على تعليمِه وزجْرِه، وفي كلّ فكرةٍ يقدّمُها، نقعُ على جدّيةٍ مفارقةٍ ومكاشفةٍ مذهلة، فالكنز الذي يمنحُه الزَّمَخْشَرِيُّ ثمينٌ حقًّا، إنه نتاجُ خبراتٍ وتجاربَ حياتيةٍ عميقة»(20). وهكذا تجسّدتِ البِنيةُ التّكوينيّةُ في مقاماتِ الزَّمَخْشَرِيِّ، وجمعتْ بين الاتّباعِ والابتداع، اتّباعِ سُننِ التّعبيرِ كما جرت في مقاماتِ الحريريِّ، وابتداعِ محتوًى تعبيريٍّ مناوئٍ يعبّرُ عن روحٍ أخلاقيةٍ إسلاميةٍ. وتنطبقُ هذه الملاحظةُ كذلك على جملةٍ منَ الخصائص

الشّكليّةِ في مقامات الزَّمَخْشَرِيِّ، التي ابتدعَها وخالفَ فيها السّلفَ، ففي مقاماتٍ نجدُ الرّاوي هو نفسُه الكاتبُ وهو المرويُّ له، يقول الزَّمَخْشَرِيُّ: "في إنشاء المقاماتِ حتى تمّمَها خمسين مقامةً يعظُ فيها نفسَه، وينهاها أن تركَنَ إلى دَيدنِها الأوّلِ...»(21).

وثمّةَ رابطٌ قويٌّ بين التّصوّفِ ومقاماتِ الزَّمَخْشَرِيِّ، ونرى أنّ العنوانَ بقدْرِ ما يُحيلُ إلى النّصوص الأدبيّةِ التي كتبَها الهَمَذَانيُّ والحريريُّ، يُحيلُ أيضًا إلى المقاماتِ الصّوفيةِ أي الأحوالِ التّعبّديةِ التي ينغمسُ فيها الصّوفيّ لحظةَ انخراطِه في التّجربة الصّوفيةِ، يقول الطُّوسيّ: «فإن قيل: ما معنى المقاماتِ؟ ما معنى المقاماتِ؟ يقال: معناه مقامُ العبدِ بين يدي الله عز وجل، فيما يُقامُ فيه منَ العباداتِ والمجاهَداتِ والرّياضاتِ والانقطاعِ إلى الله عزّ وجل... والمقاماتُ مثلُ التّوبةِ والورعِ والزّهدِ والفقرِ والصّبرِ والرّضا والتّوكلِ وغيرِ ذلك (22)». وتحضرُ الفكرةُ الصّوفيّةُ في مقاماتِ الزَّمَخْشَرِيِّ من خلال الدّافعِ الذي دفع به لإنشاء هذه المقامات، والذي ذكره في خُطبة الكتاب: «والذي ندبَه في إنشائها أنه أُري في بعض إغفاءات الفجرِ كأنّما صَوّت به من يقول له: يا أبا القاسم أجلٌ مكتوبٌ، وأملٌ مكذوبٌ»(23). وتُحيلُ هذه العبارةُ إلى فكرةِ «الإذنِ الإلهي» وهي فكرةٌ صوفيّةٌ بالأساسِ، تكشفُ على أنّ ما يكتبُه الصوفيُّ هو من عند الله عزّ وجلّ وليس بدافعٍ ذاتيٍّ منه، ومن خلالها يُعْلِنُ الزَّمَخْشَرِيُّ انتماءَه إلى «الخّاصَّةِ» ويُقدّمُ نفسَه بوصفِه مُربّيًا عارفًا صاحبَ حقيقةٍ، مُكتسبًا هذه المكانةَ ممّا خصَّه الله تعالى من إذْنٍ في الحديثِ، ومقامٍ في القربِ؛ فـ«مقولةُ الإذن الإلهيّ وهي مقولةٌ صوفيّةٌ تُعْتَمد عند المُتصوّفةِ حدًّا فاصلًا بين ما يكتبُه الأولياء بإذنٍ منَ الله وتأييدٍ منه، وما يكتبُه غيرُهم منَ النَّاس بدافعٍ ذاتيٍّ» (24). ومن ثَمَّ، فإنّ اصطفاءَه دون سائرِ الخلْقِ وقذْفَ المعرفةِ الإشراقيةِ (25) في قلبه يُكسِبُ صورتَه إجلالًا وتعظيمًا وتقديرًا وتفخيمًا، يتجاوزُ بها رُتبتَه بوصفه عالمًا وأديبًا ذا ثقافةٍ موسوعيةٍ ويتقلّدُ



رتبةً أرفعَ وأسنَى وهي رتبةُ العارفِ، وانطلاقًا من هذا الموقعِ الَّذي اكتسبَ المتكلِّمُ سلطتَه، سيُجيز لنفسِه القيامَ بمهمَّةِ النُّصحِ والإرشادِ والتَّوجيهِ والتَّرغيبِ والتَّرهيبِ، كما أنَّهُ سيَنبري لمواجهَةِ المخاطَبِ المُنكرِ والجاحدِ بالحُجج والأدلَّةِ بهدف إقناعِه بالتَّوبة واعتناقِ التّجربةِ الإيمانيةِ الصّادقةِ. وإضافةً إلى هذا المحدِّدِ الذي يكشفُ البعدَ الصوفيَّ في مقاماتِ الزَّمَخْشَرِيِّ، تُحيلُ عُنواناتُ المقاماتِ إلى البعدِ نفسِه، ويكفي التَّأمّلُ فيما يأتي: مقامةُ الزُّهد، مقامةُ النّدم، مقامةُ الصّلاحِ، مقامةُ الإخلاصِ، مقامةُ التّهجُّدِ، مقامةُ العزلةِ، مقامةُ القناعةِ...إلخ.

## خاتمةٌ

سعى المقالُ إلى إلقاءِ الضّوء على مقاماتِ الزَّمَخْشَرِيِّ، من خلال رصْدِ معالمِ الاتّباعِ والابتداعِ فيها، وكشفِ معالمِ التّقليد ومعالمِ التّجديدِ، وقد تأتّى هذا عبْرَ استخلاصِ الهويةِ الشّكليّةِ والتّعبيريّةِ لفنّ المقامات كما أصّلَ له الهَمَذَانيُّ وبلْوَره الحريريُّ، وبجردِ المقوّماتِ الفنّيةِ والنّوعيةِ للمقامةِ، ألفيْنَا تميّزًا وفرادةً في النّصوص التي كتبَها الزَّمَخْشَرِيُّ تحت مسمّى "مَقامات"؛ فهي تختلفُ اختلافًا واضحًا عمّا ترسّبَ في أذهانِنا حول نوعٍ أدبيٍّ أصيلٍ في التّراثِ العربيِّ، هذا الاختلافُ دفعَ عديدًا منَ النُّقّاد إلى نفيِ صفةِ المَقامات عن تلك النّصوصِ؛ لأنّها لا تستجيب – في نظرهم – لخصائصِ المَقامة، بيدَ أنّنا ذهبنا إلى أنّها مقاماتٌ، وتحديدًا، تندرجُ ضمنَ نمطِ "المقامةِ الوصيّةِ" التي يَنبري فيها المتكلّمُ الأبُ لإرشاد ابنِه وتوجيهِ النّصحِ له ووعْظِه. وهذا النّمطُ الفنّيُّ كان حاضرًا، على نحوِ ما بيّنّا، في مقاماتِ الهَمَذَانيِّ والحريريِّ، وهو ما جعلَنا نرى أنّ مقاماتِ الزَّمَخْشَرِيِّ هي امتدادُ الهَمَذَانيِّ والحريريِّ، وفي الآن نفسِه، هي نصوصٌ تُجسّدُ التَّجديدَ والحركيّةَ، تجديدٌ على مستوى الشّكلِ؛ فقد استحال الكاتبُ راويًا ومَرويًّا له. واكتست مقاماتُ الزَّمَخْشَرِيِّ نفحةً صوفيّةً لا تَخْفى.

## المصادر والمراجع:


1 -المصادر:

❋ أبو القاسم الزَّمَخْشَرِيّ، المقامات: شرح مقامات الزَّمَخْشَرِيّ، تحقيق: يوسف بقاعي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط2، دون سنة.

2 - المراجع:


---

(1) شوقي ضيف، المقامة، ص:8.
(2) القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1922م، ج 14، ص: 10.
(3) أبو عباس الشُّريشي، شرح مقامات الحريري، ص: 16.
(4) أبو إسحاق الحصري القيرواني، زهر الآداب وثمر الألباب، تحقيق: علي البجاوي، دار إحياء الكتب العربية، مصر، 1953م، ج1، ص: 261.
(5) القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1922م، ج 14، ص: 10. يُنظر على سبيل المثال – لا الحصر– كتاب: "النثر الفني في القرن الرابع هجري" لزكي مبارك، ص: 198. ومقال: الإمام العزوزي، البلاغة العربية وجنس النثر، تجنيس المقامة نموذجا، مجلة الصورة– السنة الخامسة، العدد الخامس، سنة 2003م.
(6) عبد الملك مرتاض، فن المقامات في الأدب العربي، الدار التونسية للنشر، تونس، ط2، 1988م، ص: 12.
(7) الفن ومذاهبه في النثر العربي، دار المعارف، مصر، ط5، ص: 246.
(8) النثر الفني في القرن الرابع، ج1، ص: 252.
(9) فن المقامة بين البديع والحريري والسيوطي، المكتبة الأزهرية للتراث، ط1، 1991م، ص: 83.
(10) عبد الملك مرتاض، فن المقامات في الأدب العربي، الشركة الوطنية– الجزائر، ط1، 1982، ص: 248–249.
(11) شوقي ضيف، المقامة، دار المعارف، مصر، ط3، 1973م، ص: 77.
(12) الأدب والغرابة: دراسات بنيوية في الأدب العربي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط4، 2007، ص: 90.
(13)نفسه، ص: 91.

❋ ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1977م.

❋ أبو إسحاق الحصري القيرواني، زهر الآداب وثمر الألباب، تحقيق: علي البجاوي، دار إحياء الكتب العربية، مصر، 1953م.

❋ أبو العباس الشريشي، شرح مقامات الحريري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت، 1992م.

❋ أبو الفضل بديع الزمان الهَمَذانيّ، مقامات بديع الزمان الهَمَذانيّ، شرح: محمد عبده، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 2005م.

❋ أبو نصر السراج الطوسي، اللمع، تحقيق: عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور، دار الكتب الحديثة بمصر، 1960م.

- أحمد أمين مصطفى:

❋ أدب الوصايا في العصر العباسي إلى نهاية القرن الرابع للهجرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ط1، 1990م.

❋ فن المقامة بين البديع والحريري والسيوطي، المكتبة الأزهرية للتراث، ط1، 1991م، ص: 83.

❋ حاتم عبيد، التكرار وفعل الكتابة في الإشارات الإلهية لأبي حيان التوحيدي، دار كنوز المعرفة، الأردن، ط1، 2015م.

❋ شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في النثر العربي، دار المعارف، مصر، ط5.

❋شوقي ضيف، المقامة، دار المعارف، مصر، ط3، 1973م.

- عبد الفتاح كيليطو:

❋ الأدب والغرابة: دراسات بنيوية في الأدب العربي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط4، 2007م.

❋ المقامات: السرد والأنساق والثقافية، ترجمة: عبد الكبير الشرقاوي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط2، 2001م.

❋ عبد الملك مرتاض، فن المقامات في الأدب العربي، الدار التونسية للنشر، تونس، ط2، 1988م.

❋ القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1922م.

الدراسات:

❋ هيثم سرحان، الذاكرة والخطاب: مقاربات في النثر العربي الكلاسيكي، جامعة الكوفة، سلسلة دراسات فكرية، ط1، بيروت، 2020م.

❋ الإمام العزوزي، البلاغة العربية وجنس النثر، تجنيس المقامة نموذجا، مجلة الصورة- السنة الخامسة، العدد الخامس، سنة 2003م.

---

(14) مقامات الزَّمَخْشَرِيّ، ص: 17.
(15) نفسه، ص: 22.
(16) يوسف البقاعي، مقدمة تحقيق مقامات الزَّمَخْشَرِيّ، ص: 8.
(17) مقامات الهَمَذَانيّ، ص: 233.
(18) شرح مقامات الحريري، ص: 322.
(19) أحمد أمين مصطفى، أدب الوصايا في العصر العباسي إلى نهاية القرن الرابع للهجرة، ص: 109.
(20) هيثم سرحان، الذاكرة والخطاب: مقاربات في النثر العربي الكلاسيكي، جامعة الكوفة، سلسلة دراسات فكرية، ط1، بيروت، 2020م، ص: 241.
(21)مقامات الزَّمَخْشَرِيّ، ص: 22.
(22) اللمع، تحقيق: عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور، دار الكتب الحديثة بمصر، 1960م، ص: 65.
(23) مقامات الزَّمَخْشَرِيّ، ص: 17.
(24)حاتم عبيد، التكرار وفعل الكتابة في الإشارات الإلهية لأبي حيان التوحيدي، دار كنوز المعرفة، الأردن، ط1، 2015م. ص: 102.
(25) المعرفة الإشراقية: «نور يقع في القلب فيثلج له الصّدر ينفرد به الخاصة.» أُنظر: ضاري مظهر صالح، الروح الصوفي: جمالية الشيخ في زمن التيه، ج1، دار الزمان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط1، 2012م، ص: 349.

# أَغاريدُ الوَلَدِ الْحَافِي



شعر/ عبد الحميد حسن
شاعر/ السودان

مِنَ الفَتَى الَّذِي كُنْتُهُ
إِلَى الغَرِيبِ الَّذِي صِرْتُهُ

جِلْبابُ شارِعِكَ الغافِي ، أَحاجيهِ ... وَمَسْرَحُ الدِّفْءِ عِطْرُ البَوْحِ يَحْكِيهِ
وَلَذَّةُ الطَّمْيِ فِي شِرْيانِ خُضْرَتِنا ... إِذْ يُورِقُ السِّحْرُ فِي أَشْهَى مَعَانِيهِ
بُسْتانُ أَحْلامِنا العالِي وَفِتْنَتُنا ... بِالرَّكْضِ تَشْرَبُنا حُبًّا مَغَانِيهِ
دُرَّاقُ حِكْمَتِهِ الأُولَى تَساقُطُهُ ... طَعْمُ الجِهاتِ لِخَطْوٍ ثَمَّ مَشْدوهِ
وَسُلَّمٌ مِنْ خَيالٍ يَقْتَفِي قَمَرًا ... وَصَرْخَةُ اللَّيْلِ فِي أَقْصَى بَرارِيهِ
وَضِحْكَةٌ مِلْءَ جَيْبِ العُمْرِ نَتْرُكُها ... خَلْفَ النَّهارِ كَأَنْسامٍ تُبارِيهِ
وَذِكْرَياتُ غَريبٍ ظَلَّ يَحْرُسُها ... لَوْ ناوَشَتْهُ رِياحُ الوَقْتِ والتِّيهِ
وَصِبْيَةٌ أُفْعُوانُ الضَّوْءِ يُطْلِقُهُمْ ... فَيَجْتَبِيهِمْ غَمامٌ غَيْثَ وادِيهِ
كَقُبْلَةٍ فَوْقَ خَدِّ الرِّيحِ يانِعَةٍ ... بِها الْبَراءَةُ تُرْوَى دُونَ تَمْوِيهِ
وَلَهْفَةٍ فِي مَرايا الْعِشْقِ بارَكَها ... صَدى الأَناشِيدِ نَبْعُ الرُّوحِ يُنْشِيهِ
تَدَافَعُوا أَنْجُمًا فِي لَيْلِ ذاكِرَتِي ... نَهْرًا مِنَ الوَرْدِ فِي رُوحِي أُناجِيهِ



تَحَلَّقُوا حَوْلَ نَزْفي لَوْزَ عافيَةٍ وَأَمْسَكوا أُفْقَ حُبِّي مِنْ نَواحيهِ
يَمَّمْتُهُمْ وَسَمائي بَعْدُ بارِدَةٌ كَرَعْدَةِ الحُزْنِ فِي أَوْتارِ تَاليهِ
يَشُدُّني مِنْ رِئَاتي قارِبٌ صَدِئٌ بِبَحْرِ أَسْمائِهِمْ مَا جُزْتُ شاطيهِ
تَفَرَّقُوا مَطَرًا فِي حَقْلِ مُفْرَدَتِي وَشَيَّعُونِي كَنَهْرٍ ضَاعَ مَاضِيهِ
لَمْ يَتَّخِذْ فِي امْتِدَادِ الشَّوْقِ راحِلَةً لِيُرْجِعَ القَلْبُ ما خَطّتْ مَرافِيه
بَوارِجي فِي فَضاءِ الخَوْفِ طاعِنَةٌ يُجَرِّبُ الحُزْنُ نَصْلًا فِيَّ أُخْفيهِ
مَراقِدٌ لِلظِّلَالِ اسْتَوْطَنَتْ سُجُفي ومَوْقِدٌ يَرْتَدي طَيْفي وَيُفْنيهِ
تَبَيَّنَ الحُبُّ أَنِّي عائِدٌ أَسِفٌ وَأَغْفَلَ الشَّوْقُ أَنِّي راحِلٌ فِيهِ
سَواعِدٌ مِنْ بَقايا اللَّهْوِ تُفْلِتُنِي لأَرْتَمي حُلُمًا فاضَتْ سَواقِيهِ
سَكَبْتُهُ مِنْ زَوايا الغَيْمِ فِي كَبِدِي ماءَ الطُّفولَةِ لا جُرْحٌ فَيُعْمِيهِ
كَفَرْحَةٍ في أَثِيرِ الْبَدْءِ سَادِرَةٍ هي الْحَيَاةُ بِلا حُزْنٍ وَتَشْوِيهِ
أَقْتاتُ مِنْهَا عَناوِيني وَتَوْقَ دَمِي وَقُبَّراتِ نَشيدٍ بَعْدُ أُبْقِيهِ

# الفُلْكُ المائس
# في خِضَمِّ العدد الخامس

وائل محمد قبيسي الشريف
أستاذ التفسير والقراءات وعلوم القرآن بالمسجد الحرام
ومدير عام إدارة تدقيق المصاحف بمكة المكرمة سابقا

هذي المجلَّة من عجب ... درٌّ نفيس من أدب
بأريجها الزّاكي البحو ... ثِ ووقْع إيقاع الخَبَبْ
نبعت بشارقة الحضا ... رة موئل العُلَمَا العرب
فالشَّيخ سلطان له ... نهج خطوط من ذهب
ومحاسن وأحاسن ... للمقتفين ذرى الرُّتَب
والرَّائد الفذُّ الأميـ ... ـنُ لمجمع اللُّغة الأحب
لم يألُ جُهدا في النصيـ ... ـح مُجَلِّيا حسن الأرب
حتَّى يعاد لدينا ... مجد الرِّيادة والغَلَبْ
ببديع منهجه القويـ ... ـم وحكمة من شرع رَبْ
كيما يُحَقَّق للأميـ ... ـرِ مُرامُه السَّامي القُرَبْ
بعناية الله العزيـ ... ـزِ الجاعل الفصحى السبب
وانظر مقالات المجلّـ ... ـة من جواهر تُنْتَخَبْ:
• ماذا نريد من البنيـ ... ـنَ مُؤَمَّلًا كَمْ يُطَّلَبْ
ويرادُ مِنَّا بذْلُهُ ... حُبًّا ورحْبا بالرَّغَبْ؟




• هل من سبيل للوفا | لهُمُ بمعجمَ يُنْتَجَبْ؟
وقصيدة قد ألقيت | في حفل إهداء الثُّوَبْ
علم الشريعة نهج هَدْ | ي لاتِّقاءٍ من لَغَبْ
حيثُ السموُّ بذي السموِّ | إلى القُرَانِ المُصْطَحَبْ
فأثابَ أُمَّةَ دِينِهِ | موسوعةً كَمْ تُرْتَقَبْ
جَمعَ السَّناءَ مدَبِّجو | ها في احتفال مُنْتَصَبْ:
حيَّاهُمُ من شِعْرِهِ | بِجَنًى شَهِيٍّ من رُطَبْ
وسقاهُمُ بِثنائه | عسلا مصفًّى والحَلَبْ
وكساهُمُ تقديرُهُ | حُلَلَ المهابة والحسبْ
ياأيها السِّفْر الجلي | لُ لك المواهب تجتلبْ
ياقوتة وزبرجدا | ولآلئا حسْنا النَّسب
• وهوامِلٌ وشوامِلٌ | ومقابساتٌ: مُضْطَرَبْ
ما أشكل الإمتاعُ منـ | ـهُ حِواره أو ما انتهبْ
• والشِّعر يلثم ثغر الضَّـ | ـادِ وَقَّدَهُ اللَّهَبْ

هو مستهام وامقٌ  كَلِفٌ غراما قدْ نَشَبْ
• ورسالة الإعلام في  حسن الأدا نَفْيُ الذَّرَبْ
• وروابط التَّركيب في التِّـ  نْزيلِ مدْرَأةُ العَطَبْ
نَظَمَ البقاعِيُّ الدُّرَرْ  فَتَساوَقَتْ مِثْلَ الصَّبَبْ
• وقصيدة فيها البصيـ  ـرة ضوء كوكبها ثَقَبْ
• ولمعجم التّأريخ لِلْـ  ـفُصْحَى إشادات الخطب
فيما تمحض مصدرا  واسما بِلا فعلٍ غَلَبْ
فالذِّئبُ يوصَفُ بالرَّسَحْ  فرسٌ أزَلُّ . . وإن . . نَصَبْ
نَخْلٌ مقيت من سّغَبْ  قد عَنْوَنَتْ: (بنت العرب)
واقرأ بِأوَّل ما نزلْ  هُوَ مُعْجِزٌ يا مَنْ لَحَبْ
صوتا وأبنية فذا  وَحْيٌ ويكتب بالذَّهب
ورسالة الغفران: سَلْ  تُعْطَهْ ونَاجِهْ تُسْتَجَب
• وأصالة الأصوات -علـ  ـمًا- في الأصول المُنْتَصَبْ
• لُغَةُ البَيانِ لَها اللِّوا  بسيادةٍ أَبَدَ الحِقَبْ
• والمعجميَّات الَّتي  منها المخصَّصُ يُقْتَضَبْ
من صَرْفِهِ مَا يُغْتَذَى  حُلْوًا جَناهُ كالضَّرَبْ
صخب الشعور له ضجيـ  ـجُ لَحْنُهُ بَحْرٌ لَجَبْ
• وعَلَى الْبَلاغَةِ مُفْترًى  شَاهَ الجَمالَ بِمُكْتَذَبْ
فأتَاهُ عَنْهَا ذو حِمًى  فانْمَاعَ ذَوْبًا مِنْ هَرَبْ

وقصيدة في حُبِّ أَحْـ ـمَدَ خاتَمِ الرُّسْلِ النُّخَبْ
فيها الرَّياحِن والزُّهو رُ المائساتُ مِنَ الطَّرَبْ
وعنِ الأساليب الحديـ ـثَةِ نبذُ عُنْفٍ مُحْتَرَبْ
بِتَرَفُّقٍ وتَوَدُّدٍ ما عادَ يُقْنِعُهُ الصَّخَبْ
• رَحَلَتْ بفَلْسَفة التَّأمُّـ ـلِ نَحْوَ مُمْلِي المُكْتَتَبْ
مِنْ ذاتِه ولِذَاتِه نفس لنفس تُنْتَدّبُ
لِيَكُونَ سَيْرُكَ لِلإلَـٰـ ـهِ بِلا فَراغٍ يُجْتَنَبْ
• وَهُوِيَّةُ الْعَرَبِيِّ مَفْـ ـخَرةٌ لَهُ فَلْيُحْتَسَبْ
• وا الجاهليَّةُ مَا يَقُو لُ لِشِعْرِهَا عَادٍ غَصَبْ
مُسْتَشْرِقٌ مُسْتَغْرِبٌ بِطَوِيَةِ السُّوأَى وَثَبْ
ولأنَّ أخْطَاءَ اللِّسا نِ القَحْلُ والمَحْلُ الْيَبَبْ
• مِنْ حِذْقِهِمْ راضُوا اللِّسَا نَ بما يُقَعِّدُ ما وَجَبْ
• ولِسُورِ شَارقة العُلُو مِ وَقَدْ تَقَادَمَ مُسْتَلَبْ
• فعَرَاهُ تحْنانٌ لَهُ فأتى يُوَاصِلُ عَنْ كَثَبْ
• وجَفَاءُ أبْناءِ العُرُو بَةِ مِنْ جَفَافٍ قدْ وَلَبْ
نَبَذوا المبين فصيحهم تَعْسًا لِمَنْ عنْهُ اغْتَرَبْ
•"أنا في حِماكَ" ختأمها وَبِهَا التِجَاءُ مَنِ اقْتَرَبْ
وقدِ اسْتَجارَ بذي السُّمُوِّ فَحُقَّ يَجْتَازُ الْكُرَبْ
هَذِي مَهَايِغُ لِلأدَب مَثَلَتْ عَناقِيدَ الْعِنَبْ

# أَلْفَاظُ الأَوْبِئَةِ والأَمْرَاضِ في مَعَاجِمِ العَرَبِيَّةِ

**لقدِ اهتمَّ أصحابُ المعاجمِ العربيّةِ قديمًا بألفاظِ الأوبئةِ والأمراضِ، فكانت مصدرًا ثريًا لمادّتهم اللّغويّةِ، بدءًا من معجمِ العين للخليلِ بن أحمدَ (ت174هـ)، ومرورًا بالغريبِ المصنّفِ لأبي عبيدٍ القاسم بن سلّام (ت224هـ)، وجمهرةِ اللّغة لابنِ دُرَيد (ت321هـ)، وديوانِ الأدبِ للفارابيِّ (ت350هـ)، وتهذيبِ اللّغةِ للأزهريِّ (ت370هـ)، وتاجِ اللّغةِ وصحاحِ العربيّةِ للجوهريِّ (ت393هـ)، ومقاييسِ اللّغةِ لابنِ فارسٍ (ت395هـ)، والمُحكمِ والمحيطِ لابنِ سِيدَه (ت458هـ)، ومختارِ الصّحاحِ للرّازيِّ (ت660هـ)، ولسانِ العربِ لابنِ منظورٍ (ت711هـ)، والمصباحِ المنيرِ للفيّوميِّ (ت770هـ)، والقاموسِ المحيطِ للفيروزآبادي (ت817هـ)، وتاجِ العروسِ للزَّبيديِّ (ت1205هـ)، وبعضِ المعاجمِ اللّغويّةِ الحديثةِ، مثلِ: المُعجمِ الوسيطِ، والمعجمِ الكبيرِ، ومعجمِ اللّغةِ العربيّةِ المعاصرةِ، ومعجمِ الصّوابِ اللّغويّ،.... وغيرِها.**



د. إبراهيم سند إبراهيم أحمد
أستاذ النحو والصرف المشارك بكلية دار العلوم

ومع اهتمامِ علماءِ العربيّةِ بالرّسائلِ اللّغويّةِ وتنوّعِها وكثرتِها، إلا أنّنا لم نقرأْ عنوانًا لرسالةٍ لُغويّةٍ عن موضوعِ (العلَل) أو (الأوبئةِ) أو (الأمراضِ)، ولم يُشِرْ إلى ذلك أحدٌ من أصحابِ كتبِ الطّبقاتِ أو التّراجمِ، على الرّغمِ منَ اعتناءِ اللّغويّين والمُعجميّين بألفاظِ الأوبئةِ والأمراضِ في مؤلفاتِهم المُعجميّةِ، فقدِ اهتمّ بها اللّغويّون الأوائلُ، ومن ذلك:

* ما ذكره الخليلُ بنُ أحمدَ في معجمِ (العين) من أكثرَ من مائتيْ لفظٍ من ألفاظ الأوبئةِ والأمراضِ.

* إفرادُ ابنِ السّكّيتِ في كتابه: (الألفاظُ) بابًا بعنوان: (المرضُ)، ذكر فيه عددًا كبيرًا من ألفاظِ الأوبئةِ والأمراضِ.

* ما خصّصه أبو الحسنِ الملقّبُ بكُراعِ النّملِ (ت309هـ) في كتابِه: (المنتخَبُ من غريب كلامِ العربِ)؛ إذْ أفرد بابًا بعنوان: (بابُ الأمراضِ والأعراضِ).

* ما خصّصه أبو منصورٍ الثّعالبيُّ (ت429هـ) في كتابِه (فقهُ اللّغةِ وسرُّ العربيّةِ)، فقد خصّص البابَ السادسَ عشرَ لألفاظِ الأوبئةِ والأمراضِ، ذكر تحتَه أربعةً وعشرين فصْلًا.

* ما نقله ابنُ سِيدَه في كتابِه (المُخصّصُ) من مادّةٍ

ثريّةٍ عن ألفاظِ الأوبئةِ والأمراضِ، نقلَها عن السّابقين عليه، أمثالِ: الخليلِ بنِ أحمدَ وابنِ السّكّيت وابنِ دُرَيد.

هذه الفصولُ والأبوابُ التي أفردَها علماءُ العربيّةِ في كُتبِ التُّراثِ المُعجميِّ بما تحتَوِيه من ألفاظٍ لُغويّةٍ تتعلّقُ بالأوبئةِ والأمراضِ تدلُّ بوضوحٍ على عنايةِ هؤلاءِ اللُّغويّين الأوائلِ بألفاظِ الأوبئةِ والأمراضِ، وبالمُصطلحاتِ الطبّيّةِ في مختلفِ العصورِ.

وقد أشار الصَّرفيّون إلى بعضِ الأوزانِ الصّرفيّةِ التي اختُصَّت بالأمراضِ والعيوبِ الجسديّةِ، خاصّةً أثناءَ حديثِهم عن معانِي صِيغِ الزَّوائد، وأشار بعضُهم إلى أنّ صيغةَ (فُعَال) أكثرُ الصّيغِ الصّرفيّةِ التي تُصاغ عليها هذه الألفاظُ، ودار حديثُهم عنها من خلال صِيَغِ (فُعَال، وافْعَلَّ، وافْعالَّ)، لكنّ المطالِعَ لمعاجمِ العربيّةِ يجدُ أنّ ألفاظَ الأوبئةِ تخطَّتْ هذه الصّيغَ الثلاثَ إلى غيرِها من الصّيَغِ الأخرى، منها على سبيل المثالِ:

1) فَعْل، نحو (البَثْر): الخُرَّاجُ الصَّغيرُ، و(الوَقْرُ): ثِقلٌ في الأُذن(1)، ومنه قولُه تعالى: {وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ} [لقمان: 7].

2) فَعَل، نحو: البَرَصُ، والخَفَشُ، والرَّمَدُ، والشَّلَلُ، والصَّلَعُ، والعَمَى، والعَمَشُ.

3) فُعال، نحو: (الجُذامُ)، و(الزُّكامُ)، و(السُّعالُ)، و(الصُّداعُ)، و(الدُّوارُ): ظُلْمَةٌ تعتري البصرَ عند القيامِ، و(القُعَاصُ): داءٌ قاتلٌ يأْخذ الدَّوَابَّ في صدورِها (2).

4) (فاعل)، نحو (الفالجُ): ريحٌ تأخذُ الإنسانَ يرتعشُ منها فتذهبُ بشقّه، و(الـدَّاحِـسُ): قُرحةٌ تخرجُ باليد، و(الغاشيةُ): وجَعٌ يُصيب الكَبِدَ(3).

5) فُـعَّـال، نحو (الـخُـرَّاجُ)، و(الخُبَّاطُ): داءٌ يُشبه الجنونَ، و(الخُنَّاقُ): داءٌ يأخذُ النَّاسَ والدّوابَّ في الحُلوق(4).

6) فَعيل، نحو (النَّزيفُ)، و(الطَّنينُ): صوتُ الأُذن منَ الوجَع، و(الزَّحيرُ): تقطيعٌ في البطْنِ(5).

7) تَفْعيل، نحو (التقطيعُ): مغصٌ في الأمعاءِ(6).

8) تَفَعُّل، نحو (التَّهَيُّجُ): شبهُ الورَمِ، و(التَّصَوُّحُ): تَشَقُّقُ الشَّعْر وتناثرُه(7).

9) (فَعْلَة)، نحو (الظَّفْرَةُ)، و(السَّعْفَةُ): قُروحٌ تخرجُ برأس الصَّبيّ، و(الشَّوكَةُ): حُمْرةٌ تعلُو الجسدَ(8).

10) (فِعْلَة)، نحو (الفِرْسَةُ): قُرحةٌ تكونُ في العُنق تفرسُها، أي: تدُقُّها(9).

11) (فُعْلَة)، نحو (الحُمْرَةُ)، و(الحُرْقَةُ): ما تجدُه في العين منَ الرّمدِ، و(الخُزْرَةُ): الوجَعُ في الظّهرِ، و(الزُّلْخَةُ): وجَعٌ في الظّهر لا يتحرّك الإنسانُ من شدّتِه(10).

وهذه الصّيغةُ الصّرفيّةُ أكثرُ استعمالاً إذا ما قُورنتْ بالصّيغتَين السابقتَين: (فَعْلَة) و(فِعْلَة)؛ لأنّ الضّمَّ أثقلُ الحركات، وهو ما يتناسبُ مع ألم المرضِ وثِقلِه.

12) (فَعالَة)، نحو (الضَّرارةُ): ذهابُ البصرِ(11).

13) (فَعْلَل)، نحو (النَّقْرَسُ): داءٌ يأخذُ في الرِّجْل أو



المفاصلِ(12).

14) (فَعْلَلَة)، نحو (الحَثْرَقَةُ): حمرةٌ تكونُ في العين، (الطَّغْمَشَةُ): ضعفُ البصرِ(13).

15) (فَعَلان)، نحو (الخَفَقَانُ): اضْطِرابُ القَلْب.

16) (فُعْلى)، نحو (الحُمَّى).

17) (فاعول)، نحو (الطّاعونُ)، و(النَّاسُورُ)، و(العَاذُورُ)(14).

18) (اسْتِفْعال)، نحو (الاسْتِسْقَاء): انتفاخُ البطْن.

19) (فِعالَة)، نحو (الحِثَاثَة): الحرُّ والخشونةُ يجدُهما الإنسانُ في عينيه(15).

20) (فَعال)، نحو (السَّوَادُ): وجَعٌ يأخذُ الكبدَ من أكل التّمرِ وربّما قتلَ صاحبَه(16).

21) (فُعْل)، نحو (العُقْمُ).

22) (فَعاليل)، نحو (السَّمَادِيرُ): ضعفُ البصر، أو ما يتراءى للإنسان من ضعف بصرِه(17).

23) (فَعَّال)، نحو (الكَزَّازُ): تَشَنُّجٌ يصيبُ الإنسانَ منَ البردِ الشّديدِ(18).

24) (فِعال)، نحو (العِدادُ): المرضُ الذي يأتي الإنسانَ لوقتٍ معلوم ثم يدعُه زمانًا ثمّ يُعاوِدُه(19).

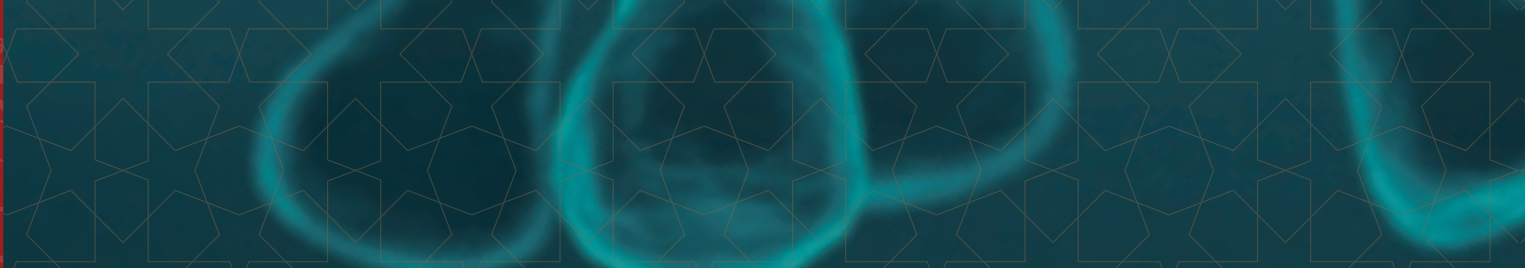
25) (فَعْلال)، نحو (السَّمْحَاق): قشرةٌ رقيقةٌ فوق عظْمِ الرّأسِ(20).

وبذلك يتّضحُ أنّ ألفاظَ الأوبئةِ والأمراضِ جاءتْ على مُعظم أبنيةِ العربيّةِ، ومع تعدُّدِ أبنيتِها الصَّرفيّةِ إلّا أنّ هذه الألفاظَ قد كَثُرت مع صِيغةِ (فُعَال) لارتباطِها بآهات المرضِ وأوجاعِه، ودلالتِها على المبالغةِ في وصف الحالةِ المَرضيّةِ، وكذلك صيغةُ (فَعَلَ) المُجرّدةُ من أحرُفِ الزّيادةِ [كالبَرَصِ والشَّلَلِ والخَفَشِ والصَّمَمِ.... إلخ] التي تدلُّ في الأغلبِ الأعمِّ على الأمراضِ الجِلديّةِ والرَّمديّةِ غيرِ المُؤلمةِ، أي: التي لا يُصاحبُها ألمٌ أو وجعٌ؛ ممّا يدلُّ على دقّةِ العربيّةِ في التَّعبيرِ عنِ المرضِ والحالةِ النّفسيّةِ المُصاحِبةِ له.

وأغلبُ الأبنيةِ الصّرفيّةِ التي جاءت عليها ألفاظُ الأوبئةِ والأمراضِ أبنيةٌ مَزيدةٌ، تمثّلتْ فيها حروفُ الزّيادة في: 1)- حروفُ العلّةِ التي تناسبُ آهاتِ المرضِ وتوجُّعاته، كما في (صُداعٌ/ فُعال)، و(سَوادٌ/ فَعال)، و(نزيفٌ/ فعيل)، و(طاعونٌ/ فاعول)، والمقطعُ الطويلُ المغلقُ (ص ح ح ص) في هذه الصّيغِ الصّرفيّةِ يتناسبُ مع آهاتِ المرض وأوجاعِه، فالمدُّ الطويلُ يحتاجُ إلى نَفَس عميقٍ يتناسبُ مع الآهاتِ المَرضيّةِ؛ لذلك فهي تأتي غالبًا مع الأوبئةِ والأمراضِ التي يُصاحبُها الألمُ، 2)- التَّضعيفُ، كما في: (كَزَّاز/ فَعَّال)، و(خُرَّاج/ فُعَّال)، وهو يتناسبُ مع آهاتِ المرضِ وتوجّعاته، فالتّضعيفُ يدلُّ على الثِّقلِ الذي يتناسبُ مع ثِقَل المرضِ.

وإنّ أكثرَ ألفاظِ الأوبئةِ والأمراضِ تأتي في صِيغة





المُفردِ، وقليلٌ منها يأتي وَفْقَ أبنيةِ الجُموعِ، فالعربيّةُ تعبِّرُ عنِ المرض بصِيغة المُفردِ، وفي قليلٍ منَ استعمالاتِها اللّغويّةِ تعبِّرُ عنه بصِيغة الجمْعِ؛ لأنَّ الاسمَ المفردَ أخفُّ وزنًا وأسهلُ نُطقًا، كما أنَّ الأوبئةَ والأمراضَ منَ الأمور التي تكرهُها النّفسُ الإنسانيّةُ فكثُرَ استعمالُها بصِيغة المُفردِ؛ لأنَّ الشّيءَ المُحبَّبَ إلى النّفس تجنحُ العربيّةُ إلى استعمالِه بصِيغة الجمْعِ دلالةً على كثرتِه بخلافِ الشّيءِ الذي تأْباهُ النّفسُ وتكرهُه فيكثُرُ استعمالُه على صِيغةِ المُفردِ؛ فجاءت ألفاظُ الأوبئةِ والأمراضِ بصِيغة المُفردِ من باب التَّفاؤُلِ أملًا في الشّفاءِ والمُعافاة.

وختامًا تتّضحُ عنايةُ المُعجميّين بألفاظ الأوبئةِ والأمراضِ، واهتمامُهم بها، ويظهرُ أثرُ هذه الألفاظِ اللّغويّةِ في صناعة المُعجمِ العربيِّ، وإثراءِ الثّروةِ اللّفظيّةِ لمُفردات العربيّةِ وتراكيبِها اللّغويّةِ؛ ونظرًا لكثرةِ هذه الألفاظِ في التّراثِ اللّغويّ فمنَ الضّروريِّ جمعُها وتدوينُها في مُعجم لُغويٍّ مُتخصّص، وتعريبُ المُصطلحاتِ الطبّيّةِ الأجنبيّةِ، وإخضاعُها لأبنيةِ العربيّةِ وتراكيبِها، خاصّةً أنَّ اللّغةَ العربيّةَ قادرةٌ على استيعابِ مثلِ هذه المُصطلحات الطبّيّةِ وغيرِها منَ الألفاظ الأُخرى.

**الهوامشُ والمراجعُ:**


(1) ابن فارس: مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر العربي، 1399هـ/ 1979م، ج1/ ص196، ج6/ ص132، وابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل: المحكم والمحيط الأعظم، تح: عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1421هـ/ 2000م، ج6/ ص549، ج10/ص144.

(2) ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم: لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، 1414هـ، ج7/ ص78، السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر: المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تح: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1418هـ/ 1998م، ج1/ ص362.

(3) الأزهري، محمد بن أحمد الهروي: تهذيب اللغة، تح: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 2001، ج4/ ص166، وابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل: المخصص، تح: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 1417هـ/ 1996م، ج1/ ص479، ج1/ ص482.

(4) جعنيد، عبد الرزاق: معجم مصطلحات الأمراض والأوبئة في التراث اللغوي، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة شعيب الدكالي، المغرب، المجلد (14)، 2013م، صـ43.

(5) جعنيد: معجم مصطلحات الأمراض والأوبئة في التراث اللغوي، صـ46.

(6) ابن سيده: المحكم والمحيط، ج1/ ص163.

(7) الأزهري: تهذيب اللغة، ج5/ ص108، الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد: تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1407هـ/ 1987م، ج1/ ص384.

(8) ابن سيده: المخصص، ج1/ ص482، ج1/ ص488، ابن منظور: لسان العرب، ج10/ ص455.

(9) ابن سيده: المحكم والمحيط، ج8/ ص483، ابن منظور: لسان العرب، ج6/ ص162.

(10) الأزهري: تهذيب اللغة، ج4/ ص30، ابن منظور: لسان العرب، ج10/ ص42، جعنيد: معجم مصطلحات الأمراض والأوبئة في التراث اللغوي، ص43، ص46.

(11) جعنيد: معجم مصطلحات الأمراض والأوبئة في التراث اللغوي، ص49.

(12) الأزهري: تهذيب اللغة، ج9/ ص293، ابن سيده: المخصص، ج1/ ص178.

(13) الأزهري: تهذيب اللغة، ج5/ ص197، ج8/ ص198، ابن منظور: لسان العرب، ج6/ ص312، ج10/ ص38.

(14) جعنيد: معجم مصطلحات الأمراض والأوبئة في التراث اللغوي، ص51.

(15) الزَّبيدي، محمد بن عبد الرازق الحسيني: تاج العروس من جواهر القاموس، تح: مجموعة من المحققين، دار الهداية، ج5/ ص205.

(16) ابن سيده: المحكم والمحيط، ج8/ ص601، الزبيدي: تاج العروس، ج8/ ص229.

(17) جعنيد: معجم مصطلحات الأمراض والأوبئة في التراث اللغوي، ص48.

(18) الأزهري: تهذيب اللغة، ج9/ ص322.

(19) جعنيد: معجم مصطلحات الأمراض والأوبئة في التراث اللغوي، ص51.

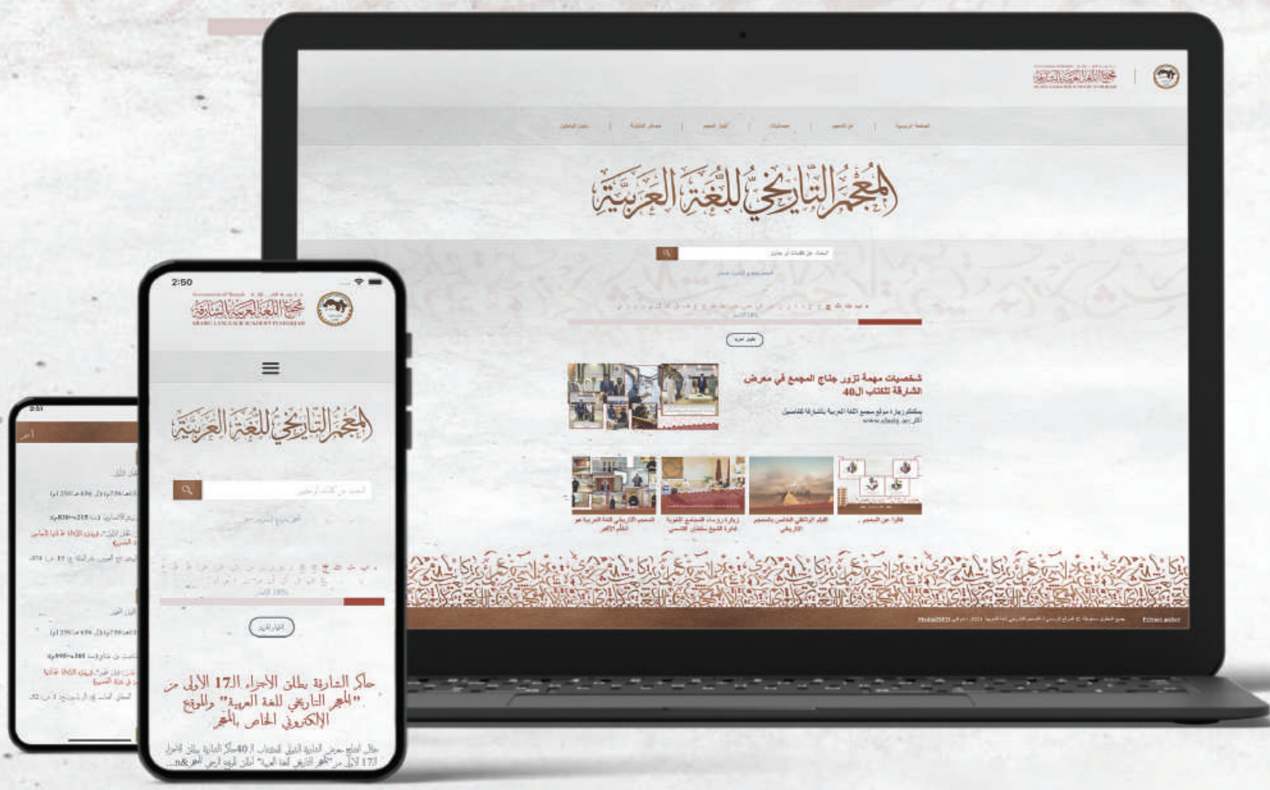
(20) الأزهري: تهذيب اللغة، ج5/ ص196، ابن فارس: مجمل اللغة، تح: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1406هـ/ 1986م، ج1/ ص808.

Government of Sharjah حكومة الشارقة

مجمع اللغة العربية بالشارقة

ARABIC LANGUAGE ACADEMY IN SHARJAH

# المُعجمُ التّاريخيُّ للُغَةِ العَرَبيّةِ




Download on App Store

GET IT ON Google Play

EXPLORE IT ON AppGallery

Government of Sharjah حكومة الشارقة

مجمع اللغة العربية بالشارقة

ARABIC LANGUAGE ACADEMY IN SHARJAH

# إصدارت مجلة العربيّة لساني السابقة



















المدينة الجامعية - الشارقة - الإمارات العربية المتحدة
مبنى مجمع اللغة العربية - الدور الأول
هاتف: 400 60 51 6 971+ ، فاكس: 410 60 51 6 971+ ، ص.ب: الشارقة ، 1973
البريد الإلكتروني: info@alashj.ae ، الموقع الإلكتروني: www.alashj.ae

Government of Sharjah حكومة الشارقة

مجمع اللغة العربية بالشارقة

ARABIC LANGUAGE ACADEMY IN SHARJAH

# الإعلان عن التّرشّح لجائزة الشّارقة للدّراسات اللّغويّة والمعجميّة

**الدورة السادسة 2023م**

## جائزة الشَّارقة للدّراسات اللّغويّة والمُعجميَّة

**Sharjah Linguistic and Lexical Studies Award**

يُعلنُ مجمع اللغة العربية بالشارقة عن فتح باب الترشح لجائزة الشّارقة للدّراسات اللّغويّة والمعجميّة في دورتها السّادسة 2023م بتقديم بحوث منشورة لها رقم نشر دوليّ في محورين رئيسين ومُحدّدين، هما:

**المحور الأوّل: الدّراسات اللغويّة:**

الدّراسات التي تناولت تَعَلُّمَ اللّغة العربيّة وتعليمها لأبنائها ولغير أبنائها.

**المحور الثّاني: الدّراسات المعجميّة:**

صناعة المعجم اللّغويّ: دراسةً وتأليفًا.

**تُمنح الجائزة لأربعة فائزين: اثنين في الدّراسات اللغوية واثنين في الدراسات المعجمية:**

الجائزة الأولى: 30 ألف دولار

الجائزة الثّانية: 20 ألف دولار

لمزيد من المعلومات يُرجى الدخول على موقع الجائزة:

**shj-arabic-award.shj.ae**

